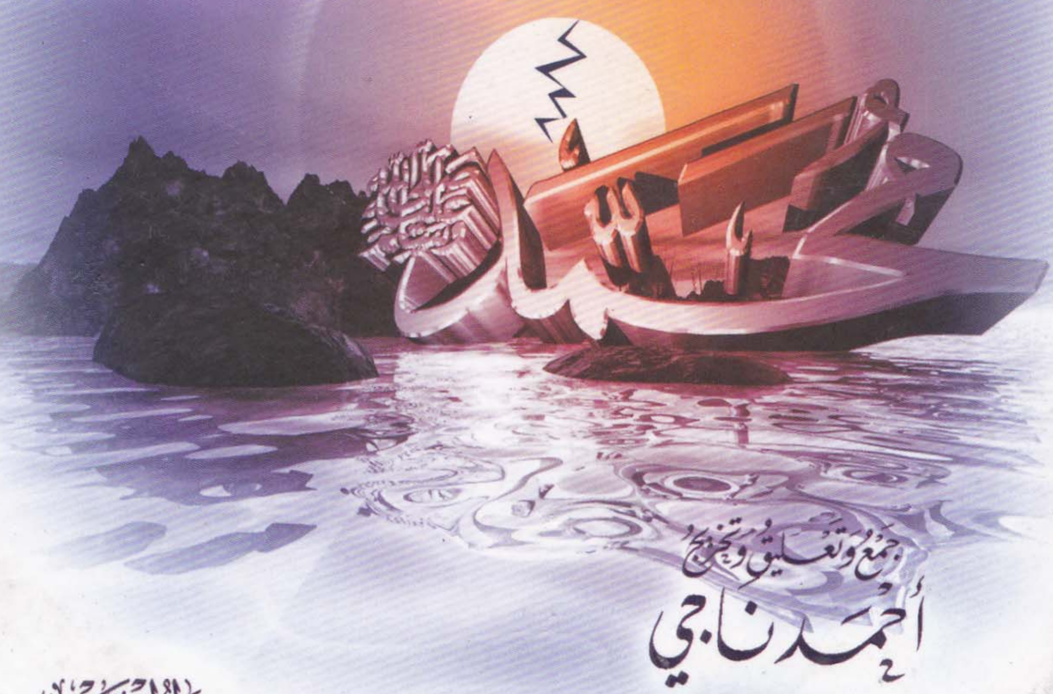
صحيح معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

ومعه

شروح وتعليقات لجماعة من علماء الأمة



جمع وتعليق وتخريج
أحمد ناجي

دار ابن حزم
القاهرة



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صحيح

معجزات النبي ﷺ

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ/٢٠١٠م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:
٢٠٠٩\٢٣٨٩٩



جمهورية مصر العربية
القاهرة: ٢٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
ت: ٠٠٢٠٢٢٥١٤٣١٤١ فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥١١١٧٥٠

صحيح معجزات النبي ﷺ

من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

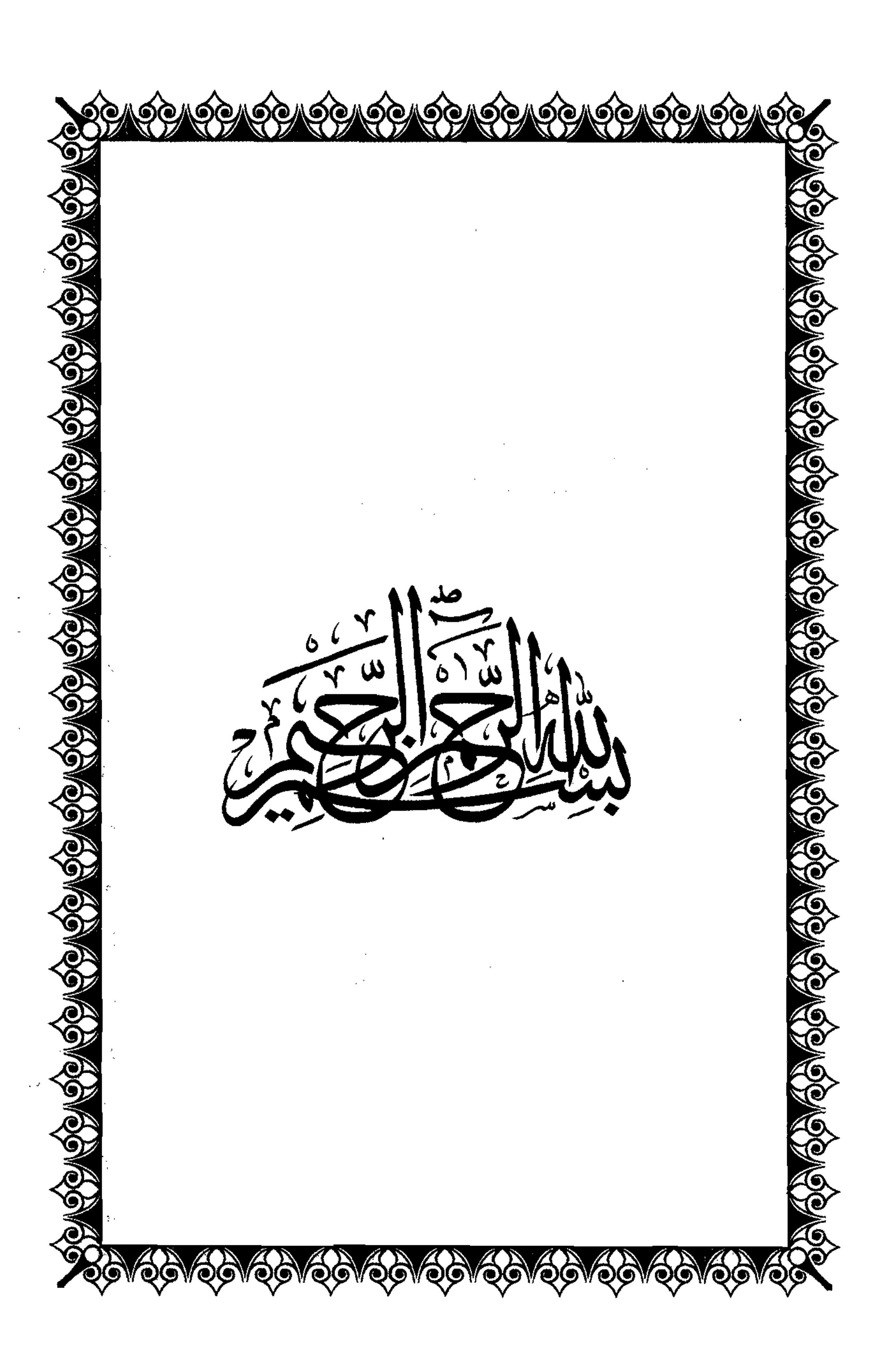
ومعه

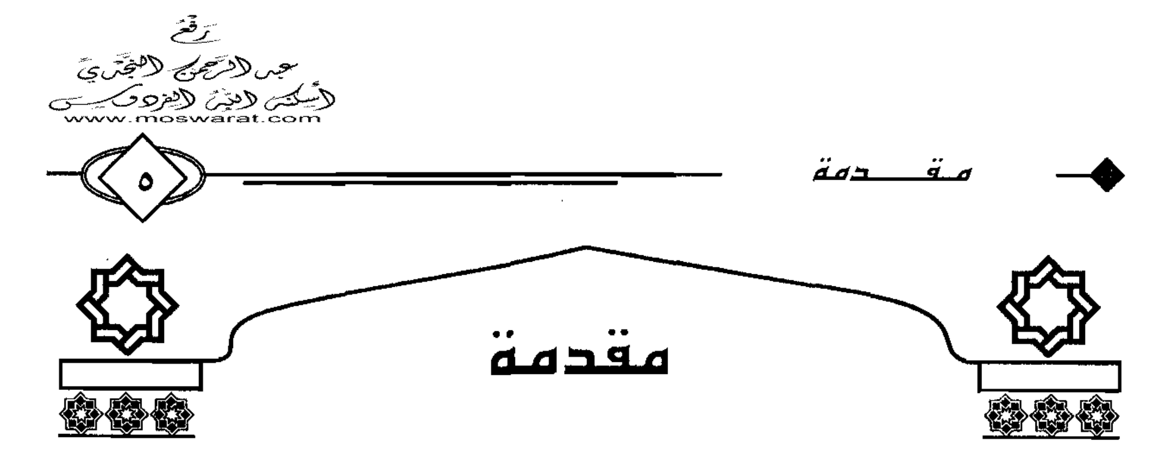
شروح وتعليقات لجماعة من علماء الأمة

جمع وتعليق وتخريج

أحمد ناجي

دار ابن حزم
القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق والمرسلين، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

إن المسلم حين يُعنىٰ بالحديث عن نبوة النبي ﷺ ودلائلِها؛ فإنما يتناول بابًا عظيمًا من أبواب الإسلام، وقد دعانا القرآن الكريم للتأمل في دلائل نبوة النبي ﷺ.

والمعجزات هي التي تشهد بنبوة النبي ﷺ، تثبيتًا لإيمان المؤمنين، وخروجًا به من التقليد إلىٰ البرهان والدليل، وهو أيضًا دعوة للبشرية التائهة عن معرفة نبينا ﷺ وجوانب العظمة في حياته ودعوته، دعوة لهم للتعرف علىٰ هذا النبي الكريم، والإيمان به نبيًا ورسولاً.

المعجزة لغة: ما أعجز به الخصم عند التحدي.

وهي أمر خارق للعادة يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، يجعله الله علىٰ يد من يختاره لنبوته؛ ليدل علىٰ صدقه وصحة رسالته.

والفرق بين المعجزة والكرامة: هو أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوىٰ النبوة والتحدي للعباد.

أما الكرامة: فهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوىٰ النبوة ولا

التحدي، ولا تكون الكرامة إلا لعبد ظاهره الصلاح ، مصحوبا بصحة الاعتقاد والعمل الصالح.

أما إذا ظهر الأمر الخارق علىٰ أيدي المنحرفين فهو من الأحوال الشيطانية.

وإذا ظهر الأمر الخارق علىٰ يد إنسان مجهول الحال؛ فإن حاله يعرض علىٰ الكتاب والسنة

وتنقسم معجزات النبي ﷺ إلى عدة أقسام:

الأول: الغيوب التي أخبر عنها النبي ﷺ وتحققتْ حال حياته أو بعد وفاته كما أخبر عنها، ومن هذا النوع أيضـًا ما أخبر به ﷺ من الإعجاز العلمي الذي شهد بصحته العلم التجريبي الحديث.

الثاني: المعجزات الحسية التي وهبها الله النبي ﷺ كتكثير الطعام وشفاءِ المرضىٰ وانشقاقِ القمر.

الثالث: الدلائل المعنوية، كاستجابة الله دعاءه، وعصمتِه له من القتل، وانتشارِ رسالته ﷺ، وهذا النوع يدل علىٰ تأييد الله له ومعيته لشخصه ثم لدعوته ودينه، ولا يؤيد الله دعيًّا يفتري عليه الكذب بمثل هذا.

الرابع: القرآن الكريم معجزة الله التي لا تبليها السُنون ولا القرون، هذا الكتاب معجزة خالدة ودليل باهر بما أودعه الله من أنواع الإعجاز العلمي والتشريعي والبياني، وغيرِها من وجوه الإعجاز

الرابع: صعوده ﷺ ليلة الإسراء والمعراج إلىٰ ما فوق السماوات[1].

ومعجزات النبي ﷺ متنوعةٌ وكثيرة جدًا[2]، قد كتب فيها كثير من العلماء وحصروا منها عددا كثيرًا إلا أننا لم نستوف منها إلا ما تيسر لنا تناوله بالشرح والبيان.

وهذا الكتاب يجمع بين دفتيه مجموعة من معجزات النبي ﷺ التي وردت بها الأحاديث الصحيحة وهو وإن لم يكن جديدًا في بابه إلا أنه يعرض مجموعة من معجزات النبي ﷺ بصورة جديدة ميسرة تختلف عمن تناولوا هذا الموضوع بالبحث والاهتمام.

منهج العمل في الكتاب:

١- جمع الأحاديث التي تناولت معجزات النبي ﷺ الصحيحة وتبويب موضوعاتها ليسهل علىٰ القارئ الاستفادة منها.

٢- ضبط النص ومقابلته، مع بيان معاني الكلمات، وإضافة شروح وتعليقات لكبار العلماء، وفي نهاية الحديث ذكرنا طرفًا من فوائده.

٣- عزو الآيات القرآنية إلىٰ مواضعها في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

---

(١) انظر: (دلائل النبوة) للدكتور محمود السقار، و(الحكمة في الدعوة إلىٰ الله) للدكتور سعيد القحطاني.

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد جمعت نحو ألف معجزة». (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان صـ ١٥٨). ومعجزاته ﷺ تزيد علىٰ ألف ومائتين، وقيل: ثلاثة آلاف معجزة. (فتح الباري ٦/ ٥٨٣).

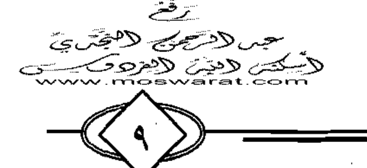
٤- عزو الأحاديث إلىٰ مصادرها من كتب السنة فالأحاديث التي في الصحيحين العزو إليهما يكفي للدلالة علىٰ صحة الحديث وما كان خارج الصحيحين قمنا بعزوه إلىٰ مصادره واستعنَّا بتحقيقات العلامة الألباني -رحمه الله تعالَىٰ- في الحكم علىٰ الأحاديث التي وجدنا له أحكامًا عليها.

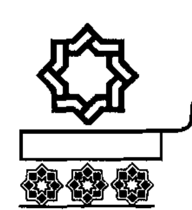
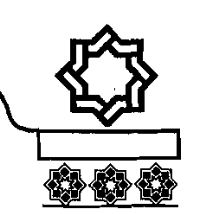
وختامًا:

فهذا جهد المقِل، فما كان من توفيق فهو من الله وحده، وما كان من زلل أو خطأ فهو من عند أنفسنا ومن الشيطان، فنسأل الله سبحانه أن يغفر لنا، ويتجاوز عن زلاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.. ونسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.





الإسراء والمعراج

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ -وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ- قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ -قَالَ- فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ -قَالَ- ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ.

قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ -قَالَ- فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ

ذَلِكَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. -قَالَ- فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى ﷺ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً -قَالَ- فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»[(١)].

معاني الكلمات:

الفطرة: دين الإسلام.

استفتح: طلب فتح باب السماء الدنيا.

مرحبًا به: أصاب رحبًا وسعة.

المعنى الإجمالي:

كانت حادثة الإسراء والمعراج قبل هجرته ﷺ بسنة فأراد الله عز وجل أن يتيح لرسوله فرصة الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته، حتى يملأ قلبه ثقة فيه واستنادًا إليه، حتى يزداد قوة في مهاجمة سلطان الكفر القائم في الأرض، كما حدث لموسى ﷺ، فقد شاء الله أن يريه عجائب قدرته.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٢).

في رحلة الإسراء والمعراج أطلع الله نبيه ﷺ علىٰ آيات كبرىٰ؛ توطئة للهجرة ولأعظم مواجهة علىٰ مدىٰ التاريخ للكفر والضلال والفسوق، والآيات التي رآها رسول الله ﷺ كثيرة، مثل: الذهاب إلىٰ بيت المقدس، العروج إلىٰ السماء، رؤية الغيب الذي دعا إليه الأنبياء والمرسلين، الملائكة، السماوات، الجنة والنار، نماذج من النعيم والعذاب.

قد رأىٰ ضمن هذه الرحلة أمورًا عديدة:

عرض عليه اللبن والخمر، فاختار اللبن، فقيل: «**هديت الفطرة أو أصبت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك**».

ورأىٰ أربعة أنهار في الجنة: نهران ظاهران، ونهران باطنان، والظاهران هما: النيل والفرات، ومعنىٰ ذلك: أن رسالته ستتوطن الأودية الخصبة في النيل والفرات، وسيكون أهلها حملة الإسلام جيلًا بعد جيل، وليس معناه أن مياه النهرين تنبع من الجنة.

ورأىٰ «مالك» خازن النار، وهو لا يضحك، وليس علىٰ وجهه بشر وبشاشة، وكذلك رأىٰ الجنة والنار.

ورأىٰ أكلة أموال اليتامىٰ ظلمًا، لهم مشافر كمشافر الإبل، يقذفون في أفواههم قطعًا من نار كالأفهار، فتخرج من أدبارهم.

ورأىٰ أكلة الربا، لهم بطون كبيرة، لا يقدرون لأجلها أن يتحولوا عن مكانهم، ويمر بهم آل فرعون حين يعرضون علىٰ النار فيطئونهم.

ورأىٰ الزناة بين أيديهم لحم سمين طيب إلىٰ جنبه لحم غث منتن،

يأكلون من الغث المنتن، ويتركون الطيب السمين.

ورأىٰ النساء اللاتي يدخلن علىٰ الرجال مَنْ ليس مِنْ أولادهم، رآهن معلقات بثديهن.

ورأىٰ عيرًا من أهل مكة في الإياب والذهاب، وقد دلهم علىٰ بعير ندَّ لهم، وشرب ماءهم من إناء مغطىٰ وهم نائمون، ثم ترك الإناء مغطىٰ، وقد صار ذلك دليلًا علىٰ صدق دعواه في صباح ليلة الإسراء[٢].

فوائد الحديث:

١- بعد كل محنة منحة، وقد تعرض رسول الله ﷺ لمحن عظيمة، فجاءت حادثة الإسراء والمعراج علىٰ قدر من رب العالمين، فيعرج به من دون الخلائق جميعًا، ويكرمه علىٰ صبره وجهاده، ويلتقي به مباشرة دون رسول ولا حجاب، ويطلعه علىٰ عوالم الغيب دون الخلق كافة، ويجمعه مع إخوانه من الرسل في صعيدٍ واحد، فيكون الإمام والقدوة لهم وهو خاتمهم وآخرهم.

٢- إن الرسول ﷺ كان مُقْدمًا علىٰ مرحلة جديدة، مرحلة الهجرة، والانطلاق لبناء الدولة، يريد الله تعالىٰ لِلَّبِنَات الأولىٰ في البناء أن تكون سليمة قوية متراصة متماسكة، فجعل الله هذا الاختبار والتمحيص، ليخلص الصف من الضعاف المترددين، والذين في قلوبهم مرض، ويثبت المؤمنين الأقوياء الخلص الذين لمسوا عيانًا صدق نبيهم بعد أن لمسوه تصديقًا، وشهدوا مدىٰ

(٢) الرحيق المختوم صـ(١٠٨).

كرامته علىٰ ربه، فأي حظ يحوطهم وأي سعد يغمرهم وهم حول هذا النبي المصطفىٰ وقد آمنوا به، وقدموا حياتهم فداء له ولدينهم، كم يترسخ الإيمان في قلوبهم أمام هذا الحدث الذي تم بعد وعثاء الطائف، وبعد دخول مكة بجوارٍ وبعد أذىٰ الصبيان والسفهاء.

٣- إن شجاعة النبي ﷺ العالية تتجسد في مواجهته للمشركين بأمر تنكره عقولهم ولا تدركه في أول الأمر تصوراتهم، ولم يمنعه من الجهر به الخوف من مواجهتهم، وتلقي نكيرهم واستهزائهم.

فضرب بذلك ﷺ لأمته أروع الأمثلة في الجهر بالحق أمام أهل الباطل، وإن تحزبوا ضد الحق وجندوا لحربه كل ما في وسعهم، وكان من حكمة النبي ﷺ في إقامة الحجة علىٰ المشركين بأن حدثهم عن إسرائه إلىٰ بيت المقدس، وأظهر الله له علامات تلزم الكفار بالتصديق وهذه العلامات هي:

* وصف النبي ﷺ بيت المقدس، وقد أقروا بصدق الوصف ومطابقته للواقع الذي يعرفونه.

* إخباره عن العير التي بالروحاء، والبعير التي أضلوه، وما قام به من شرب الماء الذي في القدح.

* إخباره عن العير الثانية التي نفرت فيها الإبل ووصفه الدقيق لأحد جمالهم.

* إخباره عن العير الثالثة التي بالأبواء ووصفه الجمل الذي يقدمها، وإخباره بأنها تطلع ذلك الوقت من ثنية التنعيم، وقد تأكد المشركون فوجدوا

أن ما أخبرهم به الرسول ﷺ كان صحيحًا فهذه الأدلة الظاهرة كانت مفحمة لهم ولا يستطيعون معها أن يتهموه بالكذب.

لقد كانت هذه الرحلة العظيمة، تربية ربانية رفيعة المستوىٰ، وأصبح ﷺ يرىٰ الأرض كلها بما فيها من مخلوقات نقطة صغيرة في ذلك الكون الفسيح، ثم ما مقام كفار مكة في هذه النقطة؟ إنهم لا يمثلون إلا جزءًا يسيرًا جدًا من هذا الكون، فما الذي سيفعلونه تجاه من اصطفاه الله تعالىٰ من خلقه، وخصه بتلك الرحلة العلية الميمونة وجمعه بالملائكة والأنبياء عليهم السلام، وأراه السماوات السبع وسدرة المنتهىٰ والبيت المعمور وكلمه جلا وعلا؟

٤- يظهر إيمان الصديق رضي الله عنه القوي في هذا الحدث الجلل، فعندما أخبره الكفار قال بلسان الواثق، لئن كان قال ذلك لقد صدق، ثم قال: إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، وبهذا استحق لقب الصديق، وهذا منتهىٰ الفقه واليقين، حيث وازن بين هذا الخبر ونزول الوحي من السماء، فبين لهم أنه إذا كان غريبًا علىٰ الإنسان العادي فإنه في غاية الإمكان بالنسبة للنبي ﷺ.

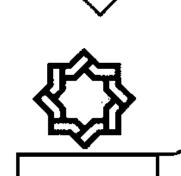
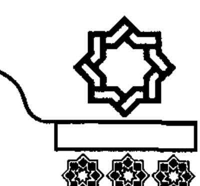
٥- إن شرب رسول الله ﷺ اللبن حين خير بينه وبين الخمر، وبشارة جبريل عليه السلام: هديت للفطرة، تؤكد أن هذا الإسلام دين الفطرة البشرية التي ينسجم معها، فالذي خلق الفطرة البشرية خلق لها هذا الدين الذي يلبي نوازعها واحتياجاتها، ويحقق طموحاتها ويكبح جماحها.

٦- إن صلاة النبي ﷺ بالأنبياء دليل علىٰ أنهم سلموا له بالقيادة والريادة،

وأن شريعة الإسلام نسخت الشرائع السابقة، وأنه وسع أتباع هؤلاء الأنبياء ما وسع أنبياءَهم أن يسلموا بالقيادة لهذا الرسول ولرسالته التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها (٣).

(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، بتصرف (ج١/ ص ٣٣٤).



بَصَقَ في عين عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فبرأت

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»، فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ»، فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»(٤).

معاني الكلمات:

يدوكون ليلتهم: يخوضون ويتحدثون طوال ليلتهم.

على رِسْلك: أي على هينتك.

حمر النعم: كرامها وأعلاها منزلة.

---

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٢٥).

المعنى الإجمالي:

لما أرسل الله نبيَّه وكلمته المسيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، آتاه من الآيات ما يقيم به الحجة علىٰ بني إسرائيل، ومن ذلك إبراء الله الأكمه والأبرص علىٰ يديه، فكان برهانًا ساطعًا ودليلًا قاطعًا عند قومه علىٰ نبوته عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكذلك أيد الله خاتم أنبيائه وعظيم رسله بمثل هذا الدليل والبرهان، حين شفىٰ علىٰ يديه بعضًا من أصحابه.

من ذلك أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلًا يفتح الله علىٰ يديه، يحبُ اللهَ ورسولَه، ويحبُه اللهُ ورسولُه»، فبات الناس يدوكون -أي: يتحدثون- ليلتهم أيهم يعطاها؟، قال: فلما أصبح الناس غَدوا علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يرجو أن يُعطاها.

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، فقال: «فأرسلوا إليه»، فأُتي به رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فبصق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عينيه، ودعا له فبرأ، حتىٰ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

أما «خيبر» فهي مزارع وحصون لليهود وهي نحو مائة ميل في الشمال الغربي من المدينة، سكنها اليهود كما سكن طائفة منهم المدينة نفسها.

واليهود أهل غدر وخيانة ونقض للعهود منذ بعث فيهم موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ يومنا هذا وإلىٰ يوم القيامة هم أغدر الناس بالعهد وأخونهم بالأمانة.

وغزاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفتح الله علىٰ يديه، فقال: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا

يَفْتَحُ الله عَلَىٰ يَدَيْهِ»، وهذان منقبتان عظيمتان:

الأولىٰ: أن يفتح الله علىٰ يديه؛ لأن من فتح الله علىٰ يديه نال خيرًا كثيرًا، فإنه إن هدىٰ الله به رجلًا واحدًا كان خيرًا له من حمر النعم -يعني من الإبل الحمر-، وإنما خص الإبل الحمر؛ لأنها أغلىٰ ما يملك عند العرب.

الثانية: يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وفي ذلك فضل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأن الناس في تلك الليلة جعلوا يدوكون -يعني يخوضون ويتكلمون- من هذا الرجل؟.

فلما أصبح النبي ﷺ قال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه -يعني أن عينيه توجعه ويشتكيها- فدعا به فأُتي به فبصق في عينيه ودعا له؛ فبرئ كأن لم يكن به وجع، وهذه من آيات الله عز وجل فليس هناك قطرة ولا كي، وإنما هو ريق النبي ﷺ ودعاؤه.

لقد تكرر ذلك منه ﷺ مرارًا وعلىٰ مرأىٰ من الصحابة الكرام، فهل كان هذا فنًا من فنون الطب أم معجزة وبرهانًا من براهين نبوته ﷺ؟.

فوائد الحديث:

١- إيضاح النبي ﷺ لطريقة دعوة الغير إلىٰ الدخول في الإسلام.

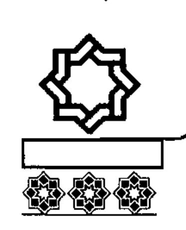
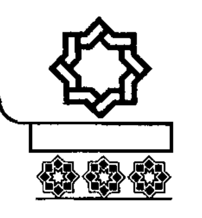
٢- ظهور آية من آيات النبي ﷺ، وهي أنه لما بصق في عيني علي بن أبي طالب برئ حتىٰ كأن لم يكن به وجع.

٣- إخباره عن أمر غيبي، وهو أن هذا الرجل سيفتح الله علي يديه.

٤- ينبغي نصب الرايات في الجهاد وهي الأعلام، وأن يجعل لكل قوم راية معينة يعرفون بها كما سبقت الإشازة إليه.

٥- تحري الإنسان للخير والسبق إليه؛ لأن الصحابة جعلوا في تلك الليلة يتوقعون ويخوضون: من سيكون هذا الرجل.



شفيت قدمه ببركة مسح النبي ﷺ

عَنْ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ اليَهُودِيِّ رِجَالًا مِنْ الأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتْ الشَّمْسُ وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنْ البَابِ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فَهَتَفَ بِهِ البَوَّابُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ البَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ البَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ البَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنْ القَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنْ البَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنْ البَيْتِ فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ، فَقَالَ: لِأُمِّكَ الوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي البَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ

ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الأَبْوَابَ بَابًا بَابًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الأَرْضِ فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى البَابِ، فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ، فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ: النَّجَاءَ، فَقَدْ قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ» فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ (٥).

معاني الكلمات:

راح الناس بسرحهم: رجعوا بمواشيهم التي ترعىٰ.

تقنع: جعله كالقناع فتغطىٰ بثوبه ليخفي شخصه حتىٰ لا يعرف.

هتف: نادىٰ.

فكمنت: اختبأت.

الأغاليق: المفاتيح جمع غلق وهو ما يغلق به الباب.

وتد: خشبة تجعل في الحائط ويبقىٰ قسم منها بارزًا ليعلق عليه المفاتيح ونحوها.

الأقاليد: المفاتيح.

يسمر عنده: يتحدثون عنده بعد العشاء.

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٣٣)، سنن البيهقي (١٧٨٧٩).

علالي: جمع علية وهي الغرفة.

نذروا بي: عملوا من الإنذار، وهو الإعلام بالشيء الذي يحذر منه.

لم يخلصوا: لم يصلوا.

ما أغنيت شيئًا؛ أي: لم أقتله، فلم أفعل ما يجدي.

اثخنته: بالغت في جراحته.

ظبة: حرف حد السيف.

صاح الديك؛ أي: كان وجه الصبح.

النجاء: أسرعوا وانجوا بأنفسكم.

فكأنها لم أشتكها: لم أشعر بألم منها وكأنها لم تصب بشيء.

المعنى الإجمالي:

كان سلام بن أبي الحقيق -وكنيته أبو رافع- أشهر تاجر في مكة، وكان من أكابر مجرمي اليهود، الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة، وكان يؤذي رسول الله ﷺ، فلما فرغ المسلمون من أمر قريظة استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتله، وكان قتل كعب بن الأشرف على أيدي رجال من الأوس، فرغبت الخزرج في إحراز فضيلة مثل فضيلتهم، فلذلك أسرعوا إلى هذا الاستئذان، وأذن رسول الله ﷺ في قتله، ونهى عن قتل النساء والصبيان، فخرجت مفرزة قوامها خمسة رجال، كلهم من بني سلمة من الخزرج، قائدهم عبد الله بن عتيك.

يرسل النبي ﷺ عبدَ الله بن عتيك ورجالًا من الأنصار لردع سلّامِ بنِ أبي

الحُقَيق، وبعد نجاح المهمة صاح الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فقد قتل أبا رافع، وبينما عبدَ الله بن عتيك راجع في الطريق وقع، انكسرت ساقه، فعصبها بعمامة. ولنستمع إليه وهو يقص علينا الخبر، فيقول: فانتهيت إلىٰ النبي ﷺ، فقال: «ابسط رجلك»، فبسطت رجلي، فمسحها، فكأنها لم أشتكِها قطّ.

لقد تكرر ذلك منه ﷺ مرارًا وعلىٰ مرأىٰ من الصحابة الكرام فهل كان هذا فنًا من فنون الطب أم معجزة وبرهانًا من براهين نبوته ﷺ؟.

فوائد الحديث:

١ – من وسائل الدعوة: بعث البعوث.

٢ – من صفات الداعية: الفطنة والذكاء.

٣ – من صفات الداعية: الشجاعة.

٤ – من وسائل الدعوة: قتل الإمام كل من آذىٰ الله ورسوله.

٥ – الابتلاء والامتحان لأولياء الله عز وجل.

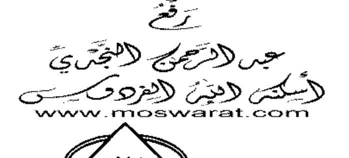
٦ – الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل.

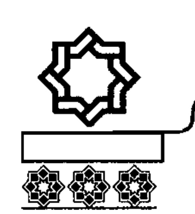
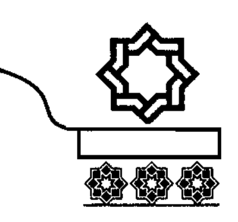
٧ – أهمية الحرص علىٰ الأخذ باليقين في الأمور كلها.

٨ – من صفات الداعية: إثبات النعم لله والثناء عليه بها.

٩ – من معجزات رسول الله ﷺ شفاء المرضىٰ بإذن الله عز وجل.

١٠ – أهمية البشارة في الدعوة إلىٰ الله عز وجل.



فرس أبي طلحة البطيء صار سريعًا ببركة النبي ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً فَانْطَلَقُوا قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَنْ تُرَاعُوا»، يَرُدُّهُمْ ثُمَّ قَالَ لِلْفَرَسِ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا»، أَوْ «إِنَّهُ لَبَحْرٌ»، قَالَ حَمَّادٌ: وَحَدَّثَنِي ثَابِتٌ -أَوْ غَيْرُهُ- قَالَ: كَانَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ يُبَطَّأُ فَمَا سُبِقَ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ(٦).

معاني الكلمات:

فزع أهل المدينة؛ أي: استغاثوا، والفزع: بمعنىٰ الخوف، ويكون بمعنىٰ الإغاثة.

قِبَل الصوت: أي نحوه.

عُرْيٍ؛ أي: لا سرج عليه ولا غيره.

يبطأ؛ أي: يقال: إنه بطيء في الجري.

---

(٦) أخرجه البخاري (٥٥٧٣)، وصحيح ابن ماجه (٢٧٦٢).

المعنى الإجمالي:

ذكر أنس ثلاثة أوصاف مقتصرًا عليها هي من جوامع الكلم؛ لأنها أمهات الأخلاق، فإن في كل إنسان ثلاث قوىٰ الغضبية والشهوية والعقلية، فكمال القوة الغضبية الشجاعة وكمال القوة الشهوية الجود، وكمال القوة العقلية الحكمة.

قوله: (كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ) والأحسن إشارة إليه؛ إذ معناه أحسن في الأفعال والأقوال.

قوله: (فزع)؛ أي: خاف أهل المدينة لما سمعوا صوتًا بالليل. قوله: (ذات ليلة) لفظ (ذات) مقحمة. قوله: (قِبَل الصوت)؛ أي: جهة الصوت. قوله: (فاستقبلهم النبي)؛ أي: بعد سبقهم إلىٰ الصوت، ثم رجع يستقبلهم. قوله: (لن تراعوا)؛ أي: لا تفزعوا، وهي كلمة تقال عند تسكين الروْع تأنيسًا وإظهارًا للرفق بالمخاطب.

قوله: (علىٰ فرس) اسمه مندوب-أي المطلوب- وكان بطيئًا ضيق الجري، فانقلب حاله ببركة ركوبه، ويشبه الفرس إذا كان جوادًا بالبحر لاستراحة راكبه به كراكب الماء إذا كانت الريح طيبة، وكان لأبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري زوج أم أنس. قوله: (عُري) بضم العين المهملة وسكون الراء. قوله: (ما عليه سرج) تفسير عري. قوله: (بحرًا)؛ أي: واسع الجري مثل

البحر(٧).

وَعَـرا المَدينَـةَ لَيلَـةً فَـزعٌ فَلَـم
يَـسبقهُ ذو فَـرَس مِـنَ الـسُّرْعانِ
وَمَـضىٰ يَـؤُمُّ الـصَوتَ وَهـوَ مُقَلَّـدٌ
بِالـسَّيفِ فَـوقَ عمَـرَّد عُرْيـانِ
وَأَتـىٰ يُنـادي لَـن تُراعـوا واصِـفًا
بِـالبَحرِ سـابق ذَلِـكَ المَيْـدانِ

فوائد الحديث:

١- معجزة انقلاب الفرس سريعًا بعد أن كان بطيئًا.

٢- جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق بالهلاك.

٣- جواز العارية.

٤- جواز الغزو علىٰ فرس المستعار.

٥- استحباب تقلد السيف في العنق.

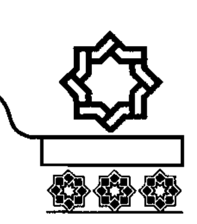
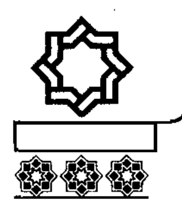
٦- تبشير الناس بعد الخوف إذا ذهب.

٧- بيان ما أكرمه الله تعالىٰ به من جليل الصفات.

٨- شجاعته ﷺ التي ليس لها مثيل.

---

(٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٢/ ٢١٧).

ثبوت جرير على الخيل بعد أن كان لا يثبت عليها

عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، وَكُنْتُ لَا أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»، قَالَ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ، قَالَ: وَكَانَ ذُو الخَلَصَةِ بَيْتًا بِاليَمَنِ لِخَثْعَمَ وَبَجِيلَةَ فِيهِ نُصُبٌ تُعْبَدُ يُقَالُ لَهُ: الكَعْبَةُ، قَالَ: فَأَتَاهَا فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ وَكَسَرَهَا، قَالَ: وَلَمَّا قَدِمَ جَرِيرٌ اليَمَنَ كَانَ بِهَا رَجُلٌ يَسْتَقْسِمُ بِالأَزْلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَاهُنَا، فَإِنْ قَدَرَ عَلَيْكَ ضَرَبَ عُنُقَكَ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ يَضْرِبُ بِهَا إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ، فَقَالَ: لَتَكْسِرَنَّهَا وَلَتَشْهَدَنَّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، قَالَ: فَكَسَرَهَا وَشَهِدَ، ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ رَجُلًا مِنْ أَحْمَسَ يُكْنَى أَبَا أَرْطَاةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُبَشِّرُهُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا جِئْتُ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ، قَالَ: فَبَرَّكَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ(٨).

---

(٨) البخاري(٤٠٠٩)، ومسلم (٤٥٢٥).

معاني الكلمات:

تريحني: تريح قلبي وذهني من الضلال بسببه.

ذي الخلصة: بيت أصنام كانت تعبدها دوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم.

أحمس: قبيلة من العرب.

أجوف: مجوف؛ أي: خال عن كل ما يكون في البطن، والمراد أنه فني بالكلية.

أجرب؛ أي: مطلي بالقطران من الجرب؛ أي: أنها اسودت من الإحراق.

يستقسم: يطلب القسمة من الخير والشر.

الأزلام: قطع خشبية كتب عليها افعل لا تفعل والثالث غفل؛ أي: لم يكتب عليه شيء يضربون بها إذا أرادوا عملًا ما.

المعنى الإجمالي:

من معجزات النبي ﷺ إجابة دعواته؛ ولهذا دعا النبي ﷺ لجرير بعد أن اشتكىٰ إليه عدم ثبوته علىٰ الخيل فضرب صدره وقال: «اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًّا».

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فدعا له النبي ﷺ بأكثر مما طلب بالثبوت مطلقا، وبأن يجعله هاديًا لغيره، مهديًّا لنفسه، فكان كل ذلك، وظهر عليه جميع ما دعا له به، وأول ذلك أنه نفر في خمسين ومائة فارس لذي الخلصة فحرقها،

وعمل فيها جميلًا لا يعمله خمسة آلاف»[٩].

قوله: (ألا تريحني) كلمة (أَلا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام معناها هنا: العرض والتحضيض، وتختص بالجملة الفعلية، و(تريحني): من الإراحة. قوله: (من ذي الخلصة): هو اسم لذلك البيت، وقال ابن الأثير: ذو الخلصة طاغية كانت لدوس يعبدونها، وقيل: هو بيت كان لخثعم يسمىٰ الكعبة اليمانية.

قوله: (فانطلقت): وكان انطلاقه قبل وفاة النبي بشهرين. قوله: (من أَحمُس) بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الميم وفي آخره سين مهملة، وأحمس هذا هو ابن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. قوله: (فضرب في صدري): إنما ضربه في صدره؛ لأن فيه القلب. قوله: (هاديًا) إشارة إلىٰ قوة التكميل، (ومهديًّا) إلىٰ قوة الكمال؛ أي: اجعله كاملًا مكملًا. قال ابن بطال: هو من باب التقديم والتأخير؛ لأنه لا يكون هاديًا لغيره إلا بعد أن يهتدي هو فيكون مهديًّا، وببركة دعاء النبي بقوله: (اللهم ثبته) ما سقط بعد ذلك من فرس.

قوله: (أجوف)؛ أي: مجوف، وهو ضد الصمت؛ أي: خالٍ عن كل ما يكون في البطن، ووجه الشبه بينهما: عدم الانتفاع به، وكونه في معرض الفناء بالكلية لا بقاء ولا ثبات له، وقال الداودي: معنىٰ أجوف: أنها أحرقت فسقط

---

(٩) فقه الدعوة في صحيح البخاري للدكتور سعيد القحطاني(٣/ ٨٠).

السقف وبعض البناء وما كان فيها من كسوة وبقيت خاوية علىٰ عروشها.

قوله: (أو أجرب): شك من الراوي، قال الخطابي: مطلي بالقطران لما به من الجرب فصار أسود؛ لذلك يعني صار من الإحراق. وقال الداودي: شبهها حين ذهب سقفها وكسوتها فصارت سوداء بالجمل الذي زال شعره ونقص جلده من الجرب وصار إلىٰ الهزال.

قوله: فبارك؛ أي: دعا بالبركة خمس مرات(١٠).

فوائد الحديث:

١- أن لقاء الناس بالتبسم وطلاقة الوجه من أخلاق النبوة وهو مناف للتكبر وجالب للمودة.

٢- فضل الفروسية وأحكام ركوب الخيل، فإن ذلك مما ينبغي أن يتعلمه الرجل الشريف والرئيس.

٣- أنه لا بأس للإمام أو للعالم إذا أشار إليه إنسان في مخاطبة أو غيرها أن يضع عليه يده ويضرب بعض جسده، وذلك من التواضع واستماله النفوس.

٤- بركة دعوته ﷺ؛ لأنه جاء في الحديث أنه ما سقط بعد ذلك من الخيل.

٥- جواز هتك ما افتتن به الناس من بناء أو إنسان أو حيوان أو غيره.

٦- فيه قبول خبر الواحد.

٧- الدعاء للجيش.

---

(١٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/ ٧٥).

٨- استحباب إرسال البشير بالفتوح.

٩- النكاية بإزالة الباطل وآثاره والمبالغة في إزالته.

❊ ❊ ❊



الناقة القاعدة تتحرك وتسبق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ قَالَ: فَتًى فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فَقَالَ: «هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا فَإِنَّ فِي عَيْنِ الأَنْصَارِ شَيْئًا». قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا، قَالَ: «عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا». فَذَكَرَ شَيْئًا، قَالَ: «فَكَأَنَّكُمْ تَنْحِتُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذِهِ الجِبَالِ مَا عِنْدَنَا اليَوْمَ شَيْءٌ نُعْطِيكَهُ، وَلَكِنْ سَأَبْعَثُكَ فِي وَجْهٍ تُصِيبُ فِيهِ». فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ وَبَعَثَ الرَّجُلَ فِيهِمْ فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْيَتْنِي نَاقَتِي أَنْ تَنْبَعِثَ، قَالَ فَنَاوَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ كَالمُعْتَمِدِ عَلَيْهِ لِلْقِيَامِ، فَأَتَاهَا فَضَرَبَهَا بِرِجْلِهِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُهَا تَسْبِقُ القَائِدَ)(١١).

معاني الكلمات:

فإن في أعين الأنصار شيئًا يعني: الصغر وقيل زرقة أو عمش.

تنحِتون؛ أي: تقشرون وتقطعون.

من عُرْض هذا الجبل؛ أي: جانبه.

(١١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣)، والبيهقي في السنن الكبري (١٤٧٤٣).

المعنى الإجمالي:

من معجزات نبينا ﷺ أن الحيوانات كانت تنقاد خاضعة له ومتأدبة بحضرته الشريفة، فقد أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: غزوت مع رسول الله فتلاحق بي، وتحتي ناضح لي - أي: جمل - قد أعيا ولا يكاد يسير، فقال لي: (ما لبعيرك؟) قلت: عليل، فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قُدّامها يسير، فقال لي: (كيف ترى بعيرك؟) قلت: بخير قد أصابته بركتك.

قال النووي (قوله ﷺ للمتزوج امرأة من الانصار: «أنظرت اليها؟» قال: لا، قال: «فاذهب فانظر اليها فإن في أعين الأنصار شيئًا») هكذا الرواية شيئًا بالهمز وهو واحد الأشياء، قيل: المراد صغر، وقيل: زرقة، وفي هذا دلالة لجواز ذكر مثل هذا للنصيحة، وفيه استحباب النظر إلىٰ وجه من يريد تزوجها وهو مذهبنا ومذهب مالك وأبىٰ حنيفة وسائر الكوفيين وأحمد وجماهير العلماء، وحكىٰ القاضي عن قوم كراهته؛ وهذا خطأ مخالف لصريح هذا الحديث ومخالف لإجماع الأمة علىٰ جواز النظر للحاجة عند البيع والشراء والشهادة ونحوها، ثم إنه إنما يباح له النظر إلىٰ وجهها وكفيها فقط؛ لأنهما ليسا بعورة، ولأنه يستدل بالوجه علىٰ الجمال أو ضده وبالكفين علىٰ خصوبة البدن أو عدمها هذا مذهبنا، ومذهب الأكثرين، وقال الأوزاعي: ينظر إلىٰ مواضع اللحم، وقال داود: ينظر إلىٰ جميع بدنها، وهذا خطأ ظاهر منابذ

لأصول السنة والاجماع، ثم مذهبنا ومذهب مالك وأحمد والجمهور: أنه لا يشترط في جواز هذا النظر رضاها، بل له ذلك في غفلتها ومن غير تقدم إعلام، لكن قال مالك: أكره نظرة في غفلتها مخافة من وقوع نظرة علىٰ عورة، وعن مالك رواية ضعيفة أنه لا ينظر اليها إلا بإذنها وهذا ضعيف؛ لأن النبي ﷺ قد أذن في ذلك مطلقًا ولم يشترط استئذانها، ولأنها تستحي غالبًا من الإذن، ولأن في ذلك تغريرًا فربما رآها فلم تعجبه فيتركها فتنكسر وتتأذىٰ؛ ولهذا قال أصحابنا: يستحب أن يكون نظره إليها قبل الخطبة حتىٰ إن كرهها تركها من غير إيذاء، بخلاف ما إذا تركها بعد الخطبة والله أعلم. قال أصحابنا: وإذا لم يمكنه النظر استحب له أن يبعث امرأة يثق بها تنظر اليها وتخبره ويكون ذلك قبل الخطبة لما ذكرناه.

قوله ﷺ: «كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل» العرض بضم العين وإسكان الراء هو الجانب والناحية، وتنحِتون بكسر الحاء أي تقشرون وتقطعون، ومعنىٰ هذا الكلام: كراهة اكثار المهر بالنسبة إلىٰ حال الزوج)(١٢).

وفي الحديث معجزة ظاهرة للنبي ﷺ في ضربه للناقة برجله فقامت ونشطت، حتىٰ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُهَا تَسْبِقُ القَائِدَ).

---

(١٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم(٩/ ٢١٠).

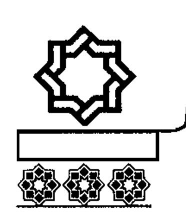
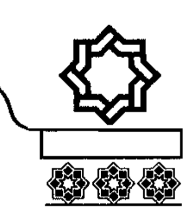
فوائد الحديث:

١- جواز النظر إلىٰ المخطوبة.

٢- مساعدة المحتاجين إلىٰ الزواج وتقديم العون لهم.

٣- بركة النبي ﷺ التي حولت الناقة البطيئة إلي سريعة بمجرد لمسها.

❊ ❊ ❊

حنين الجذع

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ -أَوْ رَجُلٌ- يَا رَسُولَ اللهِ: أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئتُمْ»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ، الذي يُسَكَّنُ، قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»(١٣).

وفي رواية أخري لجابر: (كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ)(١٤).

وفي رواية عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ المِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الجِذْعُ، فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ)(١٥).

---

(١٣) أخرجه البخاري (٣٥٨٤).

(١٤) أخرجه البخاري (٣٣٢٠).

(١٥) أخرجه البخاري (٣٣١٨).

معاني الكلمات:

الأنين: البكاء بصوت فيه توجع وحرقة.

الحنين: صوت بكاء من الشوق واللهفة والحزن.

النخلة؛ أي: الجذع، والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة: واحد جذوع النخل.

العشار: جمع عشراء، وهي الناقة الحامل التي أتىٰ عليها عشرة أشهر من حملها.

بكت علىٰ ما كانت: أي علىٰ فراق ما كانت تسمع من الذكر.

المعنى الإجمالي:

من معجزات رسول الله ﷺ الباهرة حنين الجذع التي كان يخطب عليها في يوم الجمعة، فها هو جذع من نخل قد يبس يبكي، ويُسمع صوت بكاءه حنينًا وشوقًا لرسول الله ﷺ ثم يهدأ ويسكن لما يطيبه رسول الله ﷺ.

وهي قصة مشهورة شهدها الكثير من أصحاب النبي ﷺ، يقصها علينا جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فيقول: كان النبي ﷺ يقوم يوم الجمعة إلىٰ شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: (إن شئتم). فجعلوا له منبرًا.

فلما كان يوم الجمعة خرج إلىٰ المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ، فضمها إليه، تئن أنين الصبي الذي يُسكَّن، قال جابر: كانت

تبكي علىٰ ما كانت تسمع من الذكر عندها.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في (فتح الباري): نقل ابن أبي حاتم في (مناقب الشافعي) عن أبيه، عن عمرو بن سواد، عن الشافعي قال: ما أعطىٰ الله نبيًّا ما أعطىٰ محمدًا، فقلت: أعطىٰ عيسىٰ إحياء الموتىٰ، قال: أعطىٰ محمدًا حنين الجذع حتىٰ سمع صوته؛ فهذا أكبر من ذلك(١٦).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإنما قال: فهذا أكبر منه؛ لأن الجذع ليس محلًّا للحياة، ومع هذا حصل له شعور ووجد لما تحوّل عنه إلىٰ المنبر، فأَنَّ وحنَّ حنين العِشار -أي الناقة الحامل- حتىٰ نزل إليه رسول الله ﷺ، فاحتضنه..)(١٧).

واختلف الرواة في من صنع هذا المنبر، فقيل: صنعه غلام امرأة من الأنصار اسمه ميناء، وقيل: صنعه باقول مولىٰ العاص بن أمية، وقيل: صنعه ميمون النجار، وقيل: صنعه صباح غلام العباس بن عبد المطلب. ويمكن الجمع بين هذه الروايات والشواهد أنهم جميعًا تنافسوا في صنعه، فنسب لكل واحد منهم.

وفي حنين الجذع مصداق لقول الله تعالىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢]، فهذا الجذع دبت فيه الحياة ودب فيه الإدراك من يوم أن استند عليه رسول الله ﷺ

(١٦) فتح الباري (٦/ ٦٩٨).
(١٧) البداية والنهاية (٦/ ٢٧٦).

ليخطب في الناس ويتلو آيات الله، فلما سمع الجذع هذا الذكر المبارك كانت الحياة وكان الشفاء، ولما تظهر آثاره إلا يوم أن فارقه رسول الله ﷺ فحنَّ حنين الصبي المشتاق إلىٰ ما يحييه.

وكانت هذه آية معجزة أراد الله أن يريها عبادة ليزدادوا إيمانًا، وما جرىٰ علىٰ مجرىٰ الإعجاز فهو خرق للعادة.

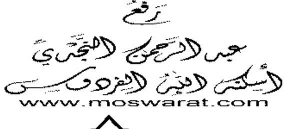
فوائد الحديث:

١- رحمته ﷺ التي شملت الجمادات، فهو كما قال القرآن الكريم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

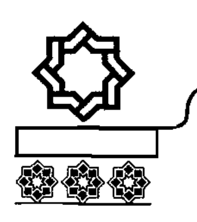
٣- آية من أعظم الآيات الدالة علىٰ نبوة الحبيب ﷺ وصدق رسالته، وهي معجزة كبرىٰ علىٰ مثلها آمن البشر لعجزهم علىٰ الإتيان بمثلها؛ ليكون ذلك تنبيها للناس علىٰ معرفة موضعه ﷺ منه سبحانه وتعالى.

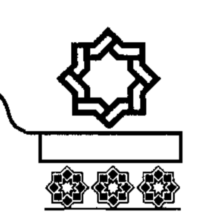
٤- فضيلة الذكر وكيف أن الجذع لما فقد سماع الذكر منه ﷺ بكي.











الأحجار تسلم على رسول الله ﷺ

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ»(١٨).

معاني الكلمات:

حجرًا: قيل: هو الحجر الأسود، وقيل: هو غيره.

المعنى الإجمالي:

إن من معجزاته ﷺ العظيمة نطقُ الجمادات بين يديه، فالجمادات لا تعقل ولا تنطق، ومن هذه المعجزات تسليم الحجر عليه ﷺ وهي من إرهاصات وعلامات نبوته.

فإذا أنطقها الله بتصديقه، فهو دليل رضاهُ عن النبي في قوله بنبوة نفسه وتصديقه حين قال بإرسال الله إياه.

قال العلامة المناوي: قوله: (إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي)؛ أي: بالنبوة، قيل: هو الحجر الأسود، وقيل: البارز بزقاق المرفق، وعليه أهل مكة سلفًا وخلفًا، وكان ذلك (قبل أن أبعث)؛ أي: أرسل وقيد به؛ لأن الحجارة

---

(١٨) أخرجه مسلم (٤٢٢٢)، وأحمد (١٩٩١٢).

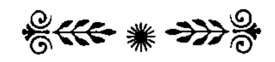
كلها كانت تسلم عليه بعد البعث، كما روي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإن قيل: ما حكمة إلقاء هذا الحديث بصورة التأكيد بإن والجملة الاسمية وليس المقام مقام إنكار؟ قلنا: قد يكون علم منهم الغفلة عن مثل هذا في ذلك الوقت فأراد التنبيه عليه بتنزيلهم منزلة الغافلين عنه، كما في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون:١٥]، ولم ينكر أحد الموت لكن لما غلبت الغفلة عنه حسن أو بالنظر إلىٰ غيرهم؛ لأنه أمر مستغرب فهو في مظنة الإنكار، فإن قيل: محصول الخبر إفادة العلم بعرفانه حجرًا كان يسلم وهو وهم كانوا يعلمون سلام الحجر وغيره عليه فلم خصه؟ قلنا: يحتمل أنه حجر ذو شأن عظيم؛ ولهذنكره تنكير تعظيم، ومن ثَمَّ قيل: هو الحجر الأسود كما تقرر، وبهذا المعنىٰ يلتئم مع خبر عائشة «لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا مدر ولا شجر إلا سلم علي». قال ابن سيد الناس: وهذا التسليم يحتمل كونه حقيقة بأن أنطقه الله كما أنطق الجذع، وكونه مضافًا إلىٰ ملائكة عنده من قبيل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢]، قال غيره: والصحيح الأول معجزة له كإحياء الموتىٰ معجزة لعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ اهـ(١٩).

فوائد الحديث:

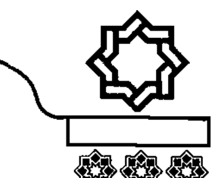
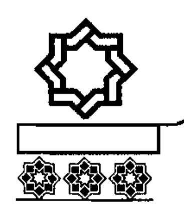
١- قال النووي: (في الحديث معجزة له ﷺ وفي هذا إثبات التميز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالىٰ في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ

(١٩) فيض القدير (٣/ ٢٥) بتصرف.

خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء:٤٤]، وفي هذه الاية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة ويجعل الله تعالىٰ فيه تمييزًا بحسبه كما ذكرنا، ومنه الحجر الذي فر بثوب موسىٰ ﷺ وكلام الذراع المسمومة ومشىٰ إحدىٰ الشجرتين إلىٰ الأخرىٰ حين دعاهما النبي ﷺ وأشباه ذلك)[٢٠].



(٢٠) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٥/ ٣٦).

وضع يده ﷺ في مزادتي الماء ففاض وشرب منه أربعون

عَنْ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَإِنَّا أَسْرَيْنَا حَتَّى كُنَّا فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَعْنَا وَقْعَةً وَلَا وَقْعَةَ أَحْلَى عِنْدَ المُسَافِرِ مِنْهَا، فَمَا أَيْقَظَنَا إِلَّا حَرُّ الشَّمْسِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ يُسَمِّيهِمْ أَبُو رَجَاءٍ فَنَسِيَ عَوْفٌ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ الرَّابِعُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَامَ لَمْ يُوقَظْ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَسْتَيْقِظُ؛ لِأَنَّا لَا نَدْرِي مَا يَحْدُثُ لَهُ فِي نَوْمِهِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ عُمَرُ وَرَأَى مَا أَصَابَ النَّاسَ، وَكَانَ رَجُلًا جَلِيدًا فَكَبَّرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ حَتَّى اسْتَيْقَظَ بِصَوْتِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ شَكَوْا إِلَيْهِ الَّذِي أَصَابَهُمْ، قَالَ: «لَا ضَيْرَ»، أَوْ: «لَا يَضِيرُ»: «ارْتَحِلُوا»، فَارْتَحَلَ فَسَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ نَزَلَ فَدَعَا بِالوَضُوءِ فَتَوَضَّأَ وَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مُعْتَزِلٍ لَمْ يُصَلِّ مَعَ القَوْمِ، قَالَ: «مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ القَوْمِ؟»، قَالَ: أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ»، ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ، فَاشْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ العَطَشِ فَنَزَلَ فَدَعَا فُلَانًا -كَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو رَجَاءٍ نَسِيَهُ عَوْفٌ- وَدَعَا عَلِيًّا، فَقَالَ: «اذْهَبَا فَابْتَغِيَا المَاءَ»، فَانْطَلَقَا فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا، فَقَالَا لَهَا: أَيْنَ المَاءُ؟ قَالَتْ: عَهْدِي بِالمَاءِ أَمْسِ هَذِهِ السَّاعَةَ وَنَفَرُنَا خُلُوفًا، قَالَا لَهَا: انْطَلِقِي إِذًا،

قَالَتْ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَا: إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ! قَالَا: هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ فَانْطَلِقِي، فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَحَدَّثَاهُ الحَدِيثَ قَالَ: «فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا»، وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ المَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ، وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُمَا وَأَطْلَقَ العَزَالِيَ، وَنُودِيَ فِي النَّاسِ: اسْقُوا وَاسْتَقُوا، فَسَقَى مَنْ شَاءَ وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ، وَكَانَ آخِرُ ذَاكَ أَنْ أَعْطَى الَّذِي أَصَابَتْهُ الجَنَابَةُ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ»، وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ أُقْلِعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلْأَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْمَعُوا لَهَا»، فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا فَجَعَلُوهَا فِي ثَوْبٍ وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا، قَالَ لَهَا: «تَعْلَمِينَ مَا رَزِئْنَا مِنْ مَائِكِ شَيْئًا، وَلَكِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَسْقَانَا»، فَأَتَتْ أَهْلَهَا وَقَدْ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ، قَالُوا: مَا حَبَسَكِ يَا فُلَانَةُ؟ قَالَتْ: العَجَبُ، لَقِيَنِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَوَاللهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ، وَقَالَتْ بِإِصْبَعَيْهَا الوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ - تَعْنِي السَّمَاءَ وَالأَرْضَ- أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ حَقًّا، فَكَانَ المُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ يُغِيرُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنْ المُشْرِكِينَ وَلَا يُصِيبُونَ الصِّرْمَ الَّذِي هِيَ مِنْهُ، فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا: مَا أُرَى أَنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ يَدْعُونَكُمْ عَمْدًا، فَهَلْ لَكُمْ فِي الإِسْلَامِ فَأَطَاعُوهَا فَدَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ [٢١].

---

(٢١) أخرجه البخاري (٣٣١).

معاني الكلمات:

جليدًا الجليد: الجلد القوي في نفسه وجسمه.

الأجوف: الضخم الجوف، العظيمة.

الضير والضرر: المضرة، ولا يضير لا يضر، إلا أنه تفعل من الضير.

الصعيد: وجه الأرض، وقيل: التراب خاصة.

المزادة: القربة والراوية.

النفر: جماعة القوم، وقيل: هم من ثلاثة إلىٰ عشرة.

الخلوف: الغيب عن الحي، والمعنىٰ: أن الرجال قد خرجوا من الحي، وأقام النساء، وقيل: إن الخلوف من الأضداد، يكون بمعنىٰ المقيمين، والراحلين.

الصابئ: الذي خرج من دين إلىٰ دين آخر.

العزالي: أفواه المزادة السفلىٰ، واحدها: عزلاء.

الإيكاء: الشد والربط، و(الوكاء): ما يشد به رأس القربة وغيرها من خيط ونحوه.

ما رزأنا: ما أخذ منا ولا نقصنا.

الصرم: طائفة من القوم ينزلون بإبلهم ناحية من الماء منفردين.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث من أعلام النبوة، وفيه من المعجزات العظيمة التي أجراها الله تعالىٰ علىٰ يدي النبي ﷺ عندما حصلت البركة بمشاركة ريقه الطاهر المبارك للماء، فصار الماء كثيرًا، وشرب منه أربعين رجلًا وملئوا الأواني، والمرأة ما نقص من مائها شيء، بل إنه أكثر مما كان.

لقد استدلت المرأة علىٰ صدق النبي ﷺ ونبوته بما رأته من دليل باهر ومعجزة عظيمة حصلت ببركة النبي ﷺ، وكيف لا تعجب وقد شرب القوم من مائها القليل، فكفاهم رغم كثرتهم، من غيرِ أن يَنقُص شيء من مائها.

وهذا لا يمكن أن يكون إلا من نبي، ومهما حصل الآن من الاختراعات فلا يمكن أن يتوصلوا إلىٰ أن يجعلوا قربة ماء تكفي أربعين رجلًا، ثم تملأ القرب وتكون أكثر مما كانت، فهذه معجزة لا يمكن أن تقع إلا لنبي، وهي من الآيات التي تقام بها الحجة علىٰ المشركين، ولذلك كانت المرأة مذهولة، وعرفت وقالت: أو إنه رسول الله.

قال ابن حجر: وقد اشتمل ذلك علىٰ عَلمٍ عظيمٍ من أعلام النبوة... وظاهره أن جميع ما أخذوه من الماء مما زاده الله تعالىٰ وأوجده، وأنه لم يختلط فيه شيء من مائها في الحقيقة وإن كان في الظاهر مختلِطًا، وهذا أبدعُ وأغربُ في المعجزة. ويُحتمل أن يكون المراد: ما نَقصْنَا من مِقدار مائِك شيئًا.

فوائد الحديث:

١- استحباب سلوك الأدب مع الأكابر كما في فعل عمر رضي الله عنه في إيقاظ النبي.

٢- إظهار التأسف لفوات أمر من أمور الدين.

٣- لا حرج علىٰ من تفوته صلاة لا بتقصير منه لقوله: «لا ضير».

٤- أن من أجنب ولم يجد ماء فإنه يتيم لقوله: «عليكم بالصعيد».

٥- أن العالم إذا رأىٰ أمرًا مجملًا يسأل فاعله عنه ليوضحه فيوضح له هو وجه الصواب.

٦- استحباب الملاطفة والرفق في الإنكار علىٰ أحد فيما فعله.

٧- التحريض علىٰ الصلاة بالجماعة.

٨- الإنكار علىٰ ترك الشخص الصلاة بحضرة المصلين بغير عذر.

٩- أن قضاء الفوائت واجب ولا يسقط بالتأخير ويأثم بتأخيره بغير عذر.

١٠- أن من حلت به فتنة في بلد فليخرج منه وليهرب من الفتنة بدينه، كما فعل الشارع بارتحاله عن بطن الوادي الذي تشاءم به لأجل الشيطان.

١١- أن من ذكر صلاة فائتة له أن يأخذ من يصلح من وضوء وطهارة وابتغاء بقعة تطمئن نفسه للصلاة عليها، كما فعل الشارع بعد أن ذكر الفائتة فارتحل بعد الذكر ثم توضأ وتوضأ الناس.

١٢- استحباب الأذان للفائتة.

١٣- جواز أداء الفائتة بالجماعة.

١٤- طلب الماء للشرب والوضوء.

١٥- أخذ الماء المملوك لغيره لضرورة العطش بعوض، وفيه أن العطشان يقدم على الجنب عند صرف الماء إلى الناس.

١٦- جواز المعاطاة في الهبات والإباحات من غير لفظ من الجانبين.

١٧- تقديم مصلحة شرب الآدمي والحيوان على غيره كمصلحة الطهارة بالماء.

١٨- جواز الخلوة بالأجنبية عند أمن الفتنة في حالة الضرورة الشرعية.

١٩- جواز استعمال أواني المشركين ما لم يتيقن فيها نجاسة.

٢٠- جواز اجتهاد الصحابة بحضرة النبي ﷺ وفيه خلاف مشهور.

٢١- جواز تأخير الفائتة عن وقت ذكرها إذا لم يكن عن تغافل أو استهانة؛ وذلك من قوله: «ارتحلوا» بصيغة الأمر.

٢٢- مراعاة ذمة الكافر والمحافظة به كما حفظ النبي هذه المرأة في قومها وبلادها فراعى في قومها ذمامها وإن كانت من صميمهم.

٢٣- جواز الحلف من غير الاستحلاف.

٢٤- جواز الشكوى من الرعايا إلى الإمام عند حلول أمر شديد.

٢٥- استحباب التعريس للمسافر إذا غلبه النوم.

٢٦- مشروعية قضاء الفائت الواجب وأنه لا يسقط بالتأخير.

٢٧- جواز الأخذ للمحتاج برضا المطلوب منه وبغير رضاه إن تعين.

٢٨- إباحة السفر من غير أن يعين يومًا أو شهر.

٢٩- فيه من دلائل النبوة حيث توضئوا وشربوا وسقوا واغتسل الجند مما سقط من العزالي وبقيت المزادتان مملوءتان ببركته وعظيم برهانه.

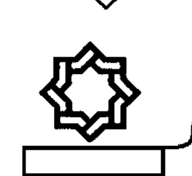
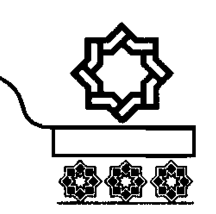
٣٠- أن جميع ما أخذوه من الماء مما زاده الله وأوجده وأنه لم يختلط فيه شيء من ماء تلك المرأة في الحقيقة وإن كان في الظاهر مختلطًا، وهذا أبدع وأغرب في المعجزة.

٣١- أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أجلد المسلمين وأصلبهم في أمر الله تعالىٰ(٢٢).

❊ ❊ ❊

(٢٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٦/ ٧٩).



نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ

عن أَنسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَحَانَتْ صَلاَةُ العَصْرِ، فَالتَمَسَ النَّاسُ الوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ، قَالَ: فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبَعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ[٢٣].

وفي رواية: (كانوا ثمانين)، وفي رواية: (كانوا ثلاثمائة).

معاني الكلمات:

حانت: أي: قرب وقتها.

فالتمس الناس: الالتماس: البحث والطلب.

ينبع: من النبع وهو خروج الماء.

حتىٰ توضئوا من عند آخرهم: أي: توضئوا جميعًا.

المعنى الإجمالي:

هذه المعجزة من أعظم معجزاته ﷺ، وهي أعظم من تفجر الحجر بالماء، رواها الثقات و العدد الكثير عن ا لجماء الغفير، عن العدد الكثير من الصحابة.

---

(٢٣) أخرجه البخاري (١٦٤)، ومسلم (٤٢٢٥).

يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره، وتكثير الطعام؛ هذه كلها معجزات ظاهرات وُجِدت من رسول الله ﷺ في مواطن مختلفة وعلىٰ أحوال متغايرة، وبلغ مجموعها التواتر، وأما تكثير الماء فقد صحَّ من رواية أنس، وابن مسعود، وجابر، وعمران بن الحصين، وكذا تكثير الطعام وُجِد منه ﷺ في مواطن مختلفة وعلىٰ أحوال كثيرة)[٢٤].

قال المزني رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما أعطي رسول الله ﷺ من هذه الآية العظيمة، والعلم الجسيم في نبع الماء من بين أصابعه أعظم مما أوتيه موسىٰ حين ضرب بعصاه الحجر؛ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا؛ لأن الماء معهود أن تنفجر من الحجارة، وليس بمعهود أن يتفجر من بين أصابع أحد غير نبينا ﷺ).

وقال المهلب مثله، وزاد: (أن الماء كان بمقدار وضوء رجل واحد، وعم أهل العسكر أجمعين ببركته ﷺ)[٢٥].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وظاهر كلامه: أن الماء نبع من نفس اللحم الكائن في الأصابع، ويؤيده قوله في حديث جابر: (فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه). وأوضح منه ما وقع في حديث ابن عباس عند الطبراني (فجاءوا بِشَنٍّ فوضع رسول الله ﷺ يده عليه ثم فرق أصابعه؛ فنبع الماء من أصابع رسول الله ﷺ مثل عصا موسىٰ)، فإن الماء تفجر من نفس العصا، فتمسكه به يقتضي أن

---

(٢٤)شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٥/ ٣٨).
(٢٥)شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٢٦٣).

الماء تفجر من بين أصابعه، ويحتمل أن يكون المراد: أن الماء كان ينبع من بين أصابعه بالنسبة إلىٰ رؤية الرائي، وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر، وكفه ﷺ في الماء فرآه الرائي نابعًا من بين أصابعه، والأول أبلغ في المعجزة، وليس في الأخبار ما يرده وهو أولىٰ)(٢٦).

وقال القاضي عياض: (وهذه القضية رواها الثقات من العدد الكثير عن الجم الغفير عن الكافة متصلًا عمن حدث بها من جملة الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في مواطن اجتماع الكثير منهم من محافل المسلمين ومجمع العساكر، ولم يرو واحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما رواه ولا إنكار عما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه، فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق منهم؛ إذ هم المنزهون عن السكوت علىٰ الباطل، والمداهنة في كذب، وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم. فهذا النوع كله ملحق بالقطعي من معجزاته عليه الصلاة والسلام. وفيه رد علىٰ ابن بطال حيث قال في شرحه هذا الحديث: شهده جماعة كثيرة من الصحابة إلا أنه لم يرو إلا من طريق أنس رضي الله عنه؛ وذلك -والله تعالىٰ أعلم- لطول عمره، ويطلب الناس العلو في السند)(٢٧).

فوائد الحديث:

١- صدق نبوته ﷺ، وأن ما جاء به من عند الله هو حق وصدق؛ لأن

---

(٢٦) فتح الباري (٦/ ٥٨٥).

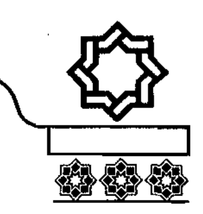
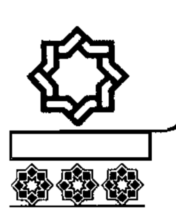
(٢٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٧٩).

خروج الماء من بين أصابعه شيء لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالىٰ القادر علىٰ كل شيء.

٢- تأييد الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه بالمعجزات الحسية التي تلجم أفواه المعاندين، وتزيد من إيمان المؤمنين.

٣- أن اغتراف المتوضئ من الماء لا يصيره مستعملًا، واستدل به الشافعي علىٰ أن الأمر بغسل اليد قبل إدخالها الإناء أمر ندب لا حتم.



البركة العجيبة في اللبن

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنْ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنْ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمْ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسم ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «الحَقْ» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ، قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي»، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلَامِ لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا؛ فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنْ البَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ

اللهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ»، قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ(٢٨).

معاني الكلمات:

لأعتمد بكبدي: ألصق بطني بالأرض.

لأشد: أربط.

طريقهم: أي النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

أضياف الإسلام: ضيوف المسلمين.

يأوون: ينزلون ويلتجئون.

فساءني ذلك: أهمني وأحزنني.

جاء: أي الذي أمرني بدعوته وهم أهل الصفة.

---

(٢٨) أخرجه البخاري (٥٩٧١).

المعنى الإجمالي:

يخبر أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن حاله ذات يوم وقد أخذ به الجوع كل مأخذ فيقول: (وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَىٰ الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ)؛ أي: ألصق بطني بالأرض. قوله: (وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَىٰ بَطْنِي مِنْ الجُوعِ) اللام فيه للتأكيد، وفي رواية عن أبي هريرة: (لتأتي علىٰ أحدنا الأيام ما يجد طعامًا يقيم به صلبه، حتىٰ إن كان أحدنا ليأخذ الحجر فيشد به علىٰ أخمص بطنه، ثم يشده بثوبه ليقيم به صلبه)، وفائدة شد الحجر علىٰ البطن: المساعدة علىٰ الاعتدال والانتصاب علىٰ القيام، أو المنع من كثرة التحلل من الغذاء الذي في البطن لكونها حجارة رقاقًا تعدل البطن، وربما سدت طرف الأمعاء فيكون الضعف أقل، أو تقليل حرارة الجوع ببرودة الحجر، أو الإشارة إلىٰ كسر النفس وإلقامها الحجر ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. وقال الخطابي: أشكل الأمر في شد الحجر علىٰ قوم حتىٰ توهموا أنه تصحيف من الحجز بالزاي جمع الحجزة التي يشد بها الإنسان وسطه، لكن من أقام بالحجاز عرف عادة أهله في أن المجاعة تصيبهم كثيرًا، فإذا خوىٰ البطن لم يكن معه الانتصاب فيعمد حينئذ إلىٰ صفائح رقاق في طول الكف فيربطها علىٰ البطن فتعتدل القامة بعض الاعتدال. قلت: وممن أنكر ربط الحجر ابن حبان في (صحيحه).

قوله: (علىٰ طريقهم)؛ أي: طريق النبي ﷺ وأصحابه ممن كان طريق

منازلهم إلىٰ المسجد متحدة. قوله: (ليشبعني) من الإشباع من الجوع، وفي رواية الكشميهني: (ليستتبعني) من الاستتباع، وهو طلب أن يتبعه.

قوله: (فمر) أي إلىٰ حاله ولم يفعل؛ أي: الإشباع أو الاستتباع. قوله: (ثم مر بي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) كأنه استقر هنا حتىٰ مر به عمر فوقع أمره معه مثل ما وقع مع أبي بكر، والظاهر أنهما حملا سؤال أبي هريرة علىٰ ظاهره وهو سؤاله عن آية من القرآن، أو لم يكن عندهما شيء إذ ذاك، ويروىٰ أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تأسف علىٰ عدم إدخاله أبا هريرة في داره.

قوله: (وما في وجهي)؛ أي: من التغير فيه من الجوع.

ثم مر به النبي ﷺ وفطن إلىٰ حاله فأمره باللحوق به فدخل بيته واستأذن وأذن له فوجد قدحًا من اللبن، قال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: (من فلان أو فلانة). فأمره النبي ﷺ أن ينطلق إلىٰ أهل الصفة فيدعوهم، قال أبو هريرة: (فساءني ذلك)، ومعناه أهمني ذلك، قوله: (وماهذا اللبن في أهل الصفة)؛ أي: ما قدره في أهل الصفة، الواو فيه عطف علىٰ محذوف تقديره: هذا قليل، أو نحو ذلك. ولكن لم يكن لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أن يطيع رسول الله ﷺ.

قوله: (وأخذوا مجالسهم من البيت)؛ يعني: قعد كل واحد منهم في المجلس الذي يليق به، ولم يذكر عددهم، وقد تقدم في أبواب المساجد في كتاب الصلاة من طريق أبي حازم عن أبي هريرة: (رأيت سبعين من أصحاب الصفة) الحديث، وذكر في (الحلية): أن عدتهم تقرب من المائة، وقال أبو نعيم: كان عدد أهل الصفة يختلف بحسب اختلاف الحال فربما اجتمعوا

فكثروا، وربما تفرقوا؛ إما لغزو، أو سفر، أو استغناء فقلّوا، وقيل هنا: كانوا أكثر من سبعين.

قوله: «خذ»؛ أي: القدح الذي فيه اللبن فأعطهم، فكان يعطي الواحد منهم فيشرب حتىٰ يروىٰ حتىٰ شربوا عن آخرهم.

قوله: (فتبسم) كان ذلك لأجل توهم أبي هريرة أن لا يفضل له من اللبن شيء.

قوله: (بقيت أنا وأنت) هذا بالنسبة إلىٰ من حضر من أهل الصفة فأما من كان في البيت من أهل النبي فلم يتعرض لذكرهم، ويحتمل أن لا يكون إذ ذاك في البيت أحد، أو كانوا أخذوا كفايتهم، وكان الذي في القدح نصيب النبي.

قوله: «فحمد الله وسمىٰ»؛ أما الحمد فلحصول البركة فيه، وأما التسمية فلإقامة السنة عند الشرب، وشرب الفضلة؛ أي: البقية(٢٩).

فوائد الحديث:

١- استحباب الشرب من قعود.

٢- وأن خادم القوم إذا دار عليهم بما يشربون يتناول الإناء من كل واحد فيدفعه هو إلىٰ الذي يليه ولا يدع الرجل يناول رفيقه لما في ذلك من نوع امتهان الضيف.

٣- وفيه معجزة عظيمة وقد تقدم لها نظائر في علامات النبوة من تكثير

---

(٢٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٢/ ٢٢٥) بتصرف.

الطعام والشراب ببركته ﷺ.

٤- وفيه جواز الشبع ولو بلغ أقصىٰ غايته أخذًا من قول أبي هريرة: (لا أجد له مسلكًا)، وتقرير النبي ﷺ علىٰ ذلك خلافًا لمن قال بتحريمه، وإذا كان ذلك في اللبن مع رقته ونفوذه فكيف بما فوقه من الأغذية الكثيفة، لكن يحتمل أن يكون ذلك خاصًّا بما وقع في تلك الحال فلا يقاس عليه، ويمكن الجمع بأن يحمل الزجر علىٰ من يتخذ الشبع عادة لما يترتب علىٰ ذلك من الكسل عن العبادة وغيرها، ويحمل الجواز علىٰ من وقع له ذلك نادرًا، ولا سيما بعد شدة جوع واستبعاد حصول شيء بعده عن قرب.

٥- كتمان الحاجة والتلويح بها أولىٰ من إظهارها والتصريح بها.

٦- كرم النبي ﷺ وإيثاره علىٰ نفسه وأهله وخادمه.

٧- ما كان بعض الصحابة عليه في زمن النبي ﷺ من ضيق الحال.

٨- فضل أبي هريرة وتعففه عن التصريح بالسؤال واكتفاؤه بالإشارة إلىٰ ذلك، وتقديمه طاعة النبي ﷺ علىٰ حظ نفسه مع شدة احتياجه.

٩- أن المدعو إذا وصل إلىٰ دار الداعي لا يدخل بغير استئذان.

١٠- جلوس كل أحد في المكان اللائق به.

١١- إشعار بملازمة أبي بكر وعمر للنبي ﷺ ودعاء الكبير خادمه بالكنية، وفيه ترخيم الاسم علىٰ ما تقدم، والعمل بالفراسة، وجواب المنادي بلبيك، واستئذان الخادم علىٰ مخدومه إذا دخل منزله.

١٢- سؤال الرجل عما يجده في منزله مما لا عهد له به ليرتب علىٰ ذلك

مقتضاه.

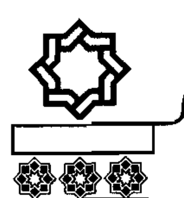
١٣- قبول النبي ﷺ الهدية وتناوله منها وإيثاره ببعضها الفقراء، وامتناعه من تناول الصدقة ووضعه لها فيمن يستحقها.

١٤- شرب الساقي آخرًا، وشرب صاحب المنزل بعده.

١٥- الحمد علىٰ النعم والتسمية عند الشرب[٣٠].

---

(٣٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٢٨٨).



شاة أم معبد التي لا تدر اللبن درت ببركة رسول الله ﷺ

عن أُمِّ مَعْبَدٍ وَاسمهَا عَاتِكَةُ بِنْتُ خَالِدٍ الخُزَاعِيَّةُ قَالَتْ: لَمَّا أَنْ هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، وَخَرَجَ مِنْهَا يُرِيدُ المَدِينَةَ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَمَوْلًى لأَبِي بَكْرٍ، يُقَالُ لَهُ: عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الأُرَيْقِطِ اللَّيْثِيُّ دَلِيلُهُمْ، فَمَرُّوا بِنَا، فَدَخَلُوا خَيْمَتِي وَأَنَا مُحْتَبِئَةٌ بِفِنَاءِ خَيْمَتِي، أَسْقِي، وَأُطْعِمُ المَارِّينَ، فَقَالَ: «أَلا هَلْ مِنْ لَحْمٍ»، فَبَعَثْتُ إِلَيْهِمْ بِشَاةٍ ذَاتِ لَبَنٍ، فَرَدَّهَا، وَبَعَثْتُ إِلَيْهِ بِعَنَاقٍ جَذَعةٍ، فَقَبِلَهَا، وَقَالَ: «إِنَّمَا رَدَدْنَا الشَّاةَ لأَنَّهَا ذَاتُ لَبَنٍ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ تَمْرٍ؟» فَقُلْتُ: لا وَاللهِ، وَلَوْ كَانَ عِنْدِي مَا تَطْلُبُونَ، مَا جَاوَزْتُمْ خَيْمَتِي، وَكَانُوا مُرْمِلِينَ، مَجْهُودِينَ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ، فَإِذَا شَاةٌ بِالفِنَاءِ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟» فَقُلْتُ: شَاةٌ خَلَّفَهَا الرَّاعِي مِنَ الجَهْدِ، لَيْسَ بِهَا لَبَنٌ، وَلا لَحْمٌ، قَالَ: «تَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَدْنُوَ مِنْهَا وَنَحْلِبُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حِلابًا، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ»، وَدَعَا رَبَّهُ، فَتفاجَّتْ، وَدَرَّتْ، وَاجْتَرَتْ، وَكُلِّفَتْ، ثُمَّ دَعَا بِالإِنَاءِ، فَأَتَيْتُهُ بِإِنَاءٍ لَنَا، إِذَا مَلأْنَاهُ يُرْبِضُ الرَّهْطَ، فَحَلَبَ مِنْهَا، حَتَّى امْتَلأَ، وَتَدَفَّقَ، فَسَقَانِي حَتَّى رُوِيتُ، ثُمَّ سَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ رَجُلًا رَجُلًا مِمَّنْ مَعَهُ، ثُمَّ شَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ ارْتَحَلَ وَارْتَحَلَ أَصْحَابُهُ عَنَّا، وَبَايَعَهُ أَهْلُ المَاءِ عَلَى الإِسْلامِ، ثُمَّ جَاءَ زَوْجِي مِنَ

الرَّعْيِ، يَسُوقُ أَعْنُزًا لَنَا عِجَافًا، فَقَرَّبْتُ إِلَى زَوْجِي اللَّبَنَ، وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَخْبَرْتُهُ بِبَرَكَتِهِ، فَقَالَ: صِفِيهِ لِي، قُلْتُ: نَعَمْ، رَجُلٌ ظَاهِرُ الوَضَاءَةِ، أَبْلَجُ الوَجْهِ، حَسَنُ الخُلُقِ، بَسَّامًا، وَلَيْسَ نَحِيلًا، وَلا مُدْلِمًا، وَلا مُطْهَمًا، أَبْيَض، وَسِيمٍ، ثَقِيلٌ، أَدْعَجُ العَيْنَيْنِ، أَهْدَبُ الأَشْفَارِ، مُنْعَطِفٌ، جَهِيرُ الصَّوْتِ، كَأَنَّ عُنُقَهُ سَطْحُ قَمَرٍ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، أَزَجُّ الحَوَاجِبِ، مَقْرُونٌ، إِذَا تَكَلَّمَ عَلاهُ البَهَاءُ، وَإِذَا سَكَتَ فَعَلَيْهِ الوَقَارُ، أَجْمَلُ النَّاسِ، وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْلَى النَّاسِ، وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، شَهِيُّ المَنْطِقِ، فَصْلٌ، لا فُضُولٌ، وَلا هَذْرَمَةٌ، إِذَا تَكَلَّمَ نَظْمُ الدَّرِّ، وَالمَرْجَانِ، لا نَزْرَ، وَلا نُقْصَانَ، رَجُلٌ فَوْقَ الرَّبْعَةِ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ، أَنْظُرُ الثَّلاثَةِ، وَأَطْرَاهُ، أَحْسَنُهُمْ مَنْظَرًا، وَأَتَمُّهُمْ جِسْمًا، إِذَا جَلَسَ حَفَوْا بِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ أَنْصِتُوا، وَإِذَا قَامَ قَامُوا حَوْلَهُ، وَإِذَا أَمَرَ بِأَمْرٍ ابْتَدَرُوهُ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ، مَحْفُودٌ، مَحْشُودٌ، يَحْسُدُهُ قَوْمُهُ لِمَا اللهُ نُورَهُ، لا عَابِسَ، وَلا يَعْتَدِي عَلَى أَحَدٍ بِشَرٍّ، أَطْهَرُ النَّاسِ خُلُقًا، وَأَكْرَمُهُمْ عُودًا ﷺ، فَقَالَ لِي زَوْجِي: هَذَا وَاللهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ بِمَكَّةَ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آتِيَهُ فَأَصْحَبَهُ، وَلأَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ سَمِعُوا بِمَكَّةَ صَوْتًا عَالِيًا، يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ، وَلا يَرَوْنَ مَنْ صَاحِبُهُ، وَلا يَرَوْنَ شَخْصَهُ وَهُوَ يَقُول:

جَـزَىٰ الله ربُّ النـاس خـير جَزائـهِ
رفيقَــين قــالا خَيمتَــيْ أُمِّ مَعبــدِ
هُمــا نــزلا بالهَــدْي واهتــديا بــهِ
فقـد فـازَ مَـنْ أمسىٰ رَفيـقَ محمَّـدِ

فيـا لِقُـصَيٍّ مـا زَوَىٰ الله عـنكمُ
بـهِ مِـنْ فَعـالٍ لا تُجـارَىٰ وسُـؤْدَد
لِـيهن بنـي كعـب مكـانُ فتـاتِهم
ومقعـدُها للمـؤمنين بَمرْصَـد
سَـلُوا أُختكمْ عـنْ شـاتِها وإنائهـا
فـإنكمُ إنْ تـسْأَلوا الـشَّاةَ تَـشْهدِ
دَعاهـا بـشَاة حائـل فتحلَّبـتْ
عليـه صَريحًـا ضَرَّهُ الـشاة مُزْبِـدِ
فغـادَرَه رَهْنًـا لـديها لحالِـب
يُردّدهـا في مَـصْدرٍ ثُـمَّ مَـوْرِد

فَسَمِعَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ هَذِهِ الأَبْيَاتَ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَقَـدْ خَـابَ قَـوْمٌ زَالَ عَـنْهُمْ نَبِـيُّهُم
وَقُدِّسَ مَنْ يسْري إِلَـيْهِمْ وَيَغْتَـدِي
تَرَحَّـلَ عَـنْ قَـوْم فَـضَلَّتْ عُقُـولُهُمْ
وَحَـلَّ عَـلَىٰ قَـوْم بِنُـورٍ مُجَـدَّد
هَـدَاهُمْ بِـهِ بَعْـدَ الـضَّلالَةِ رَبُّهُـمْ
وَأَرْشَـدَهُمْ مَـنْ يَتْبَـع الحَـقَّ يَرْشُـد
وَهَـلْ يَـسْتَوِي ضُـلالُ قَـوْم تَـسَفَّهُوا
عَمَايَـتَهُمْ هَـادٍ لَـهُ كُـلُّ مُهْتَـد
وَقَـدْ نَزَلَـتْ مِنْـهُ عَلَىٰ أَهْـلِ يَثْـرِب
رِكَابُ هُدًىٰ حَلَّـتْ عَلَـيْهِمْ بَأَسْـعَدِ

يَـرَىٰ مَـا لا يَـرَىٰ النَّـاسُ حَوْلَـه
وَيَتْلُـو كِتَـابَ اللهِ فِي كُـلِّ مَـشْهَد
فَـإِنْ قَـالَ فِي يَـوْم مَقَالَـةَ غَائِـب
فَتَـصْدِيقُهَا فِي اليَـوْم أَوْ فِي غَـد
لِـيَهْنِ أَبَـا بَكْـرِ سَـعَادَةُ جَـدِّه
بِـصُحْبَتِهِ مَـنْ يُـسْعِدِ اللهُ يَـسْعَد
وَيَهْـنِ بَنِـي كَعْـب مَقَـامُ فَتَـاتِهِم
وَمَقْعَـدُهَا لِلْمُـؤْمِنِينَ بمَرْصَـد(٣١)

معاني الكلمات:

برزةٌ: أي: هي كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب.

مرملين: أي: نفد زادهم، يقال: أرمل الرجل: إذا ذهب طعامه.

مسنتين، أي: أصابهم القحط، يقال: أسنت القوم، فهم مسنتون. ويروىٰ: مشتين: أي: أصابتهم المجاعة، وتجعل العرب الشتاء مجاعة. ويقال: مشتين: داخلين في الشتاء، يقال: أشتىٰ القوم: إذا دخلوا في الشتاء، وأصافوا: إذا دخلوا في الصيف.

كسر الخيمة: جانب منها.

خلفها الجهد: أي الهزال، يقال: جهد الرجل، فهو مجهود: إذا هزل.

فتفاجت: فتحت ما بين رجليها للحلب.

(٣١) أخرجه الحاكم (٤٢٧٤)، وقال الألباني في مشكاة المصابيح (٥٩٤٣) حسن بمجموع طرقه.

يربض الرهط: أي يرويهم حتىٰ يثقلوا فيربضواويناموا، يقال: أربضت الشمس: إذا اشتد حرها حتىٰ تربض الوحش في كناسها.

الرهط: ما بين الثلاثة إلىٰ العشرة.

فحلب فيه ثجًا: الثج: السيلان.

علاه البهاء: أي علا الإناء بهاء اللبن.

أراضوا: أي رَوَوا، فنقعوا بالري، يريد شربوا مرة بعد مرة.

يتساوكن هزلىٰ؛ أي: تتمايل من الضعف والهزال.

الحيال: التي لم تحمل، يقال: حالت الشاة تحول حيالًا: إذا لم تحمل بعد الضراب.

أبلج الوجه: مشرق الوجه مضيئه، يقال: تبلج الصبح وانبلج: إذا أسفر.

لم تعبه نحلة؛ أي: دقةٌ من نحول الجسم.

الصقلة: الخاصرة، يقال: فرسٌ صقلٌ: إذا كان طويلها.

وسيم قسيم، فالوسيم: الحسن الوضي، يقال: وسيمٌ.

بيِّن الوسامة، والقسيم: الحسن أيضًا، والقسامة: الحسن.

والدعج: السواد في العين وغيرها.

في أشفاره وطفٌ؛ أي: طولٌ: يقال: وطف، فهو أوطف، ويروىٰ عطفٌ وغطفٌ بالعين والغين جميعًا، والمراد منه الطول أيضًا.

وفي صوته صهلٌ؛ أي: حدةٌ وصلابةٌ، ومنه صهيل الخيل.

وفي عنقه سطع؛ أي: طولٌ، يقال: رجل أسطع، وعنق سطعاء: إذا كانت

منتصبةٌ، ومنه قيل للصبح أول ما ينشق مستطيلًا: سطع يسطع.

أزج أقرن، الزجج في الحاجب: تقوسٌ فيها مع طول في أطرافها، وسبوغ فيها، والقرن: التقاء الحاجبين.

إن تكلم سما: تريد علا برأسه، وارتفع من جلسائه.

فصلٌ؛ أي بينٌ.

لا نزر ولا هذر؛ أي: وسط ليس بقليلٍ ولا كثيرٍ، فالنزر: القليل، والهذر: الكثير، فهو يتكلم بجوامع الكلم.

فصلٌ: لا فضولٌ ولا تقصيرٌ.

لا يأس من طول؛ معناه: أن قامته لا يؤيس من طولها؛ لأنه كان إلىٰ الطول أقرب؛ أي: ليس بالطويل.

ولا تقتحمه عينٌ من قصرٍ؛ أي: لا تحتقره ولا تزدريه.

فيتجاوز منه إلىٰ غيره: يقال: اقتحمت فلانًا عيني: إذا احتقرته. واستصغرته.

محشودٌ محفودٌ: معناه: أن أصحابه يجتمعون عليه، ويخدمونه، ويسرعون في طاعته، يقال: رجلٌ محشودٌ عنده حشدٌ من الناس؛ أي: جماعةٌ، والمحفود: المخدوم، والحفدة، الخدم.

لا عابس: غير عابس الوجه.

ولا مفندٍ: هو الذي لا فائدة في كلامه لخرف أصابه، قال الله ﷻ إخبارًا عن يعقوب عليه السلام: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف:٩٤]؛ أي: تخرفوني.

فتحلبت عليه صريحًا: الصريح: اللبن الخالص الذي لم يمذق، ومنه قولهم: صرح فلانٌ بالأمر: إذا كشفه وأوضحه.

الضرة: لحم الضرع؛ أي: تحلبت ضرة الشاة بلبنٍ مزبدٍ.

فغادرها رهنًا لديها لحالب: يريد أنه ترك الشاة عندها مرتهنة بأن تدر.

المعنى الإجمالي:

خرج الرسول ﷺ وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهما -أي: مرشد النبي والصديق في الطريق- عبد الله الليثي هو مولىٰ أبي بكر الصديق هاجر معهما إلىٰ المدينة، وكان قد أسلم قبل دخول النبي دار الأرقم -كذا ذكره بعضهم- من مكة ومروا علىٰ خيمة امرأة عجوز تسمىٰ (أم معبد وهي عاتكة بنت خالد يقال إنها أسلمت لما نزل عليها النبي في مهاجرته إلىٰ المدينة ويقال: إنها قدمت المدينة فأسلمت)، كانت تجلس قرب الخيمة تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يصيبوا -أي: لم يصادفوا- عندها شيئًا من ذلك وكان القوم فاقدين الزاد أصابهم القحط فنظر رسول الله إلىٰ شاة في جانب الخيمة، فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: شاة خلَّفها ،بتشديد اللام؛ أي: تركها، الجُهد؛ أي: الهزال، عن الغنم. قال: «هل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك. والمعنىٰ: ليس فيها لبن أصلًا، قال: «أتأذنين لي أن أحلبها» والحلب استخراج ما في الضرع من اللبن. قالت: بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حَلَبًا -أي: لبنًا محلوبًا- فاحلبها. فدعا بها رسول الله -أي: طلبها-

فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها -أي: لأم معبد في شاتها- فتفاجت عليه -بتشديد الجيم- أي: فتحت ما بين رجليها للحلب ودرَّت؛ أي: أرسلت الدر وهو اللبن واجترَّت. قال الطيبي: الجرة ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه.

فدعا بإناء يربُض الرهط؛ أي: يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض من ربض في المكان إذا لصق به وأقام ملازمًا له، فحلب فيه ثجًا -أي: حلبًا ذا سيلان- حتى علاه -أي: ظهر على الإناء- البهاء؛ أي: بهاء اللبن وهو رغوته ثم سقا أم معبد حتى رويت، ولعل الابتداء بها كرامة لها، ولكونها صاحبة الشاة، وترغيبًا إلى إسلامها، وسقى أصحابه بعدها حتى رووا، ثم شرب آخرهم؛ لقوله: «ساقي القوام آخرهم شربًا»، ثم حلب فيه ثانيًا حتى ملأ الإناء ثم تركه عندها؛ أي: معجزة تريها زوجها، وبايعها -أي: النبي ﷺ- على الإسلام وارتحلوا عنها.

فلما ارتحل النبي ﷺ جاء أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا ورأى في البيت لبنًا فقال: من أين هذا؟ فقالت: مر بنا رجل مبارك وذكرت من وصف النبي ونعته بعبارة فصيحة، فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلًا، وأصبح صوت بمكة عاليًا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه.

قال محيي السنة: الصوت الذي سمعوا بمكة صوت بعض مسلمي الجن

أقبل من أسفل مكة والناس يتبعونه ويسمعون الصوت وما يرونه، حتىٰ صرخ بأعلىٰ مكة قالت أسماء: فلما سمعنا عرفنا حيث وجه رسول الله، وأن وجهه إلىٰ المدينة.

وقال ابن عبد البر فلما بلغ حسان بن ثابت ذلك جعل يجاوب الهاتف وهو يقول:

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُم
وَقُدِّسَ مَنْ يسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي

فوائد الحديث:

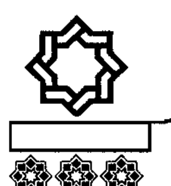
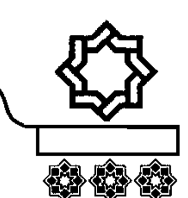
١- بيان صفة النبي ﷺ وحسن هيئته وأنه بلغ درجة الكمال البشري خَلْقًا وخُلُقًا.

٢- بركته في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كما في هذه القصة وغيرها كأعنز معاوية بن ثور، وشاة أنس، وغنم حليمة مرضعته وشارفها، وشاة عبد الله بن مسعود، وكانت لم ينز عليها فحل، وشاة المقداد.

٣- بلاغة أم معبد في وصفها النبي ﷺ.

٤- إمكانية سماع الإنس صوت الجن دون رؤيته.

❊

تكثير ماء عين تبوك
والإخبار بما ستكون عليه من خصب

عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلاَةَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالعَصْرَ جَمِيعًا، وَالمَغْرِبَ وَالعِشَاءَ جَمِيعًا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا أَخَّرَ الصَّلاَةَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالعَصْرَ جَمِيعًا، ثُمَّ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ فَصَلَّى المَغْرِبَ وَالعِشَاءَ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ الله عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلاَ يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ». فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلاَنِ، وَالعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ -قَالَ-: فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟». قَالاَ: نَعَمْ. فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ، -قَالَ-: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ العَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، -قَالَ-: وَغَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا؛ فَجَرَتِ العَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، أَوْ قَالَ: غَزِيرٍ -شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا قَالَ- حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ ثُمَّ قَالَ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا»[٣٣].

---

(٣٣) أخرجه مسلم (٤٢٢٩).

معاني الكلمات:

الضحىٰ: وقت انتشار نور النهار وارتفاع الشمس قبل الظهر.

الشراك: أحد سيور النعل، والمراد: أن الماء قليل وضحل.

تبض بشيء من ماء: معناه أنها كانت تسيل بشيء من ماء ضعيف.

جرت: سالت.

العين: ينبوع الماء ينبع من الأرض ويجري.

الجنان: جمع جنة، وهي المزارع والبساتين.

المعنى الإجمالي:

لقد كانت منطقة تبوك والوادي الذي كانت فيه العين منطقة جرداء لقلة الماء ولكن الله عَزَّوَجَلَّ أجرىٰ علىٰ يد رسوله ﷺ بركة تكثير هذا الماء حتىٰ أصبح يسيل بغزارة، ولم يكن هذا آتيًا لسد حاجة الجيش، بل أخبر رسول الله ﷺ بأنه سيستمر وستكون هناك جنان وبساتين مملوءة بالأشجار المثمرة ولقد تحقق ما أخبر به الرسول ﷺ بعد فترة قليلة من الزمن، ولا زالت تبوك حتىٰ اليوم تمتاز بجنانها وبساتينها ونخيلها وتمورها، تنطق بصدق نبوة الرسول وتشهد بأن الرسول لايتكلم إلا صدقًا ولايخبر إلا حقًّا ولاينبئ بشيء إلا ويتحقق(٣٣).

---

(٣٣) انظر: السيرة النبوية للصلابي (٢\٤٧١).

ولقد وقعت هذه المعجزة في غزوة تبوك، وهي غزوة لم يلقَ فيها رسول الله ﷺ كيدًا ولا قتالًا وانصرف.

وفي هذا الخبر من المعجزات الظاهرة والدلالة البينة علىٰ نبوة نبينا ﷺ ما لو لم تكن له معجزة غيرها لظهرت حجته وتبين صدقه.

فوائد الحديث:

١- غزو الإمام بنفسه العدو مع عسكره.

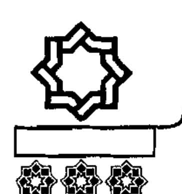
٢- فيه دليل علىٰ أنه ﷺ جمع بين الصلاتين وهو نازل غير سائر ماكث في خبائه وفسطاطه يخرج فيقيم الصلاة ثم ينصرف إلىٰ خبائه ثم يخرج فيقيمها ويجمع بين الصلاتين من غير أن يجدَّ به السير.

٣- وفي هذا الحديث أوضح الدلائل وأقوىٰ الحجج في الرد علىٰ من قال: لا يجمع المسافر بين الصلاتين إلا إذا جدَّ به السير.

٤- وفيه علم عظيم من أعلام نبوته؛ إذ غسل وجهه ويديه بقليل ماء تلك العين ثم صبه فيها فجرت العين بماء كثير عمَّهم وفضل عنهم، وتمادىٰ إلىٰ الآن، ويتمادىٰ إلىٰ قيام الساعة إن شاء الله، وهكذا النبوة.







صاع طعام يكفي مائة وثلاثين رجلًا

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟» فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوُهُ، فَعُجِنَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبَيْعٌ أَمْ عَطِيَّةٌ»، أَوْ قَالَ: «أَمْ هِبَةٌ؟» فَقَالَ: لَا، بَلْ بَيْعٌ. فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً فَصُنِعَتْ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَوَادِ البَطْنِ أَنْ يُشْوَى. قَالَ: وَايْمُ اللهِ مَا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ إِلَّا حَزَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حُزَّةً حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا؛ إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهُ، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ. قَالَ: وَجَعَلَ قَصْعَتَيْنِ فَأَكَلْنَا مِنْهُمَا أَجْمَعُونَ وَشَبِعْنَا، وَفَضَلَ فِي القَصْعَتَيْنِ فَحَمَلْتُهُ عَلَى البَعِيرِ، أَوْ كَمَا قَالَ (٣٤).

معاني الكلمات:

المشعان: منتقش الشعر ثائر الرأس.

بسواد البطن: ما في البطن من كبد وغيره، وقيل: هو الكبد.

وايم الله: من ألفاظ القسم وقيل هي جمع يمين ومعناها أيمن الله قسمي.

المعنى الإجمالي:

قوله: (مُشْعان)؛ أي: طويل جدًّا فوق الطول، وعن الأصمعي: شعرُ

---

(٣٤) أخرجه مسلم (٣٨٣٢)، وأحمد (١٧١١).

مُشْعانٌّ: متنفش، وفي (التهذيب) تقول العرب رأيت فلانًا مشعان الرأس إذا رأيته شعثًا متنفش الرأس مغبرًا. قوله: (بيعًا) منصوب على المصدرية؛ أي: أتبيع بيعًا

وفي الحديث دليل على جواز قبول الهدية من المشرك، قال الخطابي: في قوله: (أم هبة) دليل على قبول الهدية من المشرك لو وهب، فإن قلت: قد قال لعياض بن حمار حين أهدى له في شركه: «إنا لا نقبل زبد المشركين» يريد عطاياهم؟

قلت: قال أبو سليمان: يشبه أن يكون ذلك منسوخًا؛ لأنه قبل هديه غير واحد من أهل الشرك، أهدى له المقوقس، وأكيدر دومة، قال: إلا أن يزعم زاعم أن بين هدايا أهل الشرك وهدايا أهل الكتاب فرقًا. انتهى.

قلت: فيه نظر في مواضع:

الأول: أن الزعم بالفرق المذكور يرده قول عبد الرحمن في نفس هذا الحديث: (إن هذا الرجل كان مشركًا)، وقد قال له: أبيع أم هدية؟

الثاني: هدية أكيدر كانت قبل إسلام (عبد الرحمن بن أبي بكر) رضي الله عنهما راوي هذا الحديث؛ لأن إسلامه كان في هدنة الحديبية، وذلك في سنة سبع، وهدنة أكيدر كانت بعد وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه الذي قال في حقه لما عجب الناس من هدية أكيدر: «والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه»، وسعد توفي بعد غزوة بني قريظة سنة أربع في قول عقبة، وعند إبن إسحاق سنة خمس، وأيًّا ما كان فهو قبل إسلام عبد الرحمن، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس كان في سنة ست. ذكره ابن منده وغيره؛ فدل

على أنه قبل هذا الحديث.

الثالث: لقائل أن يقول: هذان اللذان قبل منهما هديتهما ليس سوقة، إنما هما ملكان فقبل هديتهما تألفًا؛ لأن في رد هديتهما نوع حصول شيء.

الرابع: نقول كان قبول هديتهم بإثابته عليهما، وقوله لهذا المشرك أيضًا كان تأنيسًا له، ولأن يثيبه بأكثر مما أهدى، وكذا يقال في هدية كسرى المذكورة في كتاب الحربي من حديث علي رضي الله عنه، ورد هدية عياض بن حمار وكان بينه وبين النبي معرفة قبل البعثة، فلما بعث أهدى له فرد هديته، وكذا رد هدية ذي الجوشن وكانت فرسًا، وكذا رد هدية ملاعب الأسنة؛ لأنهم كانوا سوقة وليسوا ملوكًا، وأهدى له ملك أيلة بغلة وفروة الجذامي هدية فقبلهما وكانا ملكين، ومما يؤيد هذا ما ذكره أبو عبيد في كتاب (الأموال) أنه إنما قبل هدية أبي سفيان بن حرب؛ لأنها كانت في مدة الهدنة، وكذا هدية المقوقس إنما كان قَبِلها؛ لأنه أكرم حاطبًا وأقر بنبوته ولم يؤيسه من إسلامه، وقبول هدية الأكيدر؛ لأن خالدا رضي الله عنه قدم به فحقن دمه وصالحه على الجزية؛ لأنه كان نصرانيًّا ثم خلى سبيله، وكذا ملك أيلة لما أهدى كساه بردًا له، وهذا كله يرجع إلى أنه كان لا يقبل هدية إلا ويكافئ.

ثم إعلم أن الناس اختلفوا فيما يُهدى للأئمة؛ فروي عن علي رضي الله عنه أنه كان يوجب رده إلى بيت المال، وإليه ذهب أبو حنيفة، وقال أبو يوسف: ما أهدى إليه أهل الحرب فهو له دون بيت المال، وأما ما يهدى للنبي خاصة فهو في ذلك بخلاف الناس؛ لأن الله تعالى اختصه في أموال أهل الحرب بخاصة لم تكن لغيره، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦]، بعد قوله: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر:٦]، فسبيل ما تصل إليه يده من أموالهم علىٰ جهة الهدية والصلح سبيل الفيء يضعه حيث أراه الله فأما المسلمون إذا أهدوا إليه فكان من سجيته أن لا يردها بل يثيبهم عليها.

وفيه: أن ابتياع الأشاء من المجهول الذي لا يعرف جائز حتىٰ يطلع علىٰ ما يلزم التورع عنه، أو يوجب ترك مبايعته غصب أو سرقة أو شبههما، وقال ابن المنذر: من كان بيده شيء فظاهره أنه مالكه ولا يلزم المشتري أن يعلم حقيقة ملكه(٣٥).

فوائد الحديث:

١- فيه أربع معجزات؛ **الأولىٰ:** تكثير الصاع. **والثانية:** تكثير سواد البطن. **والثالثة:** اتساع القصعتين لتمكن أيادي هؤلاء العدد. **والرابعة:** الفضلة التي فضلت بعد شبعهم واكتفائهم.

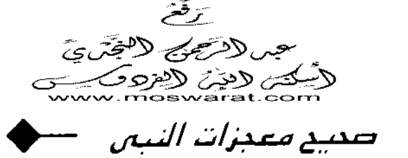
٢- المواساة بالطعام عند المسبغة وتساوي الناس في ذلك.

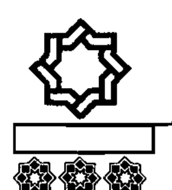
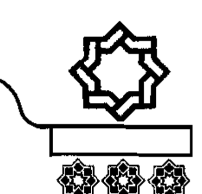
٣- ظهور البركة عند الاجتماع علىٰ الطعام.

٤- تأكيد الخبرة بالقسم وإن كان المخبر صادقًا.

❊ ❊ ❊

(٣٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨/ ١٣٠).



وامتلأت الأوعية الفارغة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ -شَكَّ الأَعْمَشُ- قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْعَلُوا». قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ». قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ -قَالَ-: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ -قَالَ-: وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ -قَالَ-: وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ -قَالَ-: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ». قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي العَسْكَرِ وِعَاءً إِلاَّ مَلَئُوهُ -قَالَ-: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضِلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لاَ يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ»(٣٦).

معاني الكلمات:

تَبوك: أصبحت اليوم مدينة من مدن شمال الحجاز الرئيسية لها إمارة

(٣٦) أخرجه مسلم (١٤٨).

تعرف بإمارة تبوك، تبعد عن المدينة شمالًا ٧٧٨كم علىٰ طريق معبدة.

الناضح: البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقىٰ عليه الماء.

المعنى الإجمالي:

كانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع من الهجرة، وتعرف أيضًا بغزوة العسرة، وذلك لما كان فيها من المشقة علىٰ النبي ﷺ وصحابته، ويضع هذا الحديث أيدينا علىٰ طرف من هذه المشقة التي كان يتحملها النبي ﷺ وصحابته في سبيل إعلاء كلمة الله، حتىٰ أنهم عمدوا إلىٰ ذبح نواضحهم مع شدة حاجتهم إليها؛ لانعدام الزاد.

فقال عمر رضي الله عنه: (يا رسول الله لو جمعت ما بقىٰ من أزواد القوم...) هذا فيه بيان جواز عرض المفضول علىٰ الفاضل ما يراه مصلحة لينظر الفاضل فيه، فان ظهرت له مصلحة فعله، فاقتنع النبي ﷺ بفكرة عمر، وأمر الناس أن يأتوا بفضل أزوادهم، وهذا فيه قوة يقين من عمر رضي الله عنه قال: (ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ).

قوله: (فجاء ذو البر ببره وذو التمر بتمره قال وقال مجاهد وذو النواة بنواه) ووجه إبقائهم علىٰ النواة وإتيانهم بها أنهم (كانوا يمصونها) ثم يشربون عليها الماء.

وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة الظاهرة وما أكثر نظائره التي يزيد مجموعها علىٰ شرط التواتر ويحصل العلم القطعىٰ، وقد جمعها العلماء

وصنفوا فيها كتبا مشهورة والله اعلم[37].

فوائد الحديث:

١- التربية علىٰ الأخذ بالأسباب.

٢- عمق تلك التربية.

٣- المشورة وقبولها.

٤- التراجع عن القرار ليس ضعفًا في القيادة.

٥- كثرة البذل والتضحية مع قلة الإمكانات، فكيف بالعكس؟

٦- أهمية الربط بما يقوي الإيمان رغم حصول ما يستدعي ذلك، فكيف في غير هذا الموطن؟

٧- الإيمان بالمعجزات.

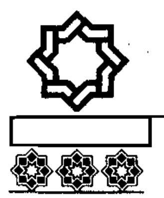
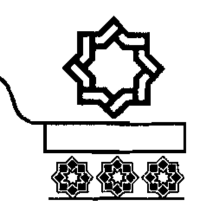
٨- عظم البركة والدعاء بها.

٩- قوة الضبط والتنفيذ في الجيش المسلم.

١٠- هذه من المعجزات والكرامات التي أظهرها الله علىٰ يد رسول الله ﷺ في غزوة تبوك تدل علىٰ صدق نبوته ورسالته، وتدل علىٰ رفعة منزلته وتكريمه عند ربه.

---

(٣٧) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١/ ٢٢٤) بتصرف.

تمرة تكفي الرجل طوال اليوم

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، قَالَ: فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ المَاءِ فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبَطَ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالمَاءِ فَنَأْكُلُهُ، قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ كَهَيْئَةِ الكَثِيبِ الضَّخْمِ فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى العَنْبَرَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَدْ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، قَالَ: فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ بِالقِلَالِ الدُّهْنَ وَنَقْتَطِعُ مِنْهُ الفِدَرَ كَالثَّوْرِ أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ، فَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ وَأَخَذَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا، ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟» قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ[(٣٨)].

---

(٣٨) أخرجه مسلم (٣٥٧٦)، وأحمد (١٣٨١٨).

معاني الكلمات:

الخبط: الورق الساقط عند خبط الشجرة بالعصا وهو من علف الدواب.

الفدر: جمع الفدرة وهى القطعة.

الكثيب: الرمل المجتمع.

الوشائق: جمع الوشيقة وهى لحم يقدد حتى ييبس أو يغلى قليلًا ويحمل في الأسفار.

الوقب: داخل العين ونقرتها.

المعنى الإجمالي:

لا بد للجيوش من أمير يضبطها وينقاد الجنود لأمره ونهيه، وينبغي أن يكون الأمير أفضلهم أو من أفضلهم، قالوا: ويستحب للرفقة من الناس وإن قلوا أن يؤمروا بعضهم عليهم وينقادوا له.

قوله: (نتلقى عيرًا لقريش) قد سبق أن العير هي الإبل التي تحمل الطعام وغيره. وفي هذا الحديث جواز صد أهل الحرب واغتيالهم والخروج لأخذ مالهم واغتنامه.

قوله: (وزودنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل): في هذا بيان ما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه من الزهد في الدنيا والتقلل منها، والصبر على الجوع وخشونة العيش، وإقدامهم على الغزو مع هذا الحال.

وقوله: (وزودنا جرابًا لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة)، وفي رواية من هذا الحديث: (ونحن نحمل أزوادنا علىٰ رقابنا)، وفي رواية: (ففني زادهم فجمع أبو عبيدة زادهم في مزود فكان يقوتنا حتىٰ كان يصيبنا كل يوم تمرة)، وفي الموطأ: (ففني زادهم وكان مزودىٰ تمرًا، وكان يقوتنا حتىٰ كان يصيبنا كل يوم تمرة)، وفي الرواية الأخرىٰ لمسلم: (كان يعطينا قبضة قبضة، ثم أعطانا تمرة تمرة). قال القاضي: الجمع بين هذه الروايات: أن يكون النبي ﷺ زودهم المزود زائدًا علىٰ ما كان معهم من الزاد من أموالهم وغيرها مما واساهم به الصحابة؛ ولهذا قال: (ونحن نحمل أزوادنا)، قال: ويحتمل أنه لم يكن في زادهم تمر غير هذا الجراب وكان معهم غيره من الزاد، وأما إعطاء أبىٰ عبيدة اياهم تمرة تمرة فإنما كان في الحال الثانىٰ بعد أن فني زادهم وطال لبثهم كما فسره في الرواية الأخيرة، فالرواية الأولىٰ معناها الاخبار عن آخر الأمر لا عن أوله والظاهر أن قوله: (تمرة تمرة إنما كان بعد أن قسم عليهم قبضة قبضة فلما قلَّ تمرهم قسمه عليهم تمرة تمرة ثم فرغ وفقدوا التمرة ووجدوا ألمًا لفقدها وأكلوا الخبط إلىٰ أن فتح الله عليهم بالعنبر). قوله: (فجمع أبو عبيدة زادنا في مزود فكان يقوتنا) هذا محمول علىٰ أنه جمعه برضاهم وخلطه ليبارك لهم، كما فعل النبي ﷺ ذلك في مواطن، وكما كان الاشعريون يفعلون وأثنىٰ عليهم النبي ﷺ بذلك، وقد قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: يستحب للرفقة من المسافرين خلط أزوادهم ليكون أبرك وأحسن في العشرة وأن لا يختص بعضهم بأكل دون بعض والله أعلم.

قوله: (كهيئة الكثيب الضخم) هو بالثاء المثلثة وهو الرمل المستطيل المحدودب.

قوله: (فاذا هي دابة تدعىٰ العنبر، قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا فأقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاثمائة حتي سمنا). وذكر في آخر الحديث: أنهم تزودوا منه، وأن النبي ﷺ قال لهم حين رجعوا: «هل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟» قال: فأرسلنا إلىٰ رسول الله ﷺ منه فأكله.

معنىٰ الحديث: أن أبا عبيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال أولًا باجتهاده أن هذا ميتة والميتة حرام فلا يحل لكم إكلها ثم تغير اجتهاده، فقال: بل هو حلال لكم وإن كان ميتة؛ لأنكم في سبيل الله وقد اضطررتم، وقد أباح الله تعالىٰ الميتة لمن كان مضطرًّا غير باغ ولاعاد فكلوا فأكلوا منه، وأما طلب النبي ﷺ من لحمه وأكله ذلك فإنما أراد به المبالغة في تطيب نفوسهم في حله وأن لا شك في اباحته وأنه يرتضيه لنفسه أو أنه قصد التبرك به لكونه طعمة من الله تعالىٰ خارقة للعادة أكرمهم الله بها(٣٩).

فوائد الحديث:

١- أن للإمام أن يواسي بين الناس في الأقوات في الحضر بثمن وغيره كما فعل ذلك في السفر.

---

(٣٩) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم(١٣/ ٨٤).

٢- قوة إيمان هؤلاء البعث إذ لو ضعف -والعياذ بالله- لما خرجوا وهم ثلاثمائة وليس معهم سوىٰ جراب تمر أو مزودي تمر كما في الحديث المذكور، قال عياض: ويحتمل أن يكون زودهم الجراب زائدًا عما كان معهم من الزاد من أموالهم، ويحتمل أنه لم يكن في أزوادهم تمر غير هذا الجراب وكان معهم غيره من الزاد، وقيل: يحتمل أن الجراب الذي زودهم الشارع كان علىٰ سبيل البركة؛ فلذا كانوا يأخذونه تمرة تمرة.

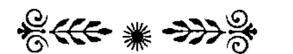
٣- فضل أبي عبيدة؛ ولهذا سماه الشارع: أمين هذه الأمة.

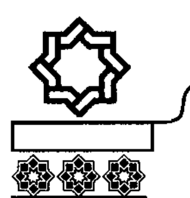
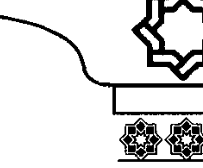
٤- النظر في القوم وتدبير أمرهم.

٥- فضل الصحابة رضي الله عنهم علىٰ ما كان فيهم من البؤس، وقد استجابوا لله وللرسول من بعدما أصابهم القرح.

٦- رضاهم بالقدر وطاعتهم للأمير.

٧- جواز الشركة في الطعام خلط الأزواد في السفر إذا كان ذلك أرفق بهم.



ثمانون رجلا يأكلون بعض أرغفة الخبز وتكفيهم

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتْ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلَاثَتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِطَعَامٍ»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا»، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ! فَقَالَتْ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ»، فَأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ

لِعَشَرَةٍ» فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا»[(٤٠)].

معاني الكلمات:

أقراصًا: جمع قرص وهو خبز.

الخمار: غطاء يوضع على الرأس.

ثم دسته: أي أخفته وأدخلته، تقول دس الشيء يدسه دسًّا إذا أدخله في الشيء بقهر وقوة.

في يدي: أي: تحت إبطي.

ولاثتني: لفتني به، يقال: لاث العمامة على رأسه؛ أي: عصبها.

العكة: إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبًا وأيضًا العسل.

فأدمته: أي أصلحته بالإدام، وصيرت ما خرج من العكة أدمًا له.

المعنى الإجمالي:

أبو طلحة هو زيد بن سهل الأنصاري زوج أم سليم والدة أنس.

قوله: (لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع) فيه العمل على القرائن. قال القسطلاني: وكأنه لم يسمع في صوته لما تكلم إذ ذاك الفخامة المألوفة منه فحمل ذلك على الجوع بالقرينة التي كانوا فيها، وفيه رد على دعوى ابن حبان أنه لم يكن يجوع محتجًّا بحديث «أبيت يطعمني ربي ويسقيني»، وهو محمول على تعدد الحال؛ فكان أحيانًا يجوع ليتأسى به

(٤٠) أخرجه البخاري (٣٣١٣)، ومسلم (٣٨٠١).

أصحابه، ولا سيما من لا يجد مدًا فيصبر فيضاعف أجره.

وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عند مسلم عن أنس قال: جئت رسول الله ﷺ فوجدته جالسًا مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة، فسألت بعض أصحابه فقالوا: من الجوع؛ فذهبت إلىٰ أبي طلحة فأخبرته فدخل علىٰ أم سليم (فأخرجت أقراصًا) جمع قرص وهو خبز (خِمارًا)؛ أي: نصيفًا، (ثم دسته)؛ أي: أخفته وأدخلته بقهر وقوة (في يدي)؛ أي: تحت إبطي، (ورَدَتني ببعضه)؛ أي: وألبستني ببعض الخمار.

قال أنس: (فذهبت به)؛ أي بالخبز (إليه)؛ أي: النبي ﷺ (في المسجد)؛ أي: الموضع الذي هيأه للصلاة في غزوة الأحزاب.

قوله: (قوموا): قال الحافظ في (الفتح): ظاهره أن النبي ﷺ فهم أن أبا طلحة استدعاه إلىٰ منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا، وأول الكلام يقتضي أن أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس فيجمع بأنهما أرادا بإرسال الخبز مع أنس أن يأخذه النبي ﷺ فيأكله، فلما وصل أنس ورأىٰ كثرة الناس حول النبي ﷺ استحيا وظهر له أن يدعو النبي ﷺ ليقوم معه وحده إلىٰ المنزل فيحصل مقصودهم من إطعامه، ويحتمل أن يكون ذلك عن رأي من أرسله، عهد إليه إذا رأىٰ كثرة الناس أن يستدعي النبي ﷺ وحده خشية أن لا يكفيهم ذلك الشيء هو ومن معه، وقد عرفوا إيثار النبي ﷺ، وأنه لا يأكل وحده.

قوله: (فانطلقوا) وهم ثمانون رجلًا، قوله: (فأخبرته)؛ أي: بمجيئهم (وليس عندنا ما نطعمهم)؛ أي: قدر ما يكفيهم. (قالت أم سليم: الله ورسوله

أعلم)؛ أي: بقدر الطعام فهو أعلم بالمصلحة، ولو لم يكن يعلم بالمصلحة لم يفعل ذلك.

قال الحافظ: كأنها عرفت أنه فعل ذلك عمدًا ليظهر الكرامة في تكثير ذلك الطعام، ودل ذلك علىٰ فطنة أم سليم ورجحان عقلها.

وفي رواية يعقوب: فقال أبو طلحة: يا رسول الله إنما أرسلت أنسًا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرىٰ.

فقال: «ادخل فإن الله سيبارك فيما عندك»، فقال النبي ﷺ لأم سليم: «هلمي يا أم سليم ما عندك»؛ أي: هات ما عندك، (ففُتَّ) بصيغة المجهول من الفت وهو الدق والكسر بالأصابع أي كسر الخبز، وفي بعض النسخ (ففتت) فالضمير للأقراص (وعصرت أم سليم بعُكَّة) وهو إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبًا والعسل (فأدمته)؛ أي: صيرت ما خرج من العكة إدامًا للمفتوت، وفي رواية مبارك بن فضالة: (فقال: «هل من سمن؟»، فقال أبو طلحة: قد كان في العكة سمن، فجاء بها فجعلا يعصرانها حتىٰ خرج، ثم مسح رسول الله ﷺ به سبابته، ثم مسح القرص فانتفخ، وقال: «بسم الله» فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتىٰ رأيت القرص في الجفنة يتميع). وفي رواية سعد بن سعيد: (فمسها رسول الله ﷺ ودعا فيها بالبركة)، وفي رواية النضر بن أنس: (فجئت بها ففتح رباطها، ثم قال: «بسم الله اللهم أعظم فيها البركة»). وعرف بهذا المراد بقوله: (وقال فيها ما شاء الله أن يقول).

ثم أذن بالدخول لعشرة من أصحابه ليكون أوفق بهم، فإن الإناء الذي فيه

الطعام لا يتحلق عليه أكثر من عشرة إلا بضرر يلحقهم؛ لبعده عنهم. وفي رواية يعقوب:(أدخل علىٰ ثمانية، فما زال حتىٰ دخل عليه ثمانون رجلًا، ثم دعاني ودعا أمي وأبا طلحة فأكلنا حتىٰ شبعنا)، قال الحافظ: وهذا يدل علىٰ تعدد القصة، فإن أكثر الروايات فيها أنه أدخلهم عشرة عشرة سوىٰ هذه، فقال: إنه أدخلهم ثمانية ثمانية. انتهىٰ.

وفي رواية عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة: (وأفضل ما بلغوا جيرانهم)، وفي رواية لمسلم: (ثم أخذ ما بقي فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان)[(٤١)].

فوائد الحديث:

١- ابتلاء الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه والاختبار بالجوع وغيره من المشاق ليصبروا فيعظم أجرهم ومنازلهم.

٢- ما كانوا عليه من كتمان ما بهم.

٣- ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من الاعتناء بأحوال رسول الله ﷺ.

٤- استحباب بعث الهدية وان كانت قليلة بالنسبة إلىٰ مرتبة المبعوث إليه؛ لأنها وإن قلت فهي خير من العدم.

٥- جلوس العالم لأصحابه يفيدهم ويؤدبهم، واستحباب ذلك في المساجد.

---

(٤١) تحفة الأحوذي (١٠/ ٧٥) بتصرف.

٦- انطلاق صاحب الطعام بين يدىٰ الضيفان وخروجه ليتلقاهم.

٧- منقبة لأم سليم رضي الله عنها ودلالة علىٰ عظيم فقهها ورجحان عقلها؛ لقولها: (الله ورسوله أعلم)، ومعناه أنه قد عرف الطعام فهو أعلم بالمصلحة فلو لم يعلمها في مجيء الجمع العظيم لم يفعلها فلا تحزن من ذلك.

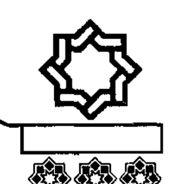
٨- استحباب فت الطعام واختيار الثريد علىٰ الغمس باللقم.

٩- يستحب لصاحب الطعام وأهله أن يكون أكلهم بعد فراغ الضيفان.

١٠- معجزة من المعجزات العظيمة التي فتح الله بها علىٰ رسول الله ﷺ وجعلها رحمة لهذه الأمة من حضر ومن لم يحضر.







ثلاثة آلاف يأكلون من طعام لا يكفي عشرة ويشبعون والطعام كما هو

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﵁ قال: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ، فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ لِي جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ قَالَ: فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي فَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ: فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا قَدْ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا فَتَعَالَ أَنْتَ فِي نَفَرٍ مَعَكَ، فَصَاحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا فَحَيَّ هَلًّا بِكُمْ»، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ»، فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ لِي، فَأَخْرَجْتُ لَهُ عَجِينَتَنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا»، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَتَنَا -أَوْ كَمَا قَالَ الضَّحَّاكُ- لَتُخْبَزُ كَمَا هُوَ[٤٢].

---

(٤٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٠)، ومسلم (٣٧٩٣).

معاني الكلمات:

البرمة: القِدر من الحجر.

فانكفأت: انقلبت ورجعت.

الخمص: الجوع.

بُهيمة: الصغيرة من أولاد الضأن، وتطلق على الذكر والأنثىٰ، كالشاة والسخلة الصغيرة من أولاد المعز.

الداجن: ما يألف البيت من الحيوان.

ساررته: أي حدثته بصوت منخفض سرًّا.

السور: هو الطعام الذي يدعىٰ إليه، وقيل: الطعام مطلقًا.

حيَّ هلا: كلمة استدعاء فيها حث؛ أي: هلموا مسرعين، ومنه: حي على الصلاة، بمعنىٰ هلموا.

بك وبك: بك تلحق الفضيحة، وبك يتعلق الذم، وقيل: معناه جرىٰ هذا برأيك وسوء نظرك وتسببك.

اقدحي: أي اغرفي، والقدح: المغرفة، يقال: قدحت المرق أقدحه بفتح الدال: غرفته.

تغط: تغلىٰ ويسمع غليانها.

المعنى الإجمالي:

تكررت معجزة تكثير الطعام القليل حتىٰ أصبح يكفي ويشبع العدد الكثير

للنبي ﷺ أكثر من مرة في ظروفٍ مختلفة ومناسباتٍ عديدة، ومن هذه المرات ما حدث في هذا الحديث الشريف أن ثلاثة آلاف يأكلون من طعام لا يكفي عشرة ويشبعون والطعام كما هو.

لقد أطعم النبي ﷺ ألف رجل من طعام لا يكاد يكفي البضعَ من الرجال، يقول النووي: (حديث طعام جابر فيه أنواع من الفوائد وجُمَل من القواعد: منها: الدليلُ الظاهر والعلم الباهر من أعلام نبوةِ رسول الله ﷺ.

وقد تضمن هذا الحديث عَلَمَينِ من أعلام النبوة: **أحدُهُما**: تكثيرُ الطعام القليل، **والثاني**: عِلمُه ﷺ بأن هذا الطعام القليل الذي يكفي في العادة خمسةَ أنفسٍ أو نحوَهم سيَكْثُر، فيكفي ألفًا وزيادة، فدعا له ألفًا -أي: من أصحابه- قبل أن يصل إليه، وقد عُلم أنه -أي طعامُ جابر- صاعُ شعير وبهيمة.

فوائد الحديث:

١- الدليل الظاهر والعلم الباهر من أعلام نبوة رسول الله ﷺ، وقد تظاهرت أحاديث آحاد بمثل هذا حتىٰ زاد مجموعها علىٰ التواتر وحصل العلم القطعىٰ بالمعنىٰ الذي اشتركت فيه هذه الأحاد وهو انخراق العادة بما أتىٰ به ﷺ.

٢- جواز المساررة بالحاجة بحضرة الجماعة.

٣- حب الصحابة لرسول الله ﷺ واهتمامهم بأحواله والمسارعة لخدمته.

❊ ❊ ❊



سداد دين والد جابر ببركة الرسول ﷺ

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَاهُ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا، وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ، فَلَمَّا حَضَرَ جِذَاذُ النَّخْلِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي قَدِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ دَيْنًا كَثِيرًا، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ. فَقَالَ: «اذْهَبْ فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَةٍ». فَفَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوْتُهُ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ كَأَنَّهُمْ أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَرًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ لَكَ أَصْحَابَكَ». فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللهُ عَنْ وَالِدِي أَمَانَتَهُ، وَأَنَا أَرْضَى أَنْ يُؤَدِّيَ اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي، وَلَا أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ، فَسَلَّمَ اللهُ الْبَيَادِرَ كُلَّهَا وَحَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدَرِ الذي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّهَا لَمْ تَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً(٤٣).

معاني الكلمات:

الغريم: الذي له الدين والذي عليه الدين، جميعًا.

البيدر: الموضع الذي يداس فيه الطعام.

بيدر: كوّم.

---

(٤٣) أخرجه البخاري (٤٠٥٣)، والنسائي (٦٤٦٣).

الجداد: قطع الثمار من أصولها.

أغروا: ألحوا في مطالبتي.

المعنى الإجمالي:

توفي عبد الله بن عمرو بن حرام وعليه دين، وفي رواية وهب بن كيسان عن جابر: (أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقًا لرجل من اليهود فاستنظره جابر فأبىٰ أن ينظره، فكلَّم جابر رسول الله ﷺ ليشفع له، فكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبىٰ). وفي رواية بن كعب بن مالك في الاستقراض والهبة عن جابر (أن أباه قتل يوم أحد شهيدًا وعليه دين فاشتد الغرماء في حقوقهم، فأتيت النبي ﷺ فكلمته فسألهم أن يقبلوا تمر حائطي ويحللوا أبي فأبوا). ووقع عند أحمد من طريق نبيح العنزي عن جابر: (قال وترك أبي عليه دينًا من التمر فاشتد عليَّ بعض غرمائه في التقاضي، فأتيت النبي ﷺ فذكرت له، وقلت: فأحب أن تعينني عليه لعله أن ينظرني طائفة من تمره إلىٰ هذا الصرام المقبل، قال: «نعم آتيك إن شاء الله قريبًا من نصف النهار» فذكر الحديث في الضيافة وفيه: ثم قال: ادع فلانًا -لغريمي الذي أشتد في الطلب- فجاء فقال: «أنظر جابرًا طائفة من دينك الذي علىٰ أبيه إلىٰ الصرام المقبل» فقال: ما أنا بفاعل، واعتل وقال: إنما هو مال يتامىٰ).

قوله: (وليس عندي إلا ما يخرج نخله)؛ يعني: أنه لم يترك مالًا إلا البستان المذكور، ولا يبلغ ما يخرج نخله في مدة سنين ما عليه من الدين.

فطلب جابر من النبي ﷺ أن ينطلق معه كي لا يفحش عليه الغرماء، فأجابه النبي ﷺ لذلك وأمره أن يصنف تمره، ففي رواية فراس في البيوع: «اذهب فصنف تمرك أصنافًا؛ العجوة علىٰ حدة، وعذق زيد علىٰ حدة». وقوله: «عَذق زيد»، زيد الذي نسب إليه اسم لشخص كأنه هو الذي كان ابتدأ غراسه فنسب إليه، والعجوة من أجود تمر المدينة.

ففعل فجاء النبي ﷺ فجلس علىٰ أعلاه وأمره أن يجعل التمر في البيادر كل صنف في بيدر، والبيدر بفتح الموحدة وسكون التحتانية وفتح الدال المهملة للتمر كالجرن للحب.

ثم قال لجابر -كما في رواية فراس-: «جد فأوف الذي له» فجده بعد ما رجع النبي ﷺ فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم. في رواية مغيرة: وبقي تمري وكأنه لم ينقص منه شيء. وفي رواية ابن كعب: وبقي لنا من تمرها بقية. ووقع في رواية وهب بن كيسان: فأوفاه ثلاثين وسقًا وفضلت له سبعة عشر وسقًا.

ويُجمع بالحمل علىٰ تعدد الغرماء، فكأن أصل الدين كان منه ليهودي ثلاثون وسقًا من صنف واحد فأوفاه وفضل من ذلك البيدر سبعة عشر وسقًا، وكان منه لغير ذلك اليهودي أشياء أخر من أصناف أخرىٰ فأوفاهم وفضل من المجموع قدر الذي أوفاه، ويؤيده قوله في رواية نبيح العنزي عن جابر: فكلت له من العجوة فأوفاه الله وفضل لنا من التمر كذا وكذا، وكلت له من أصناف التمر فأوفاه الله وفضل لنا من التمر كذا وكذا. ووقع في رواية فراس عن الشعبي

ما قد يخالف ذلك فعنه: ثم دعوت رسول الله ﷺ فلما نظروا إليه كأنما أغروا بي تلك الساعة؛ أي: أنهم شددوا عليه في المطالبة لعداوتهم للنبي ﷺ، قال: فلما رأىٰ ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدرًا ثلاث مرات ثم جلس عليه، ثم قال: «ادعهم»، فما زال يكيل لهم حتىٰ أدىٰ الله أمانة والدي، وأنا راض أن يؤديها الله ولا أرجع إلىٰ أخواتي بتمرة، فسلم الله البيادر كلها حتىٰ أني أنظر إلىٰ البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص منه تمرة واحدة.

ووجه المخالفة فيه: أن ظاهره أن الكيل جميعه كان بحضرة رسول الله ﷺ، وأن التمر لم ينقص منه شيء البتة، والذي مضىٰ ظاهره أن ذلك بعد رجوعه وأن بعض التمر نقص ويجمع بأن ابتداء الكيل كان بحضرته ﷺ، ولقيته كان بعد انصرافه، وكان بعض البيادر التي أوفي منها بعض أصحاب الدين حيث كان بحضرة رسول الله ﷺ لم ينقص منه شيء البتة، ولما انصرف بقيت آثار بركته فلذلك أوفي من أحد البيادر ثلاثين وسقًا وفضل سبعة عشر. وفي رواية نبيح ما يؤيد ذلك، ففي روايته قال: «كِل له فإن الله سوف يوفيه»، وفي حديثه: فإذا الشمس قد دلكت، فقال: «الصلاة يا أبا بكر» فاندفعوا إلىٰ المسجد، فقلت له -أي للغريم-: قرب أوعيتك، وفيه: فجئت أسعىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ كأني شرارة فوجدته قد صلىٰ فأخبرته، فقال: أين عمر، فجاء يهرول، فقال: «سل جابرًا عن تمره وغريمه»، فقال: ما أنا بسائله قد علمت أن الله سيوفيه.. الحديث[٤٤].

(٤٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٥٩٣) بتصرف.

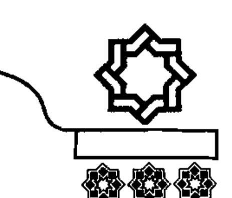
فوائد الحديث:

١- جواز الاستنظار في الدين الحال.

٢- جواز تأخير الغريم لمصلحة المال الذي يوفي منه.

٣- مشي الإمام في حوائج رعيته وشفاعته عند بعضهم في بعض.

٤- علم ظاهر من أعلام النبوة لتكثير القليل إلىٰ أن حصل به وفاء الكثير وفضل منه.



حماية الله -عزوجل- له من القتل في غزوة ذات الرقاع

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، قَالَ: وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ»، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: «اللهُ»، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: «اللهُ»، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ، ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ» (٤٥).

معاني الكلمات:

قِبَل نجد: ناحيتها، وهي ما بين الحجاز إلىٰ الشام ومنها المدينة والطائف.

قفل: رجع.

العضاه: شجر عظيم له شوك.

---

(٤٥) أخرجه البخاري (٢٦٩٤)، ومسلم (٤٢٣١).

سمرة: شجرة.

أعرابي: هو غورث بن الحارث.

اخترط: سل.

صلتا: مصلتًا بارزًا ومستويًا.

المعنى الإجمالي:

إن من دلائل النبوة حمايةُ الله لأنبيائه، وإنجاؤه لمن شاء منهم من أيدي أعدائهم، رغم ما يتربص بهم السفهاءُ من السوء، فعندما قفل رسول الله ﷺ من غزوة ذات الرقاع أدركته القائلة في وادٍ كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون الشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة علق بها سيفه، قال جابر بن عبد الله: (فنمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت له: الله» فها هو ذا جالس، لم يعاقبه رسول الله، واسم الأعرابي: غورث بن الحارث). وقد عاهد غورث رسول الله ﷺ ألا يقاتله، ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فخلىٰ سبيله، فجاء إلىٰ أصحابه فقال: (جئتكم من عند خير الناس).

وفي هذه القصة دليل علىٰ نبوة محمد ﷺ وفرط شجاعته وقوة يقينه وصبره علىٰ الأذىٰ وحِلْمه علىٰ الجهال، وفيها جواز تفرق العسكر في النزول ونومهم إذا لم يكن هناك ما يخافون منه.

إن هذه القصة ثابتة وصحيحة وهي تكشف عن مدىٰ رعاية الباري جل

جلاله وحفظه لنبيه ﷺ، ثم هي تزيدك يقينًا بالخوارق التي أخضعها الله جل جلاله له عليه الصلاة والسلام، مما يزيدك تبصرًا ويقينًا بشخصيته النبوية، فقد كان من السهل الطبيعي بالنسبة لذلك المشرك، وقد أخذ السيف ورفعه فوق النبي ﷺ وهو أعزل غارق في غفلة النوم، أن يهوي به عليه فيقتله، وإنك لتلمس من ذلك المشرك هذا الاعتداد بنفسه والزهو بالفرصة الذهبية التي أمكنته من رسول الله ﷺ في قوله: من يمنعك مني؟ فما الذي طرأ بعد ذلك حتىٰ عاقه عن القتل؟

ليس لهذا تفسير إلا العناية الإلهية، والإعجاز الإلهي، الذي يتخطىٰ العادات والسنن، ويتجاوز قوىٰ الناس، لنصرة نبيه، والذود عن دعوته. فقد كانت العناية الإلهية كافية لأن تملأ قلب المشرك بالرعب وأن تقذف في ساعديه تيارًا من الرجفة، فيسقط من يده السيف ثم يجلس متأدبًا مطرقًا بين يدي رسول الله ﷺ، وما حدث مصداق لقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧].

فليست العصمة المقصودة في الآية أن لا يتعرض الرسول ﷺ لأذىٰ أو محنة من قومه، إذ تلك هي سنة الله في عباده كما قد علمت، وإنما المراد من العصمة ألا تطول إليه أي يد تحاول اغتياله وقتله لتغتال فيه الدعوة الإسلامية التي بعث لتبليغها(٤٦).

---

(٤٦) انظر: السيرة النبوية للصلابي (ج ٣ / ص ٢٧٥).

فوائد الحديث:

١- تفرق الناس عن الإمام في القائلة وطلبهم الظل والراحة، ولكن ليس ذلك في غير رسول الله إلا بعد أن يبقىٰ معه من يحرسه من أصحابه؛ لأن الله تعالىٰ قد كان ضمن لنبيه بالعصمة.

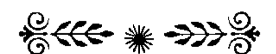
٢- أن حراسة الإمام في القائلة وفي الليل من الواجب علىٰ الناس، وأن تضييعه من المنكر والخطأ.

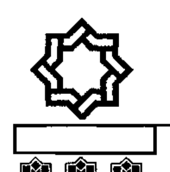
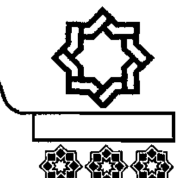
٣- جواز نوم المسافر إذا أمن، وأن المجاهد أيضًا إذا أمن نام ووضع سلاحه وإن خاف استوفز.

٤- دعاء الإمام لأتباعه إذا أنكر شخصًا.

٥- ترك الإمام معاقبة من جفا عليه وتوعده إن شاء، وإن أحب العفو عفا.

٦- صبر سيدنا رسول الله وصفحه عن الجهال.



بركة النبي ﷺ وعدم نسيان أبي هريرة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحَدِيثَ -وَاللهُ المَوْعِدُ-، وَيَقُولُونَ: مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَحْضُرُ حِينَ يَغِيبُونَ، وَأَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: «لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعَهُ إِلَى صَدْرِهِ فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا»، فَبَسَطْتُ نَمِرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرُهَا حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ ﷺ مَقَالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَاللهِ لَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا أَبَدًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٥٩]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠](٤٧).

معاني الكلمات:

عمل أموالهم: ما يتعلق بإصلاح أموالهم من مزارع ونحوها.

مسكينًا: لا شيء له يتاجر به أو يشغله إصلاحه.

---

(٤٧) أخرجه البخاري (٢١٧٩).

الصفة: موضع مظلل في المسجد كان يأوي إليه الغرباء وفقراء الصحابة رضي الله عنهم ومن ليس له منزل منهم، وكان أبو هريرة رضي الله عنه رئيسهم.

أعي: أحفظ.

أقضي مقالتي: انتهي من حديثي.

نمرة: كساء مخطط أو ملون.

المعنى الإجمالي:

يعلل أبو هريرة رضي الله عنه سبب إكثاره من الحديث عن رسول الله ﷺ وأنه لم يكن يشغله شيء عن رسول الله ﷺ بل كان ملازمه يرضىٰ بالقليل من الزاد حرصًا علىٰ أخذ العلم عن رسول الله ﷺ، فحصل له ما لم يحصل لغيره من كثير من المهاجرين والأنصار الذين كان يشغلهم العمل في أموالهم ومزارعهم عن لزوم النبي ﷺ ملازمة أبي هريرة له.

قوله عن المهاجرين: (كان يشغلهم الصفق في الأسواق): قال الخطابي: وكانوا إذا تبايعوا تصافقوا بالأكف إمارة لانتزاع البيع؛ وذلك أن الأملاك إنما تضاف إلىٰ الأيدي والقبوض تبع لها، فإذا تصافقت الأكف انتقلت الأملاك واستقرت كل يد منها علىٰ ما صار لكل واحد منهما من ملك صاحبه، وكان المهاجرون تجارًا والأنصار أصحاب زرع، فيغيبون بها عن حضرة رسول الله في أكثر أحواله ولا يسمعون من حديثه إلا ما كان يحدث به في أوقات شهودهم، وأبو هريرة حاضر دهره لا يفوته شيء منها إلا ما شاء الله، ثم لا يستولي عليه النسيان لصدق عنايته بضبطه وقلة استعماله بغيره، وقد لحقته دعوة رسول الله

فقامت له الحجة علىٰ من أنكر أمره واستغرب شأنه[(٤٨)].

قوله: (وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: «لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّىٰ أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعَهُ إِلَىٰ صَدْرِهِ فَيَنْسَىٰ مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا»فبسطت نمرة...): معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، وفيه أيضًا: فضيلة ظاهرة لأبي هريرة وأنه خصه ببسط ردائه وضمه فما نسي من مقالته شيئًا. قيل: إذا كان أبو هريرة أكثر أخذًا للعلم يكون أفضل من غيره؛ لأن الفضيلة ليست إلا بالعلم والعمل، وأجيب بأنه لا يلزم من أكثرية الأخذ كونه أعلم، ولا باشتغالهم عدم زهدهم، مع أن الأفضلية معناها أكثرية الثواب عند الله، وأسبابه لا تنحصر في أخذ العلم ونحوه، وقد يكون بإعلاء كلمة الله ونحوه، كذا قيل. والأحسن أن يقال: لا يستلزم الأفضلية في نوع الأفضلية في كل الأنواع.

فوائد الحديث:

١- الحرص علىٰ التعلم وإيثار طلبه علىٰ طلب المال.

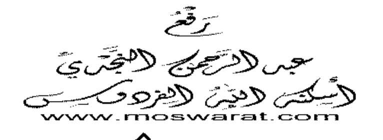
٢- فضيلة ظاهرة لأبي هريرة وأنه خصه ببسط ردائه وضمه فما نسي من مقالته شيئًا.

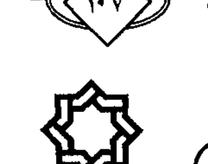
٣- يرد به علىٰ الرافضة وقوم من الخوارج زعموا بأن أحكام النبي وسننه منقولة عنه نقل تواتر، وأنه لا سبيل إلىٰ العمل بما لم ينقل نقل تواتر.

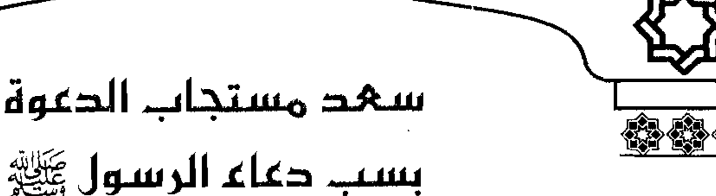
٤- معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ في بسط ثوب أبي هريرة.

---

(٤٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧/ ٢٣٢).







سعد مستجاب الدعوة بسبب دعاء الرسول ﷺ

عَنْ سَعْدِ بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ»، فكان لا يدعو إلا استُجيب له)[(٤٩)].

ومن هذا ما رواه جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا أُصَلِّي صَلَاةَ العِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ -يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ- قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ وَلَا يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ؛ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ

---

(٤٩) صحيح الترمذي (٢٩٥٠)، وصحيح المشكاة (٦١١٦).

يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ. قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنْ الكِبَرِ وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ(٥٠).

معاني الكلمات:

لا أخرم عنها: ما خرمت منه شيئًا؛ أي: ما نقصت.

صلاتي العشي: صلاتا العشي هاهنا: هما صلاة الظهر والعصر، فإن العشي: هو من لدن زوال الشمس إلىٰ آخر النهار، وقيل: إلىٰ طلوع الفجر.

الركود: كناية عن السكون والثبات.

لا يسير بالسرية؛ أي: لا يخرج بنفسه معها في الغزو.

السرية؛ أي: النفيسة.

رياء وسمعة: يقال: فعل فلان كذا وكذا رياء وسمعة، أي: ليرىٰ فعله ويسمع عنه ذلك.

المعنىٰ الإجمالي:

كان سعد معروفًا بإجابة الدعوة (مستجاب الدعاء)؛ يعني: أن الله أعطاه كرامة، وهو أن الله تعالىٰ يجيب دعوته إذا دعا، وقد جعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أميرًا علىٰ أهل الكوفة؛ لأن المسلمين لما فتحوا العراق مَصَّروا

(٥٠) أخرجه البخاري (٧١٣)، وصحيح بن حبان (١٨٥٩).

الأمصار وجعلوا البصرة والكوفة وهما أشهر ما يكون في العراق، ثم إن أمير المؤمنين جعل لهم أمراء، فأمَّر سعد بن أبي وقاص علىٰ الكوفة، فشكاه أهل الكوفة إلىٰ أمير المؤمنين عمر، حتىٰ قالوا: إنه لا يحسن أن يصلي، وهو صحابي جليل شهد له النبي ﷺ بالجنة، فأرسل إليه عمر، فحضر وقال له: إن أهل الكوفة شكوك حتىٰ قالوا: إنك لا تحسن تصلي، فأخبره سعد رضي الله عنه أنه كان يصلي بهم صلاة النبي ﷺ وذكر صلاة العشاء وكأنها -والله أعلم- هي التي وقع تعيينها من هؤلاء الشكاة، فقال: إني لأصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، لا أخرم عنها يعني لا أدعها، فكنت أطول في العشاء بالأولين وأقصر في الأخريين، فقال له عمر رضي الله عنه: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، فزكاه عمر؛ لأن هذا هو الظن به، أنه يحسن الصلاة، وأنه يصلي بقومه الذين أمر عليهم صلاة النبي ﷺ، ولكن مع ذلك تحرىٰ ذلك عمر رضي الله عنه؛ لأنه يتحمل المسئولية ويعرف قدر المسئولية، أرسل رجالًا إلىٰ أهل الكوفة، يسألونهم عن سعد وعن سيرته، فكان هؤلاء الرجال، لا يدخلون مسجدًا ويسألون عن سعد إلا أثنوا عليه معروفًا.

حتىٰ أتىٰ هؤلاء الرجال إلىٰ مسجد بني عبس، فسألوهم، فقام رجل فقال: أما ناشدتمونا، فإن هذا الرجل لا يعدل في القضية، ولا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، فقوله: لا يسير في السرية؛ يعني: لا يخرج في الجهاد، ولا يقسم بالسوية إذا غنم ولا يعدل في القضية إذا حكم بين الناس، فاتهمه هذه التهم، فهي تهم ثلاث، فقال: أما إن قلت كذا -المتحدث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه-، فلأدعون عليك بثلاث دعوات، دعا عليه أن يطيل الله تعالىٰ عمره وفقره ويعرضه للفتن، نسأل الله العافية، ثلاث دعوات عظيمة، لكنه رضي الله عنه استثنىٰ،

قال: إن كان عبدك هذا قام رياء وسمعة؛ يعني: لا بحق، فأجاب الله دعاءه، فعمَّر هذا الرجل طويل وشاخ حتىٰ إن حاجبيه سقطت علىٰ عينيه من الكبر، وكان فقيرًا وعرض للفتن، حتىٰ وهو في هذه الحال وهو كبير إلىٰ هذا الحد كان يتعرض للجواري، يتعرض لهن في الأسواق ليغمزهن والعياذ بالله، وكان يقول عن نفسه: شيخ مفتون كبير أصابتني دعوة سعد. فهذه من الكرامات التي أكرم الله بها سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(٥١)].

فوائد الحديث:

١- أن من تولىٰ أمرًا في الناس فإنه لا يسلم منهم مهما كانت منزلته، لا بد أن يناله السوء.

٢- جواز دعاء المظلوم علىٰ ظالمه بمثل ما ظلمه كما دعا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه الدعوات علىٰ من ظلمه.

٣- أن الله تعالىٰ يستجيب دعاء المظلوم؛ ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلىٰ اليمن وأمره أن يأخذ الزكاة من أموالهم، قال: «إياك وكزائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»، فالمظلوم يستجيب الله دعاءه حتىٰ ولو كان كافرًا، فلو كان كافرًا وظلم ودعا علىٰ من ظلمه أجاب الله دعاءه؛ لأن الله حكم عدل عَزَّ وَجَلَّ، يأخذ بالإنصاف والعدل لمن كان مظلومًا ولو كان كافرًا، فكيف إذا كان مسلمًا؟

---

(٥١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ١٧٣١).

٤- أنه يجوز للإنسان أن يستثني في الدعاء، إذا دعا علىٰ شخص يستثني فيقول: اللهم إن كان كذا فافعل به كذا، اللهم إن كان ظلمني فأنصفني منه أو فابتله بكذا وكذا، تدعو بمثل ما ظلمك.

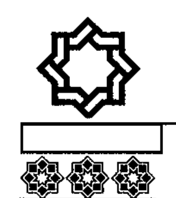
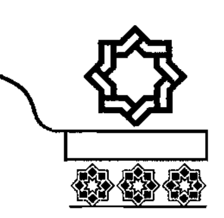
٥- حرص أمير المؤمنين عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ الرعية وتحمله المسئولية والإحساس بها وشعوره بها رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ ولهذا اشتهر بعدالته وحسن سياسته في الأمور كلها؛ الحربية، والسلمية، والدينية، والدنيوية، فهو في الحقيقة خير الخلفاء بعد أبي بكر، بل حسنة من حسنات أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لأن الذي ولاه علىٰ المسلمين هو أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

٦- أن الإمام إذا شكي إليه نائبه ينبغي أن يبعث إليه، ويستفسر عن ذلك، ولا يسكت، فإن خاف من ذلك فتنة، أو مفسدة عزله، ويولي غيره، وإن لم يكن فيه خلل، ألا ترىٰ كيف عزل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سعدا مع أنه لم يكن فيه خلل، ولا ثبت عنده ما يقدح في ولايته، وأهليته، وقد ثبت في (صحيح البخاري) في حديث مقتل عمر، والشورىٰ، أن عمر قال: (إن أصابت الإمارة سعدًا فذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر، فإني لم أعزله من عجز، ولا خيانة)[٥٢].

٧- جواز المدح للرجل الجليل في وجهه إذا لم يخف عليه فتنة الإعجاب بنفسه.



(٥٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

بركة في المال والولد لأنس بدعوة النبي ﷺ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ قَالَ: «أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ فَإِنِّي صَائِمٌ»، ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ البَيْتِ فَصَلَّى غَيْرَ المَكْتُوبَةِ فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً، قَالَ: «مَا هِيَ؟» قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلَا دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ». فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ (٥٣).

معاني الكلمات:

السقاء: وعاء من جلد يوضع فيه الماء وربما وضع فيه غيره.

ناحية: جانب.

خويصة: تصغير خاصة، ومعناه: الذي يختص بخدمتك، وصغرته لصغر سنه.

لصلبي؛ أي: من ولدي غير أحفادي وأسباطي، والحفيد ولد الابن،

---

(٥٣) أخرجه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (٤٥٣١).

والسبط ولد البنت.

مقدم حجاج البصرة: قدومه إليها.

بضع: ما بين ثلاث إلىٰ تسع.

المعنى الإجمالي:

ذهب النبي ﷺ إلىٰ بيت أم سليم فأتته بتمر وسمن علىٰ سبيل الضيافة فأمرها بإعادته لأنه صائم.

قوله: (فصلىٰ غير المكتوبة)؛ يعني: التطوع. وفي رواية أحمد عن ابن أبي عدي عن حميد: (فصلىٰ ركعتين وصلينا معه)، وكانت هذه القصة غير القصة التي صلىٰ فيها علىٰ الحصير، وأقام أنسًا خلفه، وأم سليم من ورائه. ووقع لمسلم من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت: ثم صلىٰ ركعتين تطوعًا فأقام أم حرام وأم سليم خلفنا، وأقامني عن يمينه)، وهذا ظاهر في تعدد القصة من وجهين؛ **أحدهما**: أن القصة المتقدمة لا ذكر فيها لأم حرام. **والآخر**: أنه هنا لم يأكل، وهناك أكل.

قوله: (خويصة) تصغير الخاصة، وفي رواية: (خويصتك أنس) فصغرته لصغر سنه يومئذ، ومعناه: هو الذي يختص بخدمتك. ومقصودها: أن ولدي أنسًا له خصوصية بك؛ لأنه يخدمك فادع له دعوة خاصة.

قوله: (فما ترك خير آخرة...)؛ أي: ما ترك خيرًا من خيرات الآخرة، ولا من خيور الدنيا إلا دعا لي به.

وقوله: (اللهم ارزقه مالًا وولدًا وبارك له) بيان لدعائه له، ويدل عليه رواية أحمد من رواية عبيدة بن حميد عن حميد: (إلا دعا لي به) فكان من قوله: (اللهم...) إلىٰ آخره.

فإن قلت: المال والولد من خير الدنيا، فأين ذكر خير الآخرة في الدعاء له؟

قلت: الظاهر أن الراوي اختصره، يدل عليه ما رواه ابن سعد بإسناد صحيح عن الجعد، عن أنس قال: «أللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره، واغفر ذنبه». ووقع في رواية مسلم عن الجهد عن أنس: (فدعا لي بثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين في الدنيا وأنا أرجو الثالثة في الآخرة)، فلم يبين الثالثة وهي المغفرة كما بينها ابن سعد في روايته، وقال الكرماني: ولفظ بارك إشارة إلىٰ خير الآخرة، والمال والولد الصالحان من جملة خير الآخرة أيضًا؛ لأنهما يستلزمانها قوله: (وبارك له).

قوله: (فإني لمن أكثر الأنصار مالًا) الفاء فيها معنىٰ التفسير، فإنها تفسر معنىٰ البركة في ماله، قال أبو العالية: كان لأنس بستان يحمل في السنة مرتين، وكان فيه ريحان يجيء منه رائحة المسك. وفي (الحلية) لأبي نعيم من طريق حفصة بنت سيرين عن أنس قال: (وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين، وما في البلد شيء يثمر مرتين غيرها).

قوله: (وحدثتني ابنتي أُمَيْنَة) هو من قبيل رواية الآباء عن الأبناء. قوله: (إنه دفن لصلبي)؛ أي: من ولده دون أسباطه وأحفاده.

قوله: (مقدم الحجاج) هو ابن يوسف الثقفي، وكان قدومه البصرة سنة خمس وسبعين، وعمر أنس حينئذ نيف وثمانون سنة، وقد عاش أنس بعد ذلك إلىٰ سنة ثلاث، ويقال: اثنتين، ويقال: إحدىٰ وتسعين، وقد قارب المائة (٥٤).

فوائد الحديث:

١- معجزة الرسول في دعائه لأنس ببركة المال وكثرة الولد مع كون بستانه صار يثمر مرتين في السنة دون غيره.

٢- كرامة أنس رضي الله عنه.

٣- إيثار الولد علىٰ النفس وحسن التلطف في السؤال.

٤- أن كثرة الموت في الأولاد لا تنافي إجابة الدعاء بطلب كثرتهم.

٥- تقديم الصلاة أمام طلب الحاجة.

٦- زيارة الإمام بعض رعيته.

٧- التحديث بنعم الله تعالىٰ والإخبار عنها، والإعلام بمواهبه، وأن لا يجحد نعمه.

٨- التأريخ بولاية الأمراء لقوله: مقدم الحجاج.

٩- مشروعية الدعاء عقيب الصلاة.

١٠- جواز رد الهدية إذا لم يشق ذلك علىٰ المهدي وإن أخذ من ردت عليه ليس من العود في الهبة.

---

(٥٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧/ ٨٩).

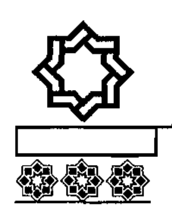
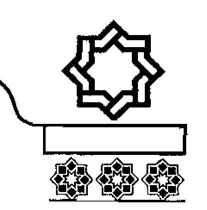
١١- حفظ الطعام وترك التفريط.

١٢- التلطف بقولها: خادمك أنس.

١٣- فيه حجة لمالك والكوفيين منهم أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن الصائم المتطوع لا ينبغي له أن يفطر بغير عذر ولا سبب يوجب الإفطار، فإن قلت: هذا يعارض حديث أبي الدرداء حين زاره سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قلت: لا معارضة بينهما؛ لأن سلمان امتنع أن يأكل إن لم يأكل أبو الدرداء معه؛ وهذه علة للفطر لأن للضيف حقًّا كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الصائم إذا دعي إلىٰ طعام فليدع لأهله بالبركة ويؤنسهم بذلك»؛ لأن فيه جبر خاطر المزور إذا لم يؤكل عنده.

١٤- جواز التصغير علىٰ معنىٰ التعطف له والترحم عليه والمودة له، بخلاف ما إذا كان للتحقير فإنه لا يجوز.

❊ ❊ ❊

أسلمت بدعوته ﷺ

عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأسمعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا اليَوْمَ فَأسمعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى البَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ المَاءِ. قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتْ البَابَ، ثُمَّ قَالَتْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنْ الفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ الله دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا -يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ- وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمْ المُؤْمِنِينَ»، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي(٥٥).

---

(٥٥) أخرجه مسلم (٤٥٤٦)، وأحمد (٧٩١١).

معاني الكلمات:

أجفت الباب: إذا أغلقته، فهو مجاف.

خشف قدَمَيّ: الخشف والخشفة: الصوت والحركة.

المعنى الإجمالي:

لقد ذهب أبو هريرة أول النهار إلىٰ رسول الله ﷺ يبكي حُزنًا علىٰ تمنُّعِ أمِّه عن الإسلام وسِبها للنبي ﷺ، فما لبِث أن عاد يبكي فرَحًا بإسلامها ببركة دعاء النبي ﷺ.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: (وهذا الحديث من دلائل النبوة، فإن أبا هريرة محبب إلىٰ جميع الناس، وقد شهر الله ذكره بما قدره أن يكون من روايته من إيراد هذا الخبر عنه علىٰ رءوس الناس في الجوامع المتعددة في سائر الاقاليم في الانصات يوم الجمعة بين يدي الخطبة، والامام علىٰ المنبر، وهذا من تقدير الله العزيز العليم، ومحبة الناس له رضي الله عنه)[(٥٦)].

فهذه القصَّةُ العظيمةُ الرائعةُ دالةٌ علىٰ جواز الدعاءِ للوالدين إذا كانا مشركَيْن بالهدايةِ، وأهميَّةِ ذلك وعِظمِ فائدته، وينبغي له أن يجمع لهما بين الدعاء والدعوة، كما فعل أبو هريرة رضي الله عنه مع أمِّه رضي الله عنها، فقد كان يُكثر من دعوتها إلىٰ الإسلام، والدعاءِ لها بالهداية والتوفيق، ثمَّ إنَّه رضي الله عنه كان يُكثر من الدعاءِ لَها -بعد هدايتها- بالرحمة والمغفرة.

---

(٥٦) البداية والنهاية (٨/ ١١٣).

روىٰ البخاري في الأدب المفرد عن أبي مرَّة مولىٰ أمِّ هانئ بنت أبي طالب: أنَّه ركب مع أبي هريرة إلىٰ أرضه بالعقيق، فإذا دخل أرضَه صاح بأعلىٰ صوتِه: عليكِ السلامُ ورحمةُ الله وبركاتُه يا أمَّتاه، تقول: وعليكَ السلام ورحمة الله وبركاته، يقول: رَحمَكِ الله كما ربَّيتِني صغيرًا، فتقول: يا بُني، وأنت جزاك الله خيرًا ورضي عنك كما بررتني كبيرًا.

وروىٰ أيضًا عن محمد بن سيرين قال: كنَّا عند أبي هريرة ليلة فقال: اللَّهمَّ اغفر لأبي هريرة ولأمِّي، ولِمَن استغفر لهما، قال محمد بن سيرين: فنحن نستغفر لهما حتىٰ ندخل في دعوة أبي هريرة.

ودعاء الولدِ لوالديه ينفعهما بعد موتهما حيث ينقطع عملُهما في هذه الحياة، فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا مات الإنسانُ انقطع عملُه إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو وَلَدٍ صالح يدعو له»(٥٧).

وهكذا كان من علامات المؤمنين إذًا: حب أبي هريرة، ببركة دعائه له، وشهادة القرآن له إذ هو معدود من جملة الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجه الله، وقد أمر النبي بالجلوس إليهم والصبر معهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨]، وهؤلاء هم أهل الصفة، والصفة موضع مظلل في شمال المسجد

(٥٧) صحيح مسلم (١٦٣١).

النبوي يأوي إليه أصحاب رسول الله ممن لا منزل له وأكثرهم من المهاجرين الفقراء، وكان النبي يطعمهم ويتفقد أحوالهم؛ وفضلهم مشهور لا ينكر، وأبو هريرة منهم قد حاز شرف فقرهم وفضلهم وأجرهم، وهكذا نرى أن الفضل قد تتابع لأبي هريرة لصحبته، ولهجرته، ولدوسيته، ويمانيته، ونيله دعوة الرسول وتوثيقه له، وشهادة القرآن له. فهل يأتي اليوم من نسبه ممذوق، وعرضه مفتوق، وعيشه ممحوق يطعن في أبي هريرة! هيهات والله أن ينالوا منه شيئًا، فوالله ما أبغض هؤلاء الأصحاب إلا كل منافق مرتاب وما أحبهم إلا كل مؤمن خلص قلبه وطاب.

فوائد الحديث:

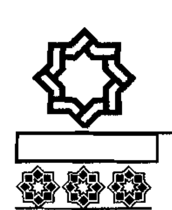
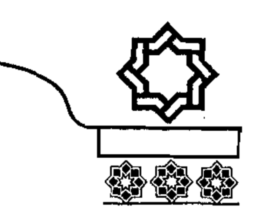
١- استجابة دعاء رسول الله ﷺ على الفَور بعين المسئول، وهو من أعلام نبوته ﷺ.

٢- استحباب حمد الله عند حصول النعم.

٣- فضل بر الوالدين.

٤- فضل أبي هريرة رضي الله عنه.



آمنت قبيلة دوس بعد عناد ببركة دعائه ﷺ

كَان الطّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدّوْسِيّ يُحَدّثُ أَنّهُ قَدِمَ مَكّةَ -وَرَسُولُ الله ﷺ بِهَا- فَمَشَى إلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الطّفَيْلُ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا، فَقَالُوا لَهُ: يَا طُفَيْلُ، إنّك قَدِمْت بِلَادَنَا، وَهَذَا الرّجُلُ الّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَعْضَلَ بِنَا، وَقَدْ فَرّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتّتْ أَمْرَنَا، وَإِنّمَا قَوْلُهُ كَالسّحْرِ يُفَرّقُ بَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ، وَبَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ، وَبَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ، وَإِنّا نَخْشَى عَلَيْك وَعَلَى قَوْمِك مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا، فَلَا تُكَلّمَنّهُ وَلَا تَسْمَعَنّ مِنْهُ شَيْئًا. قَالَ: فَوَالله مَا زَالُوا بِي حَتّى أَجْمَعْت أَنْ لَا أسمعَ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا أُكَلّمَهُ حَتّى حَشَوْت فِي أُذُنِي حِينَ غَدَوْت إلَى المَسْجِدِ كُرْسُفًا فَرَقًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أسمعَهُ. قَالَ فَغَدَوْت إلَى المَسْجِدِ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يُصَلّي عِنْدَ الكَعْبَةِ. قَالَ: فَقُمْت مِنْهُ قَرِيبًا، فَأَبَى الله إلّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ. قَالَ: فَسَمِعْت كَلَامًا حَسَنًا. قَالَ: فَقُلْت فِي نَفْسِي: وَاثُكْلَ أُمّي وَالله إنّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ، مَا يَخْفَى عَلَيّ الحَسَنُ مِنْ القَبِيحِ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أسمعَ مِنْ هَذَا الرّجُلِ مَا يَقُولُ، فَإِنْ كَانَ الّذِي يَأْتِي بِهِ حَسَنًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْته. قَالَ: فَمَكَثْت حَتّى انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ إلَى بَيْتِهِ فَاتّبَعْته، حَتّى إذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْت عَلَيْهِ، فَقُلْت: يَا مُحَمّدُ إنّ قَوْمَك قَالُوا لِي: كَذَا وَكَذَا -لِلّذِي قَالُوا- فَوَالله مَا بَرِحُوا يُخَوّفُونَنِي أَمْرَك حَتّى سَدَدْت أُذُنِي بِكُرْسُفٍ لِئَلّا أسمعَ قَوْلَك، ثُمّ أَبَى الله إلّا أَنْ يُسْمِعَنِي قَوْلَك، فَسَمِعْته قَوْلًا

حَسَنًا، فَأعْرُضْ عَلَيّ أَمْرَك. قَالَ: فَعَرَضَ عَلَيّ رَسُولُ الله ﷺ الإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيّ القُرْآنَ، فَلَا وَالله مَا سَمِعْت قَوْلًا قَطّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ. قَالَ: فَأَسْلَمْت، وَشَهِدْت شَهَادَةَ الحَقّ وَقُلْت: يَا نَبِيّ الله إنّي امْرِئٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَأَنَا رَاجِعٌ إلَيْهِمْ وَدَاعِيهِمْ إلَى الإِسْلَامِ فَادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ لِي عَوْنًا عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إلَيْهِ، فَقَالَ: «اللّهُمّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً». قَالَ: فَخَرَجْت إلَى قَوْمِي، حَتّى إذَا كُنْت بِثَنِيّةٍ تَطْلُعُنِي عَلَى الحَاضِرِ وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيْ مِثْلَ المِصْبَاحِ، فَقُلْت: اللّهُمّ فِي غَيْرِ وَجْهِي، إنّي أَخْشَى، أَنْ يَظُنّوا أَنّهَا مُثْلَةٌ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِرَاقِ دِينِهِمْ. قَالَ: فَتَحَوّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي. قَالَ: فَجَعَلَ الحَاضِرُ يَتَرَاءَوْنَ ذَلِكَ النّورَ فِي سَوْطِي كَالقِنْدِيلِ المُعَلّقِ وَأَنَا أَهْبِطُ إلَيْهِمْ مِنْ الثّنِيّةِ، قَالَ: حَتّى جِئْتهمْ فَأَصْبَحْت فِيهِمْ، قَالَ: فَلَمّا نَزَلْتُ أَتَانِي أَبِي، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَالَ: فَقُلْت: إلَيْك عَنّي يَا أَبَتْ فَلَسْت مِنْك، وَلَسْت مِنّي، قَالَ: وَلِمَ يَا بُنَيّ؟ قَالَ: قُلْت: أَسْلَمْت، وَتَابَعْت دِينَ مُحَمّدٍ ﷺ. قَالَ: أَيْ بُنَيّ فَدِينِي دِينُك، قَالَ: فَقُلْت: فَاذْهَبْ فَاغْتَسِلْ وَطَهّرْ ثِيَابَك، ثُمّ تَعَالَ حَتّى أُعَلّمَك مَا عُلّمْت. قَالَ: فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ وَطَهّرَ ثِيَابَهُ. قَالَ: ثُمّ جَاءَ فَعَرَضْت عَلَيْهِ الإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ. قَالَ: ثُمّ أَتَتْنِي صَاحِبَتِي، فَقُلْت: إلَيْك عَنّي، فَلَسْت مِنْك وَلَسْت مِنّي، قَالَتْ: لِمَ؟ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي، قَالَ: قُلْت: قَدْ فَرّقَ بَيْنِي وَبَيْنَك الإِسْلَامُ وَتَابَعْت دِينَ مُحَمّدٍ ﷺ، قَالَتْ: فَدِينِي دِينُك، قَالَ: قُلْت: فَاذْهَبِي إلَى حِنَا ذِي الشّرَى -قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ حِمَى ذِي الشّرَى- فَتَطَهّرِي مِنْهُ. ذُو الشّرَى صَنَمًا لِدَوْسٍ، وَكَانَ الحِمَى حِمًى حَمَوْهُ لَهُ بِهِ وَشَلٌ مِنْ مَاءٍ يَهْبِطُ مِنْ جَبَلٍ. قَالَ: قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي، أَتَخْشَى عَلَى الصّبِيّةِ مِنْ ذِي الشّرَى شَيْئًا، قَالَ: قُلْت: لَا، أَنَا ضَامِنٌ لِذَلِكَ فَذَهَبَتْ فَاغْتَسَلَتْ

ثُمّ جَاءَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الإِسْلَامَ فَأَسْلَمَتْ. ثُمّ دَعَوْت دَوْسًا إِلَى الإِسْلَامِ فَأَبْطَئُوا عَلَيّ، ثُمّ جِئْت رَسُولَ الله ﷺ بِمَكّةَ، فَقُلْت لَهُ: يَا نَبِيّ الله أَنّهُ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى دَوْسٍ الزّنَا، فَادْعُ الله عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «اللّهُمّ اهْدِ دَوْسًا»، ارْجِعْ إِلَى قَوْمِك فَادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ حَتّى هَاجَرَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى المَدِينَةِ، وَمَضَى بَدْرٌ وَأُحُدٌ وَالخَنْدَقُ، ثُمّ قَدِمْت عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِمَنْ أَسْلَمَ مَعِي مِنْ قَوْمِي، وَرَسُولُ الله ﷺ بِخَيْبَرِ حَتّى نَزَلْت المَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ، ثُمّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ الله ﷺ بِخَيْبَرِ فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ المُسْلِمِينَ(٥٨).

معاني الكلمات:

دوس: قبيلة من قبائل اليمن.

فقيل: قال ذلك من حضر المجلس لظنه أن رسول الله ﷺ سيدعو عليهم.

المعنى الإجمالي:

قوله: (قدم طُفَيل بن عمر) بن طريف بن العاصي بن ثعلبة بن سليم بن غنم بن دوس الدوسي من دوس، أسلم وصدق النبي بمكة، ثم رجع إلىٰ بلاد قومه من أرض دوس فلم يزل مقيمًا بها حتىٰ هاجر رسول الله، ثم قدم علىٰ رسول الله وهو بخيبر بمن تبعه من قومه فلم يزل مقيمًا مع رسول الله حتىٰ

---

(٥٨) أخرجه البخاري (٢٧٢٠)، ومسلم (٤٥٨٦)، وانظر: زاد المعاد (٣/ ٥٤٥)، والروض الأنف (٢/ ١٨٦).

قبض، ثم كان مع المسلمين حتىٰ قتل باليمامة شهيدًا، وروىٰ إبراهيم بن سعد عن ابن عباس قال: قتل الطفيل بن عمرو الدوسي عام اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ذكره ابن عبد البر في (الاستيعاب). وقال أيضًا: كان الطفيل بن عمرو الدوسي يقال له: ذو النور، ثم ذكر بإسناده إلىٰ هشام الكلبي: أنه إنما سمي بذلك؛ لأنه وفد علىٰ النبي، فقال: يا رسول الله إن دوسًا قد غلب عليهم الزنا، فادع الله عليهم، فقال رسول الله: «أللهم اهد دوسًا»، ثم قال يا رسول الله ابعثني إليهم واجعل لي آية يهتدون بها، فقال: «أللهم نور له» فسطع نور بين عينيه، فقال: يا رب أخاف أن يقولوا مثلة، فتحولت إلىٰ طرف سوطه، فكانت تضيء في الليلة المظلمة فسمي ذو النور.

وقوله: قدم الطفيل وأصحابه هذا قدومه الثاني مع أصحابه ورسول الله بخيبر كما ذكرنا، وكان أصحابه ثمانين أو تسعين، وهم الذين قدموا معه وهم أهل بيت من دوس. قوله: (إن دوسًا قد عصت)؛ أي: علىٰ الله تعالىٰ ولم تسمع من كلام الطفيل حين دعاهم إلىٰ الإسلام وأبت من سماع كلامه، وقال الطفيل: يا رسول الله غلب علىٰ دوس الزنا والربا فادع الله عليهم بالهلاك، فقال: «أللهم اهد دوسًا وائت بهم»؛ أي: مسلمين، أو كناية عن الإسلام، وقال الكرماني: هم طلبوا الدعاء عليهم، ورسول الله دعا لهم، وذلك من كمال خلقه العظيم ورحمته علىٰ العالمين، قلت: لا شك أن رسول الله رحمة للعالمين، ومع هذا كان يحب دخول الناس في الإسلام فكان لا يعجل بالدعاء عليهم ما دام يطمع في إجابتهم إلىٰ الإسلام، بل كان يدعو لمن يرجو منه الإنابة ومن لا يرجوه ويخشىٰ ضرره وشوكته يدعو عليه كما دعا علىٰ قريش، كما مر ودوس

هو ابن عدنان ابن عبد الله ابن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وينسب إليه الدوسي. قال الرشاطي: الدوسي في الأزد ينسب إلىٰ دوس، فذكر نسبه مثل ما ذكرنا [(٥٩)].

فوائد الحديث:

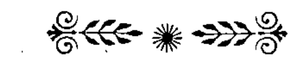
١- أن عادة المسلمين كانت غسل الإسلام قبل دخولهم فيه، وقد صح أمر النبي ﷺ به. وأصح الأقوال وجوبه علىٰ من أجنب في حال كفره ومن لم يجنب.

٢- أنه لا ينبغي للعاقل أن يقلد الناس في المدح والذم، ولا سيما تقليد من يمدح بهوىٰ ويذم بهوىٰ، فكم حال هذا التقليد بين القلوب وبين الهدىٰ ولم ينج منه إلا من سبقت له من الله الحسنىٰ.

٣- أن المدد إذا لحق بالجيش قبل انقضاء الحرب أسهم لهم.

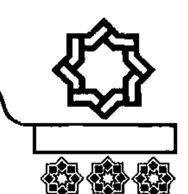
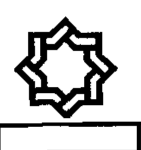
٤- وقوع كرامات الأولياء، وأنها إنما تكون لحاجة في الدين أو لمنفعة للإسلام والمسلمين، فهذه هي الأحوال الرحمانية سببها متابعة الرسول ونتيجتها إظهار الحق وكسر الباطل والأحوال الشيطانية ضدها سببا ونتيجة.

٥- التأني والصبر في الدعوة إلىٰ الله وأن لا يعجل بالعقوبة والدعاء علىٰ العصاة.



---

(٥٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١/ ٤٤٣).

إغاثة الله الناس بدعائه

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَصَابَتْ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَ المَالُ وَجَاعَ العِيَالُ فَادْعُ اللهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ المَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنْ الغَدِ، وَبَعْدَ الغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ حَتَّى الجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ -أَوْ قَالَ غَيْرُهُ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ تَهَدَّمَ البِنَاءُ وَغَرِقَ المَالُ فَادْعُ اللهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا»، فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ وَصَارَتْ المَدِينَةُ مِثْلَ الجَوْبَةِ وَسَالَ الوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالجَوْدِ(٦٠).

معاني الكلمات:

سنة: شدة وجهد وقحط.

العيال: هم كل من يعوله الرجل ويقوم بالإنفاق عليه.

قزعة: قطعة غيم أو الغيم الرقيق.

---

(٦٠) أخرجه البخاري (٨٨١).

ثار: هاج وانتشر.

السحاب: الغيم.

يتحادر: ينزل ويقطر.

حوالينا: أنزل المطر في جوانبنا.

الجوبة: الفرجة المستديرة في السحاب، أو أحاطت بها المياه كالحوض المستدير.

قناة: اسم لواد معين من أودية المدينة.

الجود: المطر الغزير.

المعنى الإجمالي:

رفع النبي يديه ﷺ، وما في السماء قزْعة -أي قطعة من السحاب- فما وضع يديه حتىٰ ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتىٰ أخذ المطر يتحادر علىٰ لحيته ﷺ، فمُطرنا يومنا ذلك ومن الغد، وبعد الغد، والذي يليه، حتىٰ الجمُعَة الأخرىٰ.

وفي الجمعة الأخرىٰ قام أعرابي، فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا».

يقول أنس: فما يشير بيده إلىٰ ناحيةٍ من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجَوْبة، وسال الوادي قناة شهرًا، ولم يجئ أحدٌ من ناحيةٍ إلا حدّث بالجُوْد.

لقد نزل المطر بدعائه ﷺ واستمر أسبوعًا، ثم توقف بدعائه ﷺ بعد أسبوع من هطوله، كما انفرجت السحابة عن المدينة لقوله: «اللهم حوالينا ولا علينا»، أليس ذلك كلُه من أمارات نبوته وعلامات صدقه؟

قال النووي: ومراده بهذا؛ الإخبار عن معجزة رسول الله ﷺ وعظيم كرامته علىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ، بإنزال المطر سبعة أيام متوالية متصلًا بسؤاله من غير تقديم سحاب ولا قزَع، ولا سببٍ آخر، لا ظاهرٍ ولا باطن.

وقال ابن حجر: وفيه عَلَمٌ من أعلام النبوة في إجابة الله دعاء نبيه ﷺ عقِبه أو معَه، ابتداء في الاستسقاء، وانتهاء في الاستصحاء، وامتثال السحاب أمره بمجرد الإشارة.

فوائد الحديث:

١- معجزة ظاهرة للنبي في إجابة دعائه متصلًا به في الدعاء، فإنه لم يسأل رفع المطر من أصله، بل سأل دفع ضرره وكشفه عن البيوت والمرافق والطرق بحيث لا يتضرر به ساكن ولا ابن سبيل، وسأل بقاءه في مواضع الحاجة بحيث يبقىٰ نفعه وخصبه في بطون الأودية ونحوها.

٢- استحباب طلب انقطاع المطر عن المنازل إذا كثر وتضرروا به.

٣- رفع اليدين في الخطبة.

٤- الاستسقاء بالدعاء بدون صلاة وهو مذهب أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبه احتج علىٰ ذلك.

٥- قيام الواحد بأمر العامة.

٦- إتمام الخطبة في المطر.

❊ ❊ ❊



رُزقا عشرة أولاد ببركة دعاء النبي ﷺ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَاتَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ، قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ، فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا»، قَالَ: فَحَمَلَتْ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا، فَدَنَوْا مِنْ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ فَاحْتُبِسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى، قَالَ: تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، قَالَ: وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ، لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مِيسَمٌ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَوَضَعَ

المِيسَمَ، قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ المَدِينَةِ فَلَاكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ، ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ»، قَالَ: فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ(٦١).

معاني الكلمات:

الميسم: الحديدةُ التي تَسِمُ بها الدوابَّ، تترُكُها في النار حتىٰ تَحْمَىٰ ثم تُسِمُّها بها.

فاحْتَسِبْ ابنك: إذا مات للإنسان ولد، قيل له: احْتَسِبْهُ عند الله؛ أي: اجعله لك عنده ذخرًا.

لا يَطْرقها: الطُّرُوق: إتيان المنزل ليلًا.

المخاض: الطَّلْقُ عند الإحساس بالولادة.

فلاكها: لاك اللقمة في فيه: إذا مضغها.

بِعَجْوَةٍ: العجوة: نوع من جيِّد التمر، من تمر المدينة.

يتلمَّظُها: التلمظ: تطعم ما يبقىٰ في الفم من آثار الطعام.

المعنى الإجمالي:

حديث أنس بن مالك عن أبي طلحة: أنه كان له ابن يشتكي -يعني

---

(٦١) أخرجه مسلم (٤٤٩٦)، وأحمد (٢٦/ ١٠٢).

مريضًا-، وأبو طلحة كان زوج أم أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وكان هذا الصبي يشتكي، فخرج أبو طلحة لبعض حاجاته فمات الصبي.

فلما رجع أحسنت أم سليم استقباله، فقدمت له العشاء فتعشىٰ علىٰ أن ابنه برئ وطيب، ثم أصاب منها؛ يعني: جامعها، فلما انتهىٰ أخبرته بخبر الصبي، فغضب، فلما أصبح أبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انطلق إلىٰ النبي ﷺ فأخبره الخبر، فدعا لهما بالبركة، فولدت غلامًا سماه عبد الله؛ وكان لهذا الولد تسعة أولاد كلهم يقرءون القرآن ببركة دعاء الرسول ﷺ. ففي هذا الحديث: دليل علىٰ قوة صبر أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأن ابنها الذي مات بلغ بها الحال إلىٰ أن تقول لزوجها هذا القول وتواري هذه التورية، وقدمت له العشاء، ونال منها ثم تخبره بعد ذلك.

قوله: (أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت ثم طلبوا عاريتهم...).

يعني: أن الأولاد عندنا عارية، وهم ملك لله عَزَّ وَجَلَّ متىٰ شاء أخذهم فضربت له هذا المثل من أجل أن يقتنع، ويحتسب الأجر علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا يدل علىٰ ذكائها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعلىٰ أنها امرأة عاقلة صابرة محتسبة وإلا فإن الأم كالأب ينالها من الحزن علىٰ ولدها مثل ما ينال الأب وربما تكون أشد لضعفها وعدم صبرها.

وفيه: كرامة لأبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأن أبا طلحة كان قد خرج مع النبي ﷺ في سفر وكانت معه أم سليم بعد أن حملت، فلما رجع النبي ﷺ من السفر أتاها المخاض؛ أي: جاءها الطلق قبل أن يصلوا إلىٰ المدينة، وكان الرسول ﷺ لا يحب أن يطرق أهله طروقًا؛ أي: لا يحب أن يدخل عليهم ليلًا دون أن يخبرهم

بالقدوم، فدعا أبو طلحة رضي الله عنه ربه وقال: (اللهم إنك تعلم أنني أحب أن لا يخرج النبي مخرجًا إلا وأنا معه، وألا يرجع مرجعًا إلا وأنا معه، وقد أصابني ما ترىٰ)، يناجي ربه سبحانه وتعالى. تقول أم سليم: (فما وجدت الذي كنت وجدته من قبل)؛ يعني: هان عليها الطلق ولا كأنها تطلق.

قالت أم سليم لزوجها أبي طلحة: انطلق، فانطلق، ودخل المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما وصلوا إلىٰ المدينة وضعت، ففي هذا كرامة لأبي طلحة رضي الله عنه حيث خفف الله الطلق علىٰ امرأته بدعائه.

وفي هذا الحديث: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما جاء أنس بن مالك بأخيه من أمه ابن أبي طلحة جاء به إلىٰ النبي صلى الله عليه وسلم ومعه تمرات، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ومضغ التمرات، ثم جعلها في فِي الصبي وحنكه؛ أي: أدخل أصبعه وداره في حنكه وذلك تبركًا بريق الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون أول ما يصل إلىٰ بطن هذا الصبي ريق الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان الصحابة يفعلون هذا إذا ولد لهم أولاد بنين وبنات، جاءوا بهم إلىٰ رسول الله وجاءوا بالتمرات معهم من أجل أن يحنكه.

وهذا التحنيك هل هو لبركة ريق النبي صلى الله عليه وسلم أو من أجل أن يصل التمر إلىٰ معدة الصبي قبل كل شيء؟

إن قلنا بالأول: صار التحنيك من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يحنك أحد صبيًّا؛ لأنه لا أحد يتبرك بريقه وعرقه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإن قلنا بالثاني إنه من أجل التمرات: يكون هو أول ما يصل إلىٰ معدة الصبي؛ لأنه يكون لها بمنزلة الدباغ، فإننا نقول كل مولود يحنك.

وفي هذا الحديث: آية من آيات الله عز وجل حيث دعا لهذا الصبي فبارك الله فيه وفي عقبه وكان له كما ذكرنا تسعة من الولد كلهم يقرءون القرآن ببركة دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام.

وفيه: أنه يستحب التسمية بعبد الله فإن التسمية بهذا وبعبد الرحمن أفضل ما يكون، قال النبي ﷺ: «إن أحب اسمائكم إلىٰ الله: عبد الله وعبد الرحمن»، وأما ما يروىٰ: (أن خير الاسماء ما حمد وعبد) فلا أصل له وليس حديثًا عن رسول الله ﷺ، ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار لأبنائه وبناته أحسن الاسماء لينال بذلك الأجر وليكون محسنًا لأبنائه وبناته.

أما أن يأتي باسماء غريبة علىٰ المجتمع فإن هذا قد يوجب مضايقات نفسية للأبناء والبنات في المستقبل، ويكون كل هم ينال الولد من هذا الاسم فعليك إثمه ووباله؛ لأنك أنت المتسبب لمضايقته بهذا الاسم الغريب الذي يشار إليه، ويقال: انظر إلىٰ هذا الاسم، انظر إلىٰ هذا الاسم؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار أحسن الاسماء.

ويحرم أن يسمي الإنسان اسماء من خصائص أسماء الكفار، مثل: جورج، وما أشبه ذلك من الاسماء التي يتسمىٰ بها الكفار؛ لأن هذا من باب التشبه بهم، وقد قال النبي ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»(٦٢).

---

(٦٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٤٩) بتصرف.

فوائد الحديث:

١- جواز الأخذ بالشدة، وترك الرخصة مع القدرة عليها.

٢- التسلية عند المصائب،

٣- تزين المرأة لزوجها،

٤- تعرضها لطلب الجماع منه.

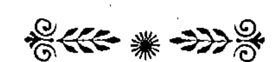
٥- اجتهادها في عمل مصالحه.

٦- جواز التسمية يوم الولادة.

٧- جواز التسمية باسماء الانبياء عليهم السلام.

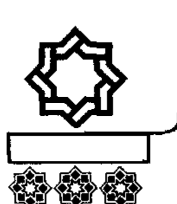
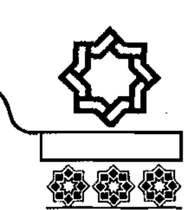
٨- التحنيك بتمر وهو مستحب، ولو حنك بغيره حصل التحنيك، ولكن التمر أفضل.

٩- في هذا الحديث مناقب لأم سليم رضي الله عنها من عظيم صبرها وحسن رضاها بقضاء الله تعالىٰ وجزالة عقلها في اخفائها موته علىٰ أبيه في أول الليل ليبيت مستريحًا بلا حزن، ثم عشته وتعشت، ثم تصنعت له وعرضت له بإصابته فأصابها.







ذراع الشاة يتكلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنَ اليَهُودِ»، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِم، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟»، قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ»، فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرِرْتَ، فَقَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِم، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟»، فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْسَئُوا فِيهَا وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا»، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟»، فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ(٦٣).

معاني الكلمات:

أهديت: المُهدي امرأة يهودية اسمها زينب بنت الحارث أخت مرحب

---

(٦٣) أخرجه البخاري (٥٣٣٢).

اليهودي الذي قتل يوم خيبر، وقيل: قُتل أيضًا أبوها الحارث وعمها بشار وأخوها زبير وزوجها سلام بن مشكم.

الشاة: الواحدة من الغنم، وقيل: الواحدة من الضأن والمَعز، والظِّباءِ، والبَقَر، والنعامِ، وحُمُرِ الوحش.

اخسئوا: ابعدوا وانطردوا.

المعنى الإجمالي:

لما اطمأن رسول الله ﷺ بخيبر بعد فتحها أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سَلاَّم بن مِشْكَم، شاة مَصْلِيَّةً، وقد سألت أي عضو أحب إلىٰ رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فَلاَكَ منها مضغة فلم يسغها، ولفظها، ثم قال: (إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم)، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: (ما حملك علىٰ ذلك ؟) قالت: قلت: إن كان ملكًا استرحت منه، وإن كان نبيًا فسيخبر، فتجاوز عنها .

وكان معه بِشْر بن البراء بن مَعْرُور، أخذ منها أكلة فأساغها، فمات منها[٦٤] .

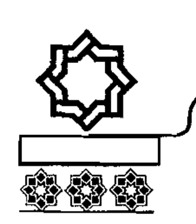
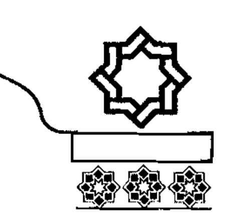
(٦٤) الرحيق المختوم (ج ١/ ص ٣٤٧).

فوائد الحديث:

١- معجزة ظاهرة له ﷺ حيث لم يؤثر فيه السم والذي أكل معه مات.

٢- أن السم لا يؤثر بذاته بل بإذن الرب عز وجل ومشيئته، ألا ترى أن السم أثر في بشر ولم يؤثر في النبي، فلو كان يؤثر بذاته لأثر فيهما في الحال.

٣- أن الإمام مالكا احتج به على أن القتل بالسم كالقتل بالسلاح الذي يوجب القصاص، وقال الكوفيون: لا قصاص فيه وفيه الدية على العاقلة، قالوا: ولو دسه في طعام أو شراب لم يكن عليه شيء ولا على عاقلته، وقال الشافعي: إذا فعل ذلك وهو مكره ففيه قولان في وجوب القود؛ أصحهما لا.

إفاقة جابر رضي الله عنه برش الوضوء النبوي عليه

عن جَابِرِ بْنِ عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: (جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ؛ فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَنْ المِيرَاثُ؟ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ؛ فَنَزَلَتْ آيَةُ الفَرَائِضِ) (٦٥).

معاني الكلمات:

يعودني: من العيادة وهي زيارة المريض.

لا أعقل: لا أفهم شيئًا من شدة المرض.

لمن الميراث: كيف أصنع بمالي ولمن يكون ميراثي.

كلالة: هم ما عدا الوالد والولد من الوارثين.

آية الفرائض: وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء:١٧٦].

(٦٥) أخرجه البخاري (١٨٧)، ومسلم (٣٠٣٤).

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث معجزة ظاهرة من معجزات النبي ﷺ إذ عاد جابرًا في مرض اشتد به حتىٰ أنه ما يعقل فيه، وربما ظن جابر أنه سيموت فيه بدلالة سؤاله النبي ﷺ عن الميراث، فتوضأ النبي ﷺ وصب عليه من وضوئه فأفاق جابر رضي الله عنهما وعقل بما يدور حوله.

قوله: (إنما يرثني كلالة): في الكلالة أقوال، أصحها: ما عدا الوالد والولد، وفيه حديث صحيح من طريق البراء بن عازب، وقيل: ما عدا الولد خاصة، وقيل: الأخوة للأم، وقيل: بنو العم ومن أشبههم، وقيل: العصبات كلهم وإن بعدوا، ثم قيل: للورثة، وقيل: للميت، وقيل: لهما، وقيل: للمال الموروث، وقال الجوهري: الكَل: الذي لا ولد له ولا والد، يقال: كَلَّ الرجل يكل كلالة، وقال الزمخشري: تطلق الكلالة علىٰ ثلاثة علىٰ من لم يخلف ولدًا ولا والدًا، وعلىٰ من ليس بولد ولا والد من المخلفين، وعلىٰ القرابة من غير جهة الولد والوالد.

قوله: (فنزلت آية الفرائض) وهي قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ﴾ [النساء:١٧٦]، إلىٰ آخر السورة، وقيل: هي آية المواريث مطلقًا، والفرائض جمع فريضة، والمراد هاهنا: الحصص المقدرة في كتاب الله للورثة(٦٦).

(٦٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ٤١٦).

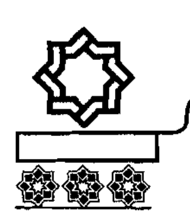
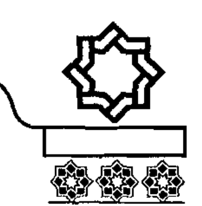
فوائد الحديث:

١- دليل على أن بركة يد رسول الله ﷺ تزيل كل علة.

٢- فضيلة عيادة الأكابر الأصاغر.

٣- فضيلة عيادة المريض واستحباب المشي فيها.

٤- التبرك بآثار الصالحين وفضل طعامهم وشرابهم ونحوهما، وفضل مؤاكلتهم ومشاربتهم ونحو ذلك.

اتخاذ عرق النبي ﷺ طيبًا

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ العَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟» قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ) (٦٧).

معاني الكلمات:

قال: نام القيلولة، وهي الفترة بين الظهر والعصر.

القارورة: إناء من الزجاج.

السلت: المسح والإزالة.

المعنى الإجمالي:

ذهب النبي ﷺ إلىٰ بيت أم سليم فنام للقيلولة فعرق فيه نومه هذا، فجعلت أم سليم (تسلت العرق)؛ أي: تمسحه وتتبعه بالمسح، وكانت أم سليم محرمًا له ﷺ؛ ففيه الدخول علىٰ المحارم والنوم عندهن، وفي بيوتهن.

قوله: (ففزع النبي ﷺ فقال: ما تصنعين): معنىٰ فزع: استيقظ من

---

(٦٧) أخرجه مسلم (٤٣٠٠)، وأحمد (١١٩٤٧).

نومه[٦٨].

قوله: (قالت: هذا عرقك، نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب): هذا مما اختص به النبي ﷺ فكان لا يُشم منه إلا أطيب ريح، فأرادت أم سليم أن تتبرك بعرق رسول الله ﷺ وتجعله في طيبها.

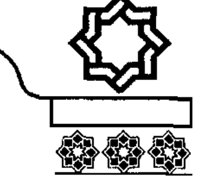
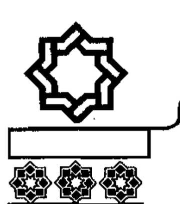
فوائد الحديث:

١- طيب عرقه ﷺ وأنه أطيب من المسك.

٢- حب الصحابة لرسول الله ﷺ وتعظيمهم له والتبرك به وبآثاره.

---

(٦٨) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٨٦) بتصرف.

أخبر بهزيمة المشركين في حنين فانهزموا

عن العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الجُذَامِيُّ، فَلَمَّا التقى المُسْلِمُونَ وَالكُفَّارُ وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ»، فَقَالَ: عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ، قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتْ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، يَا بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ»، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ»، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا القِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى،

قَالَ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا، وفي رواية: حَتَّى هَزَمَهُمُ الله، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَى بَغْلَتِهِ(٦٩).

معاني الكلمات:

صيِّتا؛ رجل صَيِّت: رفيعُ الصوت عاليه.

حمي الوطيس: اشتد الحرب والأمر، والوطيس في اللغة: التَّنُّور.

أصحاب الشجرة المسماة بالسمرة، أصحاب بيعة الرضوان عام الحديبية.

حدهم كليلًا: حد كليل: لا يقطع، وطَرْف كليل: لا يحقِّق النظر.

المعنى الإجمالي:

قال الإمام النووي: (قوله: قال بن عباس شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه)، أبو سفيان هذا هو ابن عم رسول الله ﷺ، قال جماعة من العلماء: اسمه هو كنيته، وقال آخرون: اسمه المغيرة.

قوله: (ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء): قال العلماء: لا يعرف له ﷺ بغلة سواها، وهي التي يقال لها: (دلدل)، أهداها له (فروة بن نفاثة الجذامي)،

(٦٩) أخرجه مسلم (٣٣٢٤)، والنسائي في السنن الكبري (٨٦٥٣).

قال القاضي: واختلفوا في إسلامه؛ فقال الطبري: اسلم وعمَّر عمرًا طويلًا، وقال غيرهم: لم يسلم. وفي صحيح البخاري: أن الذي أهداها له ملك أيلة، واسم ملك أيله -فيما ذكره ابن إسحاق-: يحنة بن روبة، والله أعلم.

قال العلماء: ركوبه ﷺ البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد الناس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضًا يكون معتمدًا يرجع المسلمون إليه وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمدًا، وإلا فقد كانت له ﷺ أفراس معروفة، ومما ذكره في هذا الحديث من شجاعته ﷺ تقدمه يركض بغلته إلىٰ جمع المشركين وقد فر الناس عنه، وفي الرواية الأخرىٰ: أنه نزل إلىٰ الأرض حين غشوه، وهذه مبالغة في الثبات والشجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلًا علىٰ الأرض من المسلمين، وقد أخبرت الصحابة رضي الله عنهم بشجاعته ﷺ في جميع المواطن.

قوله ﷺ : «أي عباس ناد أصحاب السمرة»، هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية. قوله (فقال عباس وكان رجلًا صيتًا): ذكر الحازمي في (المؤتلف): أن العباس رضي الله عنه كان يقف علىٰ سلع فينادي غلمانه في آخر الليل وهم في الغابة فيُسمعهم، قال: وبين سلع والغابة ثمانية أميال. قوله: (فو الله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر علىٰ أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك)، قال العلماء: في هذا الحديث دليل علىٰ أن فرارهم لم يكن بعيدًا، وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم، وإنما فتحه عليهم من في قلبه مرض من مسلمة أهل مكة المؤلفة ومشركيها الذين لم

يكونوا أسلموا، وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصبابهم عليهم دفعة واحدة ورشقهم بالسهام، ولاختلاط أهل مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان في قلبه وممن يتربص بالمسلمين الدوائر، وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة فتقدم اخفاؤهم فلما رشقوهم بالنبل ولّوا فانقلبت أولاهم علىٰ أخراهم إلىٰ أن أنزل الله تعالىٰ سكينته علىٰ المؤمنين. قوله: (والدعوة في الأنصار) هي بفتح الدال يعني الاستغاثة والمناداة إليهم.

قوله ﷺ: «هذا حين حمىٰ الوَطِيس»، قال الأكثرون: هو شبه التنور يسجر فيه، ويضرب مثلًا لشدة الحرب التي يشبه حرها حره، وقد قال آخرون: الوطيس هو التنور نفسه، وقال الأصمعي: هي حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطأ عليها، فيقال: الآن حمىٰ الوطيس، وقيل: هو الضرب في الحرب، وقيل: هو الحرب الذي يطيس الناس؛ أي: يدقهم. قالوا: وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ﷺ.

قوله: (فرماهم بالحصيات، ثم قال: «انهزموا ورب محمد»، فما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرىٰ حدهم كليلًا وأمرهم مدبرًا): هذا فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ؛ **أحداهما**: فعلية. **والأخرىٰ**: خبرية، فإنه ﷺ أخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين، وذكر مسلم في الرواية الأخرىٰ في آخر هذا الباب: (أنه ﷺ قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل بها وجوههم فقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا من تلك القبضة)، وهذا أيضًا فيه معجزتان: خبرية، وفعلية، ويحتمل أنه أخذ

قبضة من حصىٰ وقبضة من تراب فرمىٰ بذا مرة وبذا مرة، ويحتمل أنه أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصىٰ وتراب. قوله: (فما زلت أرىٰ حَدهم كليلًا)؛ أي: ما زلت أرىٰ قوتهم ضعيفة) (٧٠).

فوائد الحديث:

١- قوة شجاعة النبي ﷺ حيث تقدم إلىٰ العدو بقوله وفعله؛ أما فعله: فإنه جعل يركض بغلته التي هو راكب عليها نحو العدو، وأما قوله: فإعلانه بصوته الرخيم «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

٢- ومنها: أنه يجب علىٰ الإنسان ألا يعجب بقوته ولا بكثرته ولا بعلمه ولا بماله ولا بذكائه ولا بعقله، والغالب أن الإنسان إذا أعجب فإنه يهزم بإذن الله إن أعجب بكثرته هزم، وإن أعجب بعلمه ضل، وإن أعجب بعقله تاه، لا تعجب بنفسك ولا بأي قوة من قواتك، بل استعن بالله عَزَّوَجَلَّ وفوض الأمر إليه حتىٰ يتم لك ما تريد.

٣- ومنها: جواز ركوب البغلة، والبغل متولد من بين الحمار والفرس، ينزو الحمار علىٰ الأنثىٰ من الخيل فتلد البغل وهو نجس وحرام، لكنه طاهر في ظاهره كالهرة طاهرة، ولكن بولها وعذرتها نجسة، وكذلك البغل فعرقه طاهر ومسه حال ركوبه طاهر؛ لأن النبي ﷺ ركبه وهو يعرق، وقد يكون المطر، ولم يرد أن النبي ﷺ كان يحترز منه، فدل ذلك علىٰ أنه طاهر، وهو القول الراجح.

---

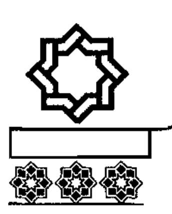
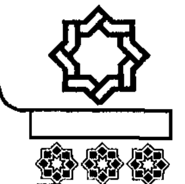
(٧٠) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٢/ ١١٦).

٤- ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن ينادي الناس بما يشجعهم؛ لأن العباس لم يقل: يا أيها المؤمنون، يا أيها الصحابة، بل قال: يا أصحاب السمرة؛ لأن هذا يشجعهم ويذكرهم بالبيعة التي بايعوا عليها رسول الله ﷺ.

٥- ومنها: أن الله تعالىٰ قد ينصر الفئة القليلة ولو علىٰ باطل علىٰ الفئة الكثيرة.

٦- أن العاقبة للمتقين حتىٰ لو هزم المسلمون بكثرتهم فإن العاقبة لهم لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[هود:٤٩] (٧١).

(٧١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٢٢٢٧).

رجل من أهل النار

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ التقَى هُوَ وَالمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟»، قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(٧٢).

---

(٧٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٣)، ومسلم (١٦٣).

معاني الكلمات:

التقىٰ: في غزوة خيبر.

رجل: اسمه قزمان الظفري يكنىٰ أبا الغيداق.

شاذة، الشاذة: التي انفردت من الجماعة.

أنا صاحبه: ألازمه لأرىٰ ما يجري له.

ذبابه، ذباب السيف: طرف رأسه.

تحامل عليه؛ أي: اتكأ علىٰ السيف، وجعله حاملًا له، وأصله من تكلف الأمر علىٰ مشقة.

أجرىٰ، أجريت في الحرب وغيرها: إذا فعلت فعلا ظهر أثره وقمت فيه مقامًا لم يقمه غيرك.

نصل سيفه؛ نصل السيف: حديدة، وقد جعله هاهنا طرفه الأعلىٰ الذي يدخل في المقبض.

فأعظم الناس ذلك: استعظموه واستنكروه.

يبدو: يظهر.

المعنى الإجمالي:

من أخبار الغيوب الدالة علىٰ نبوة النبي ﷺ؛ إخباره بسوء خاتمة بعض من يظن أنهم يموتون علىٰ الإسلام أو قد يدخلون فيه، فقد تنبأ النبي ﷺ بسوء خاتمة رجل كان في جيش المسلمين بخيبر لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا

اتبعها يضربها بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار» فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان من أهل النار؟ فقال رجل: والله لا يموت علىٰ هذه الحال أبدًا، فاتبعه حتىٰ جرح، فاشتدت جراحته واستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء رجل إلىٰ رسول الله فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما ذاك» فأخبره، فقال النبي ﷺ : «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، وإنه ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل الجنة»(٧٣) .

فوائد الحديث:

١- العبرة بالخواتيم وبالنيات.

٢- أن الله يؤيد دينه بالرجل الفاجر.

٣- صدق الخبر عما يكون وخروجه علىٰ ما أخبر به الشارع وهو من علامات النبوة.

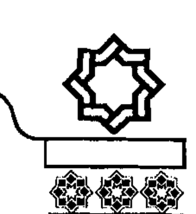
٤- زيادة تطمين في قلوب المؤمنين، ألا ترىٰ أن الرجل حين رأىٰ أنه قتل نفسه، قال حين أخبر به الرسول: أشهد أنك لرسول الله.

---

(٧٣) انظر: السيرة النبوية للصلابي (ج ٣ / ص ٤٨٩).







إجابة النبي ﷺ السائل قبل أن يسأله

عن وَابِصَةَ الأَسَدِيِّ قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وأنا أُرِيدُ أَنْ لاَ أَدَعَ شيئًا من البِرِّ وَالإِثْمِ إِلاَّ سَأَلتُهُ عنه فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ من المُسْلِمِينَ يَسْتَفْتُونَهُ فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّاهُمْ لأَدْنُوَ من رسول اللهِ ﷺ فَانْتَهَرَنِي بَعْضُهُمْ، وقال: إِلَيْكَ يا وَابِصَةُ عن رسول اللهِ ﷺ، فقلت: دَعُونِي، فَوَاللهِ إِنَّ أَحَبَّ الناس إِلَيَّ أَنْ أَدْنُوَ منه لَرَسُولُ اللهِ ﷺ، فقال: «دَعُوا وَابِصَةَ»، ثُمَّ قال: «أُدْعُوا وَابِصَةَ»، ثُمَّ قال: «أُدْنُوا وَابِصَةَ»، فَأَدْنَانِي حتى قَعَدْت بين يَدَيْهِ، فقال: «سَلْ أو أُخْبِرُكَ»، فَقُلْت: لاَ، بَلْ أَخْبِرْنِي، قال: «جِئْتَ تَسْأَلُ عن البِرِّ وَالإِثْمِ»، قُلْت: نعم يا رَسُولَ اللهِ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِنَّ في صَدْرِي وَيَقُولُ: «يا وَابِصَةَ اسْتَفْتِ نَفْسَك -قَالَهَا ثَلاَثًا- البِرُّ ما اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، وَالإِثْمُ ما حَاكَ في نَفْسِكَ وَتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاك الناس وَأَفْتَوْك»(٧٤).

معاني الكلمات:

البر: عبارة عما اقتضاه الشرع وجوبًا أو ندبًا.

اطمأنت إليه النفس: سكنت إليه النفس الطيبة.

---

(٧٤) أخرجه أحمد (١٧٣١٣)، والدارمي (٢٥٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٣٤).

أفتاك الناس: علماؤهم، كما في الرواية، (وإن أفتاك المفتون).

وأفتوك: بخلافه؛ لأنهم إنما يقولون علىٰ ظواهر الأمور دون بواطنها.

المعنى الإجمالي:

قدم وابصة علىٰ النبي ﷺ وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة عام الوفود، ليسأله عن أمر فابتدره به النبي ﷺ، وهذه الرواية لها نظير في باب الحج حينما (كان النبي ﷺ جالسًا في مسجد الخيف فأتاه رجلان: أحدهما من ثقيف، والآخر من الأنصار، فقال الحاضرون: قدّموا هذين فإنهما علىٰ سفر، فقال الثقفي للأنصاري: سل، وقال الأنصاري للثقفي: سل، فقال ﷺ: «إن شئتما سألتما، وإن شئتما أخبرتكما عما جئتما تسألان عنه!» فقال الأنصاري: بل أخبرنا أنت يا رسول الله! قال:«جئت تسأل عن حجك وما لك فيه، وعن خروجك من بيتك تؤم البيت وما لك فيه، وعن طوافك بالبيت، وطوافك بين الصفا والمروة، وعن وقوفك يوم عرفة، وعن حلقك الشعر، وعن رميك الجمرات، وعن نحرك الهدي»، قال: والذي بعثك بالحق عن هذا جئنا نسألك يا رسول الله!)، فذكر لهما النبي ﷺ أجر المناسك كلها حتىٰ نهاية الحج، والطواف بالبيت، فقال في آخره: «تطوف بالبيت، ويأتي ملك يربض بكفه بين كتفيك، ويقول لك: استقبل عملًا جديدًا، فصحيفتك بيضاء نقية).

والأحاديث بهذه الطريقة قد تصدر من النبي ﷺ؛ تقوية ليقين السائل، وإظهارًا للمعجزة لأحد الحاضرين ممن تكون عنده بعض الشبه، أو عنده

بعض الترددات، فيأتي مثل هذا الأسلوب فيذهب ما في نفسه، ويقوىٰ يقينه، ويجعل عند الناظر أو السامع زيادة إيمان ويقين بالله.

وقد روي: (أن أعرابيًّا جاء إلىٰ الرسول ﷺ، وهو وأصحابه يأكلون، فقال: أنت محمد بن عبد الله؟ قال: «نعم»، قال: أنت رسول الله؟ قال: «نعم»، قال: من يشهد لك أنك رسول الله؟ قال: «القصعة التي تأكل منها»، فرفع القصعة إلىٰ أذنه فسمعها تسبح الله، وتشهد الشهادتين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله! فقال: والله! إنها لتسبح، وإنها لتقول: كذا وكذا! فقال رجل آخر: اسمعنيها يا رسول الله! فقال: سمّعه، فأخذها وسمعها، فقال ثالث: اسمعنيها؛ فقال: لا، يكفي شاهدان، حطها).

فوابصة أتىٰ وافدًا مع قومه، فصار يزاحم حتىٰ يصل إلىٰ رسول الله ﷺ، ومع أن آداب المجلس تمنع من المزاحمة، ولكن للعاطفة وللشعور أحكام فوق الآداب كما يقولون، وقد ثبت أنه جاء نفر ثلاثة إلىٰ مجلس رسول الله صلىٰ عليه وسلم، فرجل وجد فرجة فجلس، ورجل استحىٰ أن يزاحم الناس فجلس من ورائهم، ورجل لم يجد مكانًا فمشىٰ، فقال ﷺ: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوىٰ إلىٰ الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيىٰ من الله فاستحىٰ الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه).

فهذا وابصة يتخطىٰ الناس، وأتىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ، وفي بعض الروايات أنه قال: (جئت يا رسول الله! وأنا أريد ألا أدع برًّا ولا إثمًا إلا سألت عنه، فلما وصل إلىٰ النبي ﷺ بادره رسول الله فقال: تخبر أم أخبرك أنا؟)، وهذا من

المعجزات التي كانت تتجدد من رسول الله ﷺ، وفي بعض روايات وابصة أنه قال: (إن الرسول ﷺ جمع أصابعه الثلاث -ولم يذكر لنا أحد كيفية جمعها- ودفع بها في صدري وقال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس) إلىٰ آخر الحديث، ودفعه في الصدر تنبيه للقلب.

وهذا الحديث برواياته يدل علىٰ مدىٰ شفافية قلب المؤمن، ومدىٰ إشعاع نور الإيمان والبصيرة في قلبه، وهو يرد الإنسان المؤمن حقًا إلىٰ فطرته التي فطره الله عليها، ولذا جاء في الأثر: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرىٰ بنور الله).

معنىٰ البر: في حديث وابصة: (استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في الصدر، وكرهت أن يطلع عليه الناس)، فذكر هذا الميزان، وهذا المقياس، فاطمئنان النفس يدل علىٰ حل الشيء، وعدم الطمأنينة بالشيء يدل علىٰ الإثم، وجاء في بعض الآثار: (إياك وحزَّاز القلوب، أو حوّاز القلوب)، وحزاز القلوب هو: الشيء الذي يحز في النفس ولا تتحمله، ويورث قلقًا واضطرابًا، وحوّاز: من الحوز؛ أي: الذي يشتمل علىٰ القلب ويغلب عليه.

وقد يشكل هذا الحديث علىٰ بعض الناس فيقول: هل نرجع في بيان الحلال والحرام والبر والإثم إلىٰ النفوس؟ وأي تلك النفوس؟ وأي مقياس لها؟ قال العلماء: لا، لا تنس الحديث «إن الحلال بيّن، وإن الحرام بيّن، وبينهما أمور متشابهات»؛ إذًا: طلب طمأنينة القلب والنفس عند عدم الركون إلىٰ أحد الجانبين، وفيما هو وسط بين الطرفين الواضحين، فالحلال بيّن ليس

فيه تردد، والحرام بيّن ليس فيه تردد، ولكن بينهما أمور شفافة دقيقة رقيقة لا تتضح لكل إنسان، فهي مشتبهات متموجة، (لا يعلمهن كثير من الناس)، فإذا كان الإنسان أمام أمر فلينظر -بإجماع المسلمين- هل فيه نص من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أم لا؟ قال الله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾؛ أي: ضيقًا-: ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]؛ ولهذا كم من موقف كان الحق ثقيلًا على المؤمنين، ولم تطمئن إليه نفوسهم كقوله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٧]، فهم لم يكونوا يريدون القتال في بدر، بل يريدون الغنيمة، ولكن الله أراد شيئًا آخر؛ ولذا قال سعد بن معاذ: (يا رسول الله! امض لما أمرك الله، فلعلك خرجت تريد أمرًا، والله يريد أمرًا غيره، فامض إلى ما أراد الله يا رسول الله!).

وكانوا في الجاهلية يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور، فلما أراد النبي ﷺ أن يبين لهم جواز الاعتمار في أشهر الحج قال: «من لم يسق الهدي فليجعلها عمرة» فهل بادروا بالتحلل؟ لا، بل وقفوا وقالوا: (يا رسول الله! أي الحل؟! قال: «الحل كله»، قالوا: أنذهب إلى منى ومذاكيرنا تقطر منيًّا؟)، كانوا مستنكرين هذا، وأخيرًا شرح الله صدورهم وأطاعوا.

متى يرجع إلى طمأنينة القلب؟

حينما يكون الأمر فيه نص من كتاب أو سنة رسول الله، فليس لاستفتاء القلب محل، ولا لاستفتاء عالم من العلماء مدخل؛ لأن النص في كتاب الله

وسنة رسول الله ﷺ يقضي علىٰ ذلك، ولكن إذا لم يكن في الأمر نص، من الحوادث التي تتجدد، أو أن النص مجمل، أو يوجد نص آخر يعارضه في الظاهر، ولا تستطيع الجمع بين النصوص، ولا معرفة الراجح، ولا يعرف ذلك إلا النقاد الحذاق من العلماء الذين جعل الله في قلوبهم شفافية، فهنا إذا كنت في أمر خفي لم يطلع عليه أحد، (استفت قلبك، وإن أفتاك الناس وأفتوك)

إذًا: (البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في الصدر، وكرهت أن يطلع عليه الناس).

ورجوع الإنسان إلىٰ قلبه، علىٰ أي ميزان يكون؟ لا يوجد مقياس مليمتري، ولا ميزان بالدرهم والشعرة والذرة، لا، إنما يرجع في ذلك إلىٰ نور الإيمان في قلب المؤمن، وإلىٰ الفطرة التي فطره الله عليها، والفطرة إن تركت علىٰ ما كانت عليه، فهي تهدي إلىٰ الخير، أما إذا اعترتها العوارض، واجتالتها الشياطين، فلا يرجع إليها، وقد جاء في الحديث: «إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم»، فعند ذلك تأتي الشبهات، ويأتي أكل الحرام، ويغلف هذا القلب، ويطمس هذا النور.

الإيمان في القلب كنور السراج داخل السراج، وكلما أديت العبادة لله كلما ازداد نور السراج، كما ضرب الله مثلًا للنور في قوله: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾؛ أي: زيتها صافٍ معتدل، لا شرقية تسطع فيها الشمس من الصباح، ولا غربية

ن الزوال إلىٰ الغروب، ولكن بين بين، تأخذ من ضوء الشمس ما يكفيها، ولا تتأثر بحرارتها، فتكون أطيب زيتًا: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ ؛ أي: نور الفطرة، ونور العمل الصالح يذكيان هذا السراج، فإذا أذنب ذنبًا نكت فيه نكتة سوداء، فإذا أذنب ذنبًا آخر نكت فيه نكتة أخرىٰ، وهكذا حتىٰ يتغلف القلب، كما قال الله: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]، ولا يزيل هذا الران، وينقي تلك النكت السوداء إلا حرارة الندم، والتوبة، والرجوع إلىٰ الله تبارك وتعالى.

والقلب حينما يكون علىٰ الفطرة وعلىٰ الحالة الأولىٰ، إذا عرض له شيء تكون حساسيته شديدة، وقد يسميها بعض الناس: الحاسة السادسة، ونحن نسميها: حاسة الإيمان، وحاسة اليقين، فنور البصيرة تضيء للعبد طريقه.

معرفة طمأنينة القلب:

في الرواية الأخيرة أن وابصة قال: (وكيف ذلك؟)؛ أي: كيف أعرف أن قلبي قد اطمأن؟ فقال: «ضع يدك علىٰ قلبك، فإن القلب يطمئن للحلال، ولا يطمئن للحرام»، والآن عند التحقيق مع المجرم يضع المحقق يده في قلب المتهم مثل الطبيب الذي يكشف عليه، فإذا وجه إليه سؤالًا في صميم الموضوع نبض قلبه بسرعة، وإذا كان السؤال بعيدًا عن الموضوع وليس فيه ريبة، فإن النبض معتدل، فيستدل بتغير نبضات القلب مع تغير الأسئلة علىٰ حالته النفسية وعلاقته بالجرم، وهذا مذكور في علم الجنايات.

وهنا نأتي إلىٰ لفتة صغيرة لإخواننا طلبة العلم الذين يجدون في أنفسهم

الكفاءة للاجتهاد، ويعرضون عن فهم السلف رحمهم الله، ويستبدون بآرائهم في الفقه والفتوىٰ حينما تكون المسألة لا نص فيها، أو فيها خلاف كثير، فنقول لهم: لا ينبغي لكم هذا، لا سيما في معرض الاستفتاء، فلو قدر أنه اجتمع الأئمة الأربعة وأصحابهم وأنت معهم، وعرضت قضية لا نص فيها، وتردد فيها النظر، فرجعت الفتوىٰ إلىٰ القلب، فأي القلوب أولىٰ أن نأخذ بطمأنينتها؟ قلوب السلف بلا ريب، فلو مرت مسألة ليس فيها نص علىٰ سلف الأمة، واجتهدوا فيها وأفتوا، وكانت الفتوىٰ صادرة بما اطمأنت إليه قلوبهم، فإذا عرضت عليك اليوم هذه المسألة، واستفتيت قلبك، وكان لك رأي فيها، ولسلف الأمة ذوي القلوب الحية والقلوب المستنيرة رأي فيها، وخالف رأيك رأيهم فيها، فما هو الحكم؟ وما الذي ترجح؟ وما الذي تعمل؟ هل تأخذ بفتوىٰ قلبك وطمأنينته أو بفتوىٰ أولئك الأخيار الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخير؟ تأخذ بفتوىٰ السلف، فكلنا يعلم بمدىٰ تقواهم، ومدىٰ ورعهم، ومدىٰ علمهم، ومدىٰ فتح الله عليهم، ولو قيس علمنا بأولئك ما وصلنا إلىٰ عشر علمهم وتقواهم، فماذا نفعل؟ هل نضرب بأقوال سلف الأمة عرض الحائط، ويقول القائل: أنا نفسي مطمئنة لهذا؟ لا، فيجب عليك أن تحتقر نفسك، ولا تتبع هواك؛ لأنه إذا كانت المسألة متوقفة علىٰ طمأنينة القلوب، فأولىٰ المقاييس هي: قلوب الصالحين من سلف هذه الأمة، فإذا كان لهم رأي، وأنت لك رأي مغاير لآرائهم، فهل تتهم رأيك أو تتهمهم؟ فعلىٰ طالب العلم قبل أن يستبد بحكم مسألة أو رأي أن يستنير بأقوال السلف، وينظر ماذا قالوا فيها، وما هي وجهة نظرهم.

يقول بعض العوام: الحيوان يعرف البر من الإثم! وذلك بالطمأنينة والقلق، فسمعت من بعض كبار السن يقول: الغنمة تعرف الحلال والحرام، فقلت: كيف هذا؟! قال: هل عندكم غنم؟ قلت: عندنا، قال: وهل الجيران عندهم غنم؟ قلت: عندهم، قال: ارم البرسيم في الشارع، فيجتمع غنم الشارع كله ويأكل منه، وتجد الغنم حق الناس تجري، وغنمكم واقفة، لماذا؟ لأن غنمك تعرف أنه برسيمك، وغنم الجيران تعرف أنها معتدية وليس لها حق فيه، وهذا كلام صحيح.

قال: حتىٰ القطة إذا كنت تأكل، وجاءت إليك فأعطيتها، فإنها تأكل بجانبك، لكن لو خطفت منك شيئًا، فهي تعرف أنه ليس لها حق فيه، فتشرد بها، لتأكلها بعيدًا عنك!! إذًا: الحيوان يدرك الحلال من الحرام، والحلال البين ليس فيه استفتاء، والحرام البين ليس فيه استفتاء، ولكن الاستفتاء فيما كان بينهما، وهذه المنزلة والمرتبة -كما يقول والدنا الشيخ الأمين رحمة الله تعالىٰ علينا وعليه-: شفافة جدًا، ومقياسها التحرج، قال عليه الصلاة والسلام: «دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك»، فإذا حصل في النفس حزازة، وحصل في النفس احتكاك، والصدر ليس بقادر أن يستريح بها، فاتركها، وإذا تركتها استرحت.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «وكرهت أن يطلع عِليه الناس»، هذه مسألة نسبية، ولكن الإنسان من جبلته ألا يمتنع أن يرىٰ الناس منه العمل الحسن، ويكره أن يرىٰ الناس منه العمل السيئ، فهذا الحديث يعتبر مقياسًا لشفافية

القلوب فيما بينها وبين الله[(٧٥)].

فوائد الحديث:

١- ضابط البر والإثم.

٢- الترغيب في حسن الخلق.

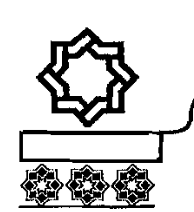
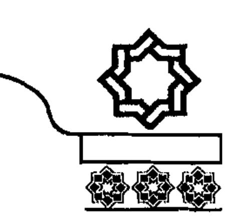
٣- أن الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير، بل يعرف الحق بالنور الذي في قلبه، وينفر عن الباطل فينكره.

٤- معجزة عظيمة للنبي ﷺ، حيث أخبر وابصة بما في نفسه قبل أن يتكلم به، وأبرزه في حيز الاستفهام التقريري مبالغة في إيضاح إطلاعه عليه وإحاطته به.

٥-أن الفتوى لا تزيل الشبهة إذا كان المستفتي ممن شرح الله صدره.

---

(٧٥) شرح الأربعين النووية (٦٠/ ٢).

وقوع ما أخبر به ﷺ لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ؛ أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي، قَالَ: «لَا»، فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ، فَقَالَ: «لَا»، ثُمَّ قَالَ: «الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ»، أَوْ: «كَثِيرٌ إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟! قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»، لَكِنْ البَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ يَرْثِي لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ (٧٦).

معاني الكلمات:

يعودني: يزروني في مرضي.

بلغ بي من الوجع: وصل أثر الوجع نهايته.

---

(٧٦) أخرجه البخاري (١٢١٣)، ومسلم (١٦٢٨)، مسند أحمد (١٤٦٤).

ذو مال: عندي مال كثير.

الشطر: النصف.

عالة: فقراء.

يتكففون: يطلبون الصدقة من أكف الناس.

أخلف بعد أصحابي: أبقىٰ في مكة وينصرف معك أصحابي من المهاجرين وكان مرضه في مكة.

أن تخلف: يطول عمرك؛ أي: لن تموت بمكة، وهذا من إخباره بالمغيبات ﷺ.

اللهم امض لأصحابي هجرتهم: أتممها لهم ولا تنقصها عليهم فيرجعون إلىٰ المدينة من الإمضاء وهو النفاذ.

لا تردهم علىٰ أعقابهم: بترك هجرتهم ورجوعهم عن مستقيم حالهم فيخيب قصدهم.

البائس: المسكين.

يرثي له: يرق له ويترحم عليه.

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث أن النبي ﷺ جاء سعدًا ليعوده في مرض ألم به، وذلك في مكة، ولكن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلىٰ المدينة فتركوا بلدهم لله عَزَّوَجَلَّ، وكان من عادة النبي ﷺ أنه يعود المرضىٰ

من أصحابه، كما أنه يزور من يزور منهم؛ لأنه ﷺ كان أحسن الناس خلقًا، وألينهم بأصحابه، وأشدهم تحببًا إليهم.

فجاءه يعوده فقال يا رسول الله: (إني قد بلغ بي من الوجع ما ترىٰ)؛ أي: أصابه الوجع العظيم الكبير، (وأنا ذو مال كثير أو كبير)؛ أي: أن عنده مالًا كبيرًا، (ولا يرثني إلا ابنة لي)؛ أي: ليس له ورثة بالفرض إلا هذه البنت، (أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت: الشطر يا رسول الله -أي بالنصف- قال: لا، قلت: فالثلث، قال الثلث، والثلث كثير).

قوله: (أفأتصدق)؛ أي: أعطيه صدقة، فمنع النبي ﷺ من ذلك؛ لأن سعدًا في تلك الحال كان مريضًا مرضًا يخشىٰ منه الموت؛ فلذلك منعه الرسول ﷺ أن يتصدق بأكثر من الثلث.

لأن المريض مرض الموت المخوف لا يجوز أن يتصدق بأكثر من الثلث؛ لأن ماله قد تعلق به حق الغير وهم الورثة.

أما من كان صحيحًا ليس فيه مرض، أو فيه مرض يسير لا يخشىٰ منه الموت فله أن يتصدق بما شاء؛ بالثلث، أو بالنصف، أو بالثلثين، أو بماله كله لا حرج عليه.

لكن لا ينبغي أن يتصدق بماله كله إلا إن كان عنده شيء يعرف أنه سوف يستغني به عن عباد الله.

المهم: أن الرسول ﷺ منعه أن يتصدق بأكثر من الثلث، وقال: الثلث والثلث كثير، أو كبير، وفي هذا دليل علىٰ أنه إذا نقص عن الثلث فهو أحسن

وأكمل، ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لو أن الناس غضوا من الثلث إلىٰ الربع؛ لأن النبي ﷺ قال: الثلث والثلث كثير.

وقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أرضىٰ ما رضيه الله لنفسه؛ يعني: الخمس، فأوصىٰ بالخمس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبهذا نعرف أن عمل الناس اليوم وكونهم يوصون بالثلث خلاف الأولىٰ، وإن كان هو جائزًا، لكن الأفضل أن يكون أدنىٰ من الثلث؛ إما الربع، أو الخمس.

ثم قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس)؛ أي: كونك تبقي المال ولا تتصدق به حتىٰ إذا مت وورثه الورثة صاروا أغنياء به هذا خير من أن تذرهم عالة لا تترك لهم شيئًا يتكففون الناس؛ أي: يسألون الناس بأكفهم: أعطونا أعطونا.

وفي هذا: دليل علىٰ أن الميت إذا خلف مالًا للورثة فإن ذلك خيرًا له.

وقوله: (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتىٰ ما تجعل في في امرأتك)؛ تنفق نفقة: أي مالًا؛ إما من الدراهم، أو الدنانير، أو الثياب، أو الفرش، أو طعامًا، أو غير ذلك (تبتغي به وجه الله إلا أجرت عليه)؛ أي: حتىٰ اللقمة التي تطعمها امرأتك تؤجر عليها إذا قصدت بها وجه الله، مع أن الإنفاق علىٰ الزوجة أمر واجب، لو لم تنفق لقالت: أنفق أو طلق، ومع هذا إذا أنفقت علىٰ زوجتك تريد به وجه الله آجرك الله علىٰ ذلك.

وكذلك إذا أنفقت علىٰ أولادك، إذا أنفقت علىٰ أمك، علىٰ أبيك، بل إذا

أنفقت على نفسك تبتغي بذلك وجه الله فإن الله يثيبك على هذا.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أخلف بعد أصحابي؟)؛ يعني: هل أتأخر بعد أصحابي فأموت بمكة، فبين النبي ﷺ أنه لن يخلف، فقال: (إنك لن تخلف) وبين له أنه لو خلف ثم عمل عملًا يبتغي به وجه الله لازداد به عند الله درجة ورفعة.

يعني: لو فرض أنك خلفت ولم تتمكن من الخروج من مكة وعملت عملًا تبتغي به وجه الله فإن الله سبحانه يزيدك به رفعة ودرجة، رفعة في المقام والمرتبة، ودرجة في المكان.

فيرفعك الله عَزَّوَجَلَّ في جنات النعيم درجات، حتى لو عملت بمكة وأنت قد هاجرت منها.

ثم قال النبي ﷺ : (ولعلك أن تخلف): أن تخلف هنا غير أن تخلف الأولى.

(لعلك أن تخلف)؛ أي: أن تُعمر في الدنيا، وهذا هو الذي وقع، فإن سعد بن أبي وقاص عمر زمانًا طويلًا.

حتى أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما ذكر العلماء خلف سبعة عشر ذكرًا واثنتي عشرة بنتًا.

وكان في الأول ما عنده إلا بنت واحدة، ولكن بقي وعمر ورزق أولادًا.

وقوله: (حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون): هذا الذي حصل، فإن سعدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلف وصار له أثر كبير في الفتوحات الإسلامية، وفتح فتوحات عظيمة كبيرة فانتفع به أقوام وهم المسلمون وضر به آخرون وهم الكفار[٧٧].

---

(٧٧) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين(١/٨١).

فوائد الحديث:

١- أن من هدي الرسول ﷺ عيادة المرضىٰ؛ لأنه عاد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفي عيادة المرضىٰ فوائد للعائد وفوائد للمعود.

أما العائد فإنه يؤدي حق أخيه المسلم؛ لأن من حق أخيك المسلم أن تعوده إذا مرض.

٢- أن الإنسان إذا عاد المريض فإنه لا يزال في مخرفة الجنة؛ يعني: يجني ثمار الجنة حتىٰ يعود.

٣- أن في ذلك تذكيرًا للعائد بنعمة الله عليه بالصحة؛ لأنه إذا رأىٰ هذا المريض ورأىٰ ما هو فيه من المرض، ثم رجع إلىٰ نفسه رأىٰ ما فيها من الصحة والعافية عرف قدر نعمة الله عليه بهذه العافية؛ لأن الشيء إنما يعرف بضده.

٤- أن فيها جلبًا للمحبة والمودة، فإن الإنسان إذا عاد المريض صارت هذه العيادة في قلب المريض دائمًا علىٰ قلبه يتذكرها، وكلما ذكرها أحب الذي يعوده، وهذا يظهر كثيرًا فيما إذا برأ المريض وحصلت منه ملاقاة لك تجده يتشكر منك، وتجد أن قلبه ينشرح بهذا الشيء.

٥- أما المعود: فإن له فيها فائدة أيضًا؛ لأنه تؤنسه وتشرح صدره ويزول عنه ما فيه من الهم والغم ومن المرض، وربما يكون العائد موفقًا يذكره بالخير والتوبة والوصية إذا كان يريد أن يوصي بشيء عليه من الديون وغيرها فيكون

في ذلك فائدة للمعود.

٦- حسن خلق النبي ﷺ، ولا شك أن النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا؛ ولهذا كان يعود أصحابه ويزورهم ويسلم عليهم حتىٰ إنه يمر بالصبيان الصغار فيسلم عليهم، صلوات الله وسلامه عليه.

٧- أنه ينبغي للإنسان مشاورة أهل العلم؛ لأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه استشار النبي ﷺ حينما أراد أن يتصرف بشيء من ماله، فقال: يا رسول الله، إني ذو مال كثير ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا..

٨- أنه ينبغي للمستشير أن يذكر الأمر علىٰ ما هو عليه حقيقة لا يلوذ يمينًا وشمالًا، بل يذكر الأمر حقًّا علىٰ ما هو عليه حتىٰ يتبين للمستشار حقيقة الأمر ويبني مشورته علىٰ هذه الحقيقة؛ ولهذا قال سعد: إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة.

٩- لا حرج أن يستعمل الإنسان كلمة (لا) وليس فيها شيء، فالنبي ﷺ استعمل كلمة (لا)، وأصحابه رضي الله عنهم استعملوا كلمة (لا).

١٠- أنه لا يجوز للمريض مرضًا مخوفًا أن يعطي أكثر من الثلث إلا إذا أجازه الورثة؛ لأن الورثة تعلق حقهم بالمال لما مرض الرجل؛ لقول النبي ﷺ: (الثلث والثلث كثير).

١١- أنه ينبغي أن يكون عطاؤه أقل من الثلث، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لو أن الناس غضوا من الثلث إلىٰ الربع)؛ لأن النبي ﷺ قال: (الثلث والثلث كثير).

١٢- إذا كان مال الإنسان قليلًا وكان ورثته فقراء فالأفضل أن لا يوصي بشيء لا قليل ولا كثير؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة)، خلافًا لما يظنه بعض العوام أنه لا بد من الوصية هذا خطأ، الإنسان الذي ماله قليل وورثته فقراء ليس عندهم مال لا ينبغي له أن يوصي، الأفضل أن لا يوصي.

١٣- خوف الصحابة المهاجرين من مكة أن يموتوا فيها؛ لأن سعدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (أخلف بعد أصحابي؟)، وهذه الجملة استفهامية والمعنى: أأخلف؟ وهذا استفهام توقعي مفروض، يعني أنه لا يحب أن يتخلف فيموت في مكة وقد خرج منها مهاجرًا إلى الله ورسوله.

١٤- ظهور معجزة لرسول الله ﷺ وهو أن الرسول ﷺ قال له: (إنك لن تخلف وسوف تخلف حتى يضر بك أقوام وينتفع بك آخرون) فإن الأمر كما توقعه النبي ﷺ فإن سعدًا عمر إلى خلافة معاوية.

وهذه من آيات النبي ﷺ أن يخبر عن أمر مستقبل فيقع كما أخبر به، ولكن هذا ليس خبرًا محضًا، ولكن توقع لقوله: (لعلك أن تخلف)، فلم يجزم، ولكن كان الأمر كما توقعه النبي ﷺ.

١٥- أنه ما من إنسان يعمل عملًا يبتغي به وجه الله إلا ازداد به رفعة ودرجة حتى وإن كان في مكان لا يحل له البقاء فيه؛ لأن العمل شيء والبقاء شيء آخر.

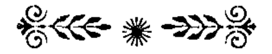
ولهذا كان القول الراجح من أقوال أهل العلم: أن الإنسان إذا صلى في أرض مغصوبة فإن صلاته صحيحة؛ لأن النهي ليس عن الصلاة، بل النهي عن

الغصب.

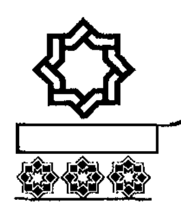
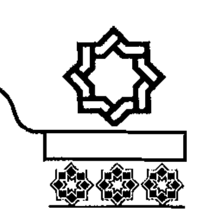
١٦- أن الإنسان إذا أنفق نفقة يبتغي وجه الله فإنه يثاب عليها، حتىٰ النفقات علىٰ أهله وعلىٰ زوجته، بل وعلىٰ نفسه، إذا ابتغىٰ بها وجه الله أثابه الله عليها.

١٧- إشارة أنه ينبغي للإنسان أن يستحضر نية التقرب إلىٰ الله في كل ما ينفق حتىٰ يكون له في ذلك أجر.

١٨- جواز تخصيص عموم الوصية المذكورة في القرآن بالسنة، وهو قول الجمهور.





إخباره ﷺ عن استشهاد القواد الثلاثة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ عَنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ»، وَقَالَ: «مَا يَسُرُّنَا أَنَّهُمْ عِنْدَنَا»، قَالَ أَيُّوبُ: أَوْ قَالَ: «مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا»، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ (٧٨).

معاني الكلمات:

تذرفان: يسيل منهما الدمع.

من غير إمرة: أي من غير تأمير من رسول الله ﷺ.

ففتح له: فكان نصر المسلمين وخلاصهم علىٰ يديه، وكان هذا في غزوة مؤتة علىٰ حدود بلاد الشام.

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث إخبار عن معجزة رسول الله ﷺ وعظيم كرامته علىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ، وهو نعْيُه لقادة مؤتة الثلاثة، وقد استشهدوا في الشام، وهو في المدينة.

---

(٧٨) أخرجه البخاري (٢٥٨٩)، مسند أحمد (١١٦٧١).

أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالتجهز للقتال، فاستجابوا للأمر النبوي وحشدوا حشودًا لم يحشدوها من قبل، إذ بلغ عدد المقاتلين في هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل، واختار النبي ﷺ للقيادة ثلاثة أمراء على التوالي: زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحة.

وقد أمر رسول الله ﷺ الجيش الإسلامي أن يأتوا المكان الذي قتل فيه الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه وأن يدعوا من كان هناك إلى الإسلام فإن أجابوا فبها ونعمت، وإن أبوا استعينوا بالله عليهم وقاتلوهم.

وقد زود الرسول ﷺ الجيش في هذه السرية وغيرها من السرايا بوصايا تتضمن آداب القتال في الإسلام، فقد أوصى رسول الله ﷺ أصحابه بقوله: «أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرًا، اغزوا باسم الله، في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تقتلوا وليدًا، ولا امرأة ولا كبيرًا فانيًا، ولا منعزلًا بصومعة، ولا تقربوا نخلا، ولا تقطعوا شجرًا، ولا تهدموا بناء، وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث: فإما الإسلام، وإما الجزية، وإما الحرب...» (٧٩).

أخذ الراية زيد بن حارثة -حِبُّ رسول الله ﷺ- وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير إلا في أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاتل حتى شاط في رماح القوم، وخر صريعًا .

---

(٧٩) انظر: السيرة النبوية للصلابي (ج ٤/ ص ٣٦).

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وطفق يقاتل قتالًا منقطع النظير، حتىٰ إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها، ثم قاتل حتىٰ قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتىٰ قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعًا إياها حتىٰ قتل. يقال: إن روميًا ضربه ضربةً قطعته نصفين، وأثابه الله بجناحيه جناحين في الجنة، يطير بهما حيث يشاء ؛ ولذلك سمي بجعفر الطيار، وبجعفر ذي الجناحين.

ولما قتل جعفر بعد أن قاتل بمثل هذه الضراوة والبسالة، أخذ الراية عبد الله بن رواحة، وتقدم بها، وهو علىٰ فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد، حتىٰ حاد حيدة ثم قال :

أقسمت يا نفس لتنزلنه

كارهة أو لتطاوعنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنه

ما لي أراك تكرهين الجنه

ثم نزل، فأتاه ابن عم له بعَرْق من لحم فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهس منه نَهْسَة، ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم، فقاتل حتىٰ قتل[(٨٠)] .

فمن الذي أعلم النبيَّ ﷺ بمقتلهم قبل أن يأتي خبرهم إلىٰ الناس؟ هو الله علام الغيوب.

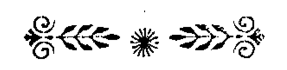
---

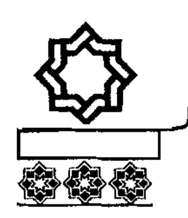
(٨٠) الرحيق المختوم (ج ١/ ص ٣٦٥).

فوائد الحديث:

١- نعىٰ النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم، ولم يكن ذلك النعي لأجل الصلاة عليهم إنما لأجل إخبار المسلمين بخبر إخوانهم وما جرىٰ لهم في تلك الوقعة. وعليه فيجوز الإعلام بالموت لكل غرض صحيح كالدعاء له وما أشبه ذلك.

٢- أن مقام حسن القصد والصبر وبذل النفس لا يحكم وحده سائر المواقف، بل هذه الشريعة جاءت بمراعاة القواعد الشمولية العامة، وهذا من فقه خالد لمقاصد الجهاد.





إخباره ﷺ عن رسالة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

عن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ يقُولُ سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالمِقْدَادَ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوا مِنْهَا»، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ المُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ -يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا- وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ المُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ. فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». فَأَنْزَلَ الله السُّورَةَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾[الممتحنة:١]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[الممتحنة:١][(٨١)].

معاني الكلمات:

روضة خاخ: موضع بين مكة والمدينة.

الظعينة: المرأة في الهودج.

تعادىٰ بنا خيلنا: أسرعت بنا وتعدت عن مشيتها المتعادة.

عقاصها: جمع عقيصة، وهي الشعر الذي يلوىٰ ويدخل أطرافه في أصوله.

السورة: التي تبدأ بهذه الآية المذكورة وهي سورة المممتحنة.

أولياء: حلفاء ونصراء.

بالمودة: النصيحة.

ابتغاء مرضاتي: من أجل الحصول علىٰ رضواني.

تسرون إليهم بالمودة: تبعثون إليهم ينصحكم سرًّا.

ضل سواء السبيل: أخطأ الصواب وابتعد عن طريق الهدىٰ.

المعنى الإجمالي:

مما أطلع الله نبيه عليه من الغيوب التي لا يعرفها لولا إخبار الله له؛ خبر

(٨١) أخرجه البخاري (٣٩٣٩)، ومسلم (٤٥٥٠)، ومسند أحمد (٥٦٦).

كتاب حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أرسله إلىٰ قريش مع امرأة، يخبرهم فيه بعزم النبي ﷺ علىٰ غزو مكة.

فلما كشف الله ذلك لنبيه؛ بعث عليًّا والزبيرَ والمقدادَ بنَ الأسود، وقال: «انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب، فخذوه منها»، يقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فانطلقنا حتىٰ انتهينا إلىٰ الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب.

قال الواحدي قال جماعة المفسرين في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]، نزلت في حاطب بن أبي بلتعة؛ وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت رسول الله إلىٰ المدينة من مكة وهو يتجهز لفتح مكة، فقال: ما جاء بك؟ قالت: الحاجة، قال: فأين أنت عن شباب أهل مكة؟ وكانت مغنية، قالت: ما طُلب مني شيء بعد وقعة بدر، فكساها وحملها، وأتاها حاطب بن أبي بلتعة كتب معها كتابًا إلىٰ أهل مكة، وأعطاها عشرة دنانير، وكتب في الكتاب إلىٰ أهل مكة: أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم؛ فنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بخبرها، فبعث عليًّا وعمارًا وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد، وكانوا كلهم فرسانًا، وقال: «انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب إلىٰ المشركين فخذوه وخلوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها»

فلما جيء بالكتاب أرسل النبي ﷺ إلىٰ حاطب وسأله عن سبب فعلته هذه فاعتذر إليه حاطب بأنه أحب أن يكون له يدًا عند القوم يحمون بها قرابته إذ

أنه لم يكن قرشيًّا، وأنه لم يفعل ذلك خيانة أو ارتداد، فصدقه النبيﷺ .

وأما إطلاق عمر رضي الله عنه اسم النفاق عليه؛ فلأنه والىٰ كفار قريش وباطنهم، وإنما فعل حاطب ذلك متأولًا في غير ضرر لرسول الله، وعلم الله صدق نيته فنجاه من ذلك.(٨٣)

فوائد الحديث:

١- فيه هتك سر الجاسوس رجلًا كان أو امرأة إذا كانت في ذلك مصلحة، أو كان في الستر مفسدة. ٢- إذا ظهر للإمام رجل من أهل الستر أنه قد كاتب عدوًا من المشركين ينذره مما أسره المسلمون فيهم من عزم ولم يكن معروفًا بالغش للإسلام وأهله وكان ذلك من فعله هفوة وزلة من غير أن يكون لها أخوات، يجوز العفو عنه كما فعل رسول الله بحاطب من عفوه عن جرمه بعدما اطلع عليه من فعله.

٣- البيان عن بعض أعلام النبوة وذلك إعلام الله تعالىٰ نبيه بخبر المرأة الحاملة كتاب حاطب إلىٰ قريش ومكانها الذي هي به وذلك كله بالوحي.

٤- هتك ستر المريب وكشف المرأة العاصية.

٥- أن الجاسوس لا يخرجه تجسسه من الإيمان.

٦- الحجة لترك إنفاذ الوعيد من الله لمن شاء ذلك لقوله: «لعل الله اطلع علىٰ أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

---

(٨٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/ ٤٤).

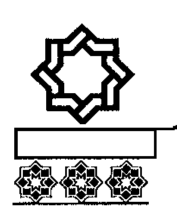
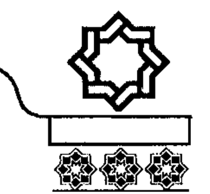
٧- جواز غفران ما تأخر من الذنوب قبل وقوعه.

٨- جواز تجريد العورة عن السترة عند الحاجة. قاله ابن العربي.

٩- دلالة علىٰ أن حكم المتأول في استباحة المحظور خلاف حكم المتعمد لاستحلاله من غير تأويل. قاله ابن الجوزي.

١٠- أن من أتىٰ محظورًا وادعىٰ في ذلك ما يحتمل التأويل كان القول قوله في ذلك، وإن كان غالب الظن خلافه.

❊ ❊ ❊

ذهاب البرد عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ القِيَامَةِ؟»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ القِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ القِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. فَقَالَ: «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ القَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسمي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ القَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ القَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ القَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ»(٨٣).

---

(٨٣) أخرجه مسلم (٣٣٤٣)، وصحيح ابن حبان (٧١٢٥).

معاني الكلمات:

يُصلي ظهره: صليت اللحم أصليه صليًا: إذا شويته، وصليت الرجل نارًا: إذا أدخلته فيها، فجعلته يصلاها، والمراد به هاهنا: إدفاء ظهره بالنار.

كبد القوس: وسطها.

قررت: أقر؛ أي: أصابني القر، وهو البرد.

يا نومان: النومان: كثير النوم، قال الجوهري: وهو مختص بالنداء.

المعنى الإجمالي:

كان رسول الله ﷺ يتابع أمر الأحزاب وأحب أن يتحرى عما حدث عن قرب فقال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة، فاستعمل ﷺ أسلوب الترغيب وكرره ثلاث مرات وعندما لم يُجْدِ هذا الأسلوب لجأ إلى أسلوب الجزم والحزم في الأمر، فعين واحدًا بنفسه فقال: قم ياحذيفة فائتنا بخبر القوم ولاتذعرهم علي.

وفي هذا معنى تربوي وهو أن القيادة الناجحة هي التي توجه جنودها إلى أهدافها عن طريق الترغيب والتشجيع ولا تلجأ إلى الأمر والحزم إلا عند الضرورة(٨٤).

---

(٨٤) انظر: السيرة النبوية للصلابي (ج ٧ / ص ٨١).

فوائد الحديث:

١- أنه ينبغي للإمام وأمير الجيش بعث الجواسيس والطلائع لكشف خبر العدو.

٢- أن القيادة الناجحة هي التي توجه جنودها إلىٰ أهدافها عن طريق الترغيب والتشجيع، ولا تلجأ إلىٰ الأمر والحزم إلا عند الضرورة.

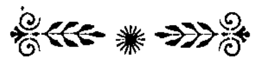
٣- معرفة رسول الله ﷺبمعادن الرجال، حيث اختار حذيفة ليقوم بمهمة التجسس علىٰ الأحزاب، وأن معدن حذيفة معدن ثمين فهو شجاع، ولا يقوم بهذه الأعمال إلا من كان ذا شجاعة نادرة، وهو بالإضافة إلىٰ ذلك لبق ذكي خفيف الحركة، سريع التخلص من المآزق الحرجة.

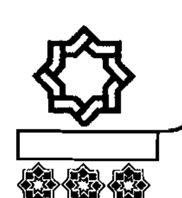
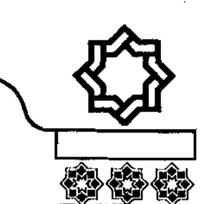
٤- الانضباط العسكري الذي يتحلىٰ به حذيفة، لقد مرت فرصة سانحة يقتل فيها قائد الأحزاب وهمَّ بذلك، ولكنه ذكر أمر الرسول ﷺألا يذعرهم، وأن مهمته الإتيان بخبرهم، فنزع سهمه من قوسه.

٥- كرامات الأولياء: إن ما حدث لحذيفة بن اليمان عندما سار لمعرفة خبر الأحزاب في جو بارد ماطر شديد الريح، وإذا به لا يشعر بهذا الجو البارد، ويمشي وكأنما يمشي في حمام، وتلازمه هذه الحالة مدة بقائه بين الأحزاب وحتىٰ عاد إلىٰ معسكر المسلمين؛ لا شك هذه كرامة يمنُّ الله بها علىٰ عباده المؤمنين.

٦- لطف النبي ﷺ مع حذيفة عند رجوعه، فقد كان ﷺ يترفق بأصحابه،

ولم تمنعه صلاة الليل وحلاوة المناجاة من التلطف بحذيفة الذي جاء بأحسن الأنباء وأصدق الأخبار وأهمها، فشمله بكسائه الذي يصلي فيه؛ ليدفئه، وتركه ملفوفًا به حتىٰ أتم صلاته، بل حتىٰ بعد أن أفضىٰ إليه بالمهمة، فلما وجبت المكتوبة أيقظه بلطف وخفة ودعابة، قائلًا: «قم يا نومان»، دعابة تقطر حلاوة، وتفيض بالحنان، وتسيل رقة، إنها صورة نموذجية للرأفة والرحمة اللتين تحلىٰ بهما فؤاد الرسول ﷺ، وتطبيق فريد رفيع لهما في أصحابه الكرام.



إعلامه ﷺ بعدم غزو المشركين المسلمين بعد الخندق

عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ حِينَ أَجْلَى الأَحْزَابَ عَنْهُ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»(٨٥).

معاني الكلمات:

نغزوهم ولا يغزوننا: أي نحن الذين نقوم بغزو قريش بعد هذا اليوم وهي لا تقوم بغزونا. وهذا ما وقع إذ سار إليهم رسول الله ﷺ وفتح مكة.

المعنى الإجمالي:

لما انقضت غزوة الأحزاب، ولت جموعهم الأدبار، وقبل أن ينقشع غبارُ إدبارهم أخبر النبي ﷺ بنبوءة ما كان له أن يطلع عليها لولا إخبار الله له، فقال: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم».

وهكذا كان، إذ كانت غزوة الأحزاب آخر غَزاة غزتها قريش في حربها مع النبي ﷺ، وقد غزاهم المسلمون بعدها، وفتحوا مكة بعون الله وقدرته، فمن الذي أعلم النبي ﷺ أن هذه الألوف التي دهمت المدينة لن تعود إليها بعد هذه

---

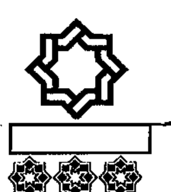
(٨٥) أخرجه البخاري (٣٨٠١).

الكَرَّة الخاسرة؟ إنه الله رب العالمين.

قال ابن حجر عن قولهﷺ : «الآن نغزوهم ولا يغزوننا»: وفيه علمٌ من أعلام النبوة، فإنهﷺ اعتمر في السنة المقبلة، فصدّتهُ قريش عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلىٰ أن نقضوها، فكان ذلك سببَ فتح مكة، فوقع الأمر كما قالﷺ.

فوائد الحديث:

١- معجزة عظيمة للنبي حيث أخبر عن أمر سيكون وقد وقع مثل ما قال.





كذبك وسيعود

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا؛ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ؛ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا. قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ

اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي الله بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ؟» قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لَا. قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»(٨٦).

معاني الكلمات:

آتٍ: اسم فاعل من أتىٰ، وأصله آتي فحذفت الياء لالتقاء الساكنين.

يحثو: يأخذ بكفيه.

علي عيال: نفقة عيال وهم الزوجة والأولاد ومن في نفقة المرء.

أسيرك: سمي أسيرًا لأنه ربطه بحبل، وكانت عادة العرب أن تربط الأسير إذا أخذته بحبل.

البارحة: أقرب ليلة مضت.

فرصدته: ترقبته.

آية الكرسي: الآية التي يذكر فيها كرسي الرحمن جل وعلا وهي قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥] إلىٰ آخر الآية.

قد صدقك: أخبرك بما يوافق الواقع والحق.

---

(٨٦) أخرجه البخاري (٤٦٢٤).

وهو كذوب: من شأنه وخلقه كثرة الكذب.

المعنى الإجمالي:

هذه القصة قصة عجيبة عظيمة؛ وذلك لأن النبي ﷺ وكل أبا هريرة رضي الله عنه علىٰ صدقة رمضان يعني الفطر يحفظها، وكانوا يجمعونها قبل العيد بيوم أو يومين، وكان أبو هريرة وكيلًا عليها، وفي ليلة من الليالي جاء رجل يحثو من الطعام فأمسكه أبو هريرة، وقال: لأرفعنك إلىٰ رسول الله ﷺ، فخاف وقال: إني ذو عيال، وذو حاجة؛ فرحمه وأطلقه، فلما أصبح وجاء إلىٰ رسول الله ﷺ قال له ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟»، وهذه من آيات الله؛ لأن النبي ﷺ لم يكن عنده، ولكنه علم بذلك عن طريق الوحي، قال: «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله إنه قال إنه ذو حاجة وذو عيال؛ فرحمته وأطلقته، فقال النبي ﷺ: «كذبك»؛ يعني: كذب عليك «وسيعود». يقول: فعلمت أنه سيعود لقول؛ النبي ﷺ: إنه سيعود. وكان الصحابة رضي الله عنهم يؤمنون بما أخبر به النبي ﷺ كما يؤمنون بما يشاهدونه بأعينهم أو أكثر، يقول: فرصدته؛ فجاء فجعل يحثو من الطعام، فقلت: لأرفعنك إلىٰ رسول الله ﷺ، فاشتكىٰ شكايته الأولىٰ أنه محتاج وذو عيال؛ فرحمه رضي الله عنه، وإنما رحمه مع أن الرسول ﷺ قال: «كذبك»؛ لأن أبا هريرة يعلم حلم النبي ﷺ وسعة صدره وأنه لن يؤنبه، وفعلًا لم يؤنبه، فلما أصبح وجاء إلىٰ النبي ﷺ وأخبره، قال: «إنه كذبك وسيعود»، وفي المرة الثالثة جعل يترقبه، وجاء يأخذ من الطعام. فقلت: لأرفعن أمرك إلىٰ النبي ﷺ في هذه

المرة؛ لأنك قلت: لن تعود ثلاث مرات وعدت، فقال: دعني وإني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، قال: وما هن؟ قال آية الكرسي إذا أويت إلىٰ فراشك للنوم فاقرأها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ فلا يقربك شيطان حتىٰ تصبح، كلمات يسيرة تحفظك، لو جعلت مائة حارس ما استطاعوا أن يمنعوا الشياطين عنك، ولكن هذه كلمات يسيرة يحفظك الله بها، فلما أصبح غدا إلىٰ النبي ﷺ وقال له الخبر، فقال: «إنه صدقك وهو كذوب»؛ يعني: هذه المرة ما قاله لك صادق فيه وهو كذوب، «أتدري من تخاطب منذ ثلاث ليال؟»، قلت: يا رسول الله لا أعلم، قال: «ذاك شيطان» متلبس في صورة آدمي [(٨٧)].

فوائد الحديث:

١- أن السارق لا يقطع في مجاعة، وأنه يجوز أن يعفي عنه قبل أن يبلغ الإمام.

٢- أن الشيطان قد يعلم علمًا ينتفع به إذا صدق.

٣- أن الكذوب قد يصدق مع الندرة.

٤- فيه علامات النبوة؛ لقوله: «ما فعل أسيرك البارحة».

٥- قبول عذر السارق.

٦- خداع الشيطان.

٧- في الثالثة بلاغ في الإعذار.

---

(٨٧)شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ١٦٩).

٨- فضل آية الكرسي.

٩- أن للشيطان نصيبًا ممن ترك ذكر الله تعالىٰ عند المنام.

١٠- أن من أقيم في حفظ شيء يسمىٰ وكيلًا.

١١- أن الجن تسرق وتخدع.

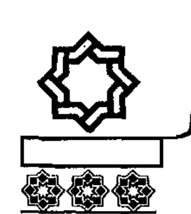
١٢- جواز جمع زكاة الفطر قبل ليلة الفطر وتوكيل البعض لحفظها وتفرقتها.

١٣- جواز تعلم العلم ممن لم يعمل بعلمه.









إخباره ﷺ بمقدم الأشعريين

عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْن مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِطَرِيقِ مَكَّةَ إِذْ قَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ كَأَنَّهُمُ السَّحَابُ، هُمْ خِيَارُ مَنْ فِي الأَرْضِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: وَلاَ نَحْنُ يَا رَسُولَ الله! فَسَكَتَ، قَالَ: وَلاَ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ! فَسَكَتَ قَالَ: وَلاَ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ كَلِمَةً ضَعِيفَةً: «إِلاَّ أَنْتُمْ»(٨٨).

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالفَخْرُ وَالخُيَلاَءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالوَقَارُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ»(٨٩).

معاني الكلمات:

أفئدة: جمع فؤاد.

الخيلاء: الكبر والعجب.

المعنى الإجمالي:

قال الإمام النووي: (قد اختلف في مواضع من هذا الحديث وقد جمعها

---

(٨٨) أخرجه أحمد (١٧٢٣٥)، وانظر السلسلة الصحيحة (٣٤٣٧).

(٨٩) أخرجه البخاري (٤٠٣٧)، ومسلم (٧٩).

القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ ونقحها مختصرة بعده الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ وأنا أحكىٰ ما ذكره قال: أما ما ذكر من نسبة الايمان إلىٰ أهل اليمن فقد صرفوه عن ظاهره من حيث إن مبدأ الايمان من مكة ثم من المدينة حرسهما الله تعالىٰ، فحكىٰ أبو عبيد إمامُ الغربِ ثم من بعده في ذلك أقوالًا؛ **أحدها**: أنه أراد بذلك مكة فانه يقال أن مكة من تهامة، وتهامة من أرض اليمن. **والثانى**: أن المراد مكة والمدينة، فإنه يروىٰ في الحديث: أن النبي ﷺ قال هذا الكلام وهو بتبوك، ومكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن، فاشار إلىٰ ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة. فقال: «الإيمان يمان» ونسبهما إلىٰ اليمن لكونهما حينئذ من ناحية اليمن، كما قالوا: الركن اليمانىٰ وهو بمكة؛ لكونه إلىٰ ناحية اليمن. **والثالث**: ما ذهب إليه كثير من الناس -وهو أحسنها عند أبىٰ عبيد- أن المراد بذلك الانصار؛ لأنهم يمانون في الأصل، فنسب الإيمان اليهم؛ لكونهم أنصاره. قال الشيخ أبو عمرو رَحِمَهُ اللَّهُ: ولو جمع أبو عبيد ومن سلك سبيله طرق الحديث بألفاظه كما جمعها مسلم وغيره وتأملوها لصاروا إلىٰ غير ما ذكروه. ولما تركوا الظاهر ولقضوا بأن المراد اليمن وأهل اليمن علىٰ ما هو المفهوم من إطلاق ذلك، إذ من ألفاظه: «أتاكم أهل اليمن»، والأنصار من جملة المخاطبين بذلك، فهم اذًا غيرهم، وكذلك قوله ﷺ: «جاء أهل اليمن» وإنما جاء حينئذ غير الانصار، ثم أنه ﷺ وصفهم بما يقضىٰ بكمال إيمانهم ورتب عليه «الإيمان يمان» فكان ذلك أشارة للإيمان إلىٰ من أتاه من أهل اليمن لا إلىٰ مكة

والمدينة، ولا مانع من إجراء الكلام علىٰ ظاهره وحمله علىٰ أهل اليمن حقيقة؛ لأن من اتصف بشيء وقوي قيامه به وتأكد اطلاعه منه ينسب ذلك الشيء إليه إشعارًا بتميزه به وكمال حاله فيه، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان، وحال الوافدين منه في حياة رسول الله ﷺ، وفي أعقاب موته كأويس القرنى وأبي مسلم الخولانى رضي الله عنهما وشبههما ممن سلم قلبه وقوىٰ إيمانه؛ فكانت نسبة الايمان اليهم لذلك إشعارًا بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم، فلا منافاة بينه وبين قوله ﷺ: «الإيمان في أهل الحجاز»، ثم المراد بذلك: الموجودون منهم حينئذ لا كل أهل اليمن في كل زمان، فإن اللفظ لا يقتضيه. هذا هو الحق في ذلك، ونشكر الله تعالىٰ علىٰ هدايتنا له والله اعلم.

قوله ﷺ: «ألين قلوبًا وأرق أفئدة»: المشهور أن الفؤاد هو القلب، فعلىٰ هذا يكون كرر لفظ القلوب بلفظين وهو أولىٰ من تكريره بلفظ واحد. وقيل: الفؤاد غير القلب، وهو عين القلب. وقيل: باطن القلب. وقيل: غشاء القلب، وأما وصفها باللين والرقة والضعف فمعناه أنها ذات خشية واستكانة، سريعة الاستجابة والتأثر بقوارع التذكير، سالمة من الغلظ والشدة والقسوة التي وصف بها قلوب الآخرين(٩٠).

وأما قوله: «في أهل الابل الفخر والخيلاء»؛ فذلك علىٰ الغالب من

---

(٩٠) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم(٢/ ٣٠).

حالهم لسعة حالهم وكثرة أموالهم، بخلاف أصحاب الغنم قال: «والسكينة والوقار في أهل الغنم».

فوائد الحديث:

١- أهل اليمن يغلب عليهم الإيمان والحكمة، كما أن أهل الإبل يغلب عليهم الفخر، وأهل الغنم يغلب عليهم السكون.

٢- إشعار إلىٰ إظهار معجزة وهي أنه يظهر في اليمن كثير من الأولياء مع قلة أهله، بخلاف سائر الأطراف فإنه وإن ظهر منهم الصالحون فهم بالنسبة إلىٰ كثرة خلائقهم قليلون.

٣- فضل اليمن، واليمن يشمل مواقع عديدة، حتىٰ أهل المدينة هم في الأصل من اليمن، وكذلك ما تيامن عن الكعبة فهو يسمىٰ ويعد من اليمن، وليس مقصورًا فقط علىٰ البقعة الجغرافية التي تسمىٰ اليوم اليمن، بل الأمر أشمل من ذلك، ويشمل كل ما كان عن يمين الكعبة.





إخباره عن قسوة قلوب أهل ربيعة ومضر

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ هَاهُنَا»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمَنِ، «وَالجَفَاءُ وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ»(٩١).

معاني الكلمات:

الفدادين: هم الجمالون والرعيان، والبقارون، والحمارون. وقيل: هم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم وأموالهم ومواشيهم.

الذنب: الذيل.

قرنا الشيطان: جانبا رأسه، وقيل: هما جمعاه اللذان يغريهما بإضلال الناس، وقيل: شيعتاه.

ربيعة ومضر: من أسماء القبائل.

المعنى الإجمالي:

أشار رسول الله بيده نحو اليمن؛ لأنه كان بتبوك، وقال هذا القول وأشار إلىٰ ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن، وقيل: قال هذا

---

(٩١) أخرجه البخاري (٤٠٣٦).

القول وكان بالمدينة؛ لأن كونها هو الغالب عليه، وعلىٰ هذا تكون الإشارة إلىٰ سياق أهل اليمن. وقال النووي: أشار إلىٰ اليمن وهو يريد مكة والمدينة ونسبهما إلىٰ اليمن؛ لكونهما من ناحيته.

قوله: «الإيمان يمان» إنما قال ذلك؛ لأن الإيمان بدأ من مكة وهي من تهامة، وتهامة من أرض اليمن؛ ولهذا يقال: الكعبة اليمانية، وقيل: إنما قال هذا القول للأنصار؛ لأنهم يمانون، وهم نصروا الإيمان والمؤمنين وآووهم فنسب الإيمان إليهم وهذا غريب، وأغرب منه قول الحكيم الترمذي: أنه إشارة إلىٰ أويس القرني، وقيل: سبب الثناء علىٰ أهل اليمن إسراعهم إلىٰ الإيمان وحسن قبولهم للبشرىٰ حين لم يقبلها بنو تميم، وفي رواية: «أتاكم أهل اليمن ألين قلوبًا وأرق أفئدة» يريد بلين القلوب: سرعة خلوص الإيمان في قلوبهم، ويقال: الفؤاد غشاء القلب والقلب جثته وسويداؤه، فإذا رق الغشاء أسرع نفوذ الشيء إلىٰ ما وراءه، وقال أبو عبيد: إنما بدأ الإيمان من مكة؛ لأنها مولده ومبعثه ثم هاجر إلىٰ المدينة، ويقال: أن مكة من أرض تهامة، وتهامة من أرض اليمن ولهذا سمىٰ مكة وما وليها من أرض اليمن تهائم، فمكة علىٰ هذا يمانية، فإن قلت: الإيمان يمان مبتدأ وخبر فكيف يصح حمل اليمان عليه، قلت: أصله الإيمان يماني بياء النسبة فحذفوا الياء للتخفيف، كما قالوا: تهامون وأشعرون وسعدون. قوله: «ألا إن القسوة وغلظ القلوب» قال السهيلي إنهما لمسمىٰ واحد، كقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]، البث هو الحزن، وقال القرطبي: القسوة يراد بها أن تلك القلوب لا تلين ولا تخشع

لموعظة، وغلظها عدم فهمها

وكون الجفاء وغلظة القلب في الفدادين؛ لكونهم فيجهلون معالم دينهم.

قوله: «حيث يطلع قرنا الشيطان»؛ أي: جانبا رأسه، وقال الخطابي: ضرب المثل بقرني الشيطان فيما لا يحمد من الأمور، والمراد بذلك: اختصاص المشرق بمزيد تسلط من الشيطان ومن الكفر.

قوله: «في ربيعة ومضر» يتعلق بقوله في الفدادين؛ أي: المصوتين عند أذناب الإبل، وهو في جهة المشرق حيث هو مسكن هاتين القبيلتين ربيعة ومضر، قال الكرماني: يحتمل أن يكون في ربيعة ومضر بدلًا من الفدادين، وعبَّر عن المشرق بقوله: «حيث يطلع قرنا الشيطان»؛ وذلك أن الشيطان ينتصب في محاذاة مطلع الشمس حتىٰ إذا طلعت كانت بين قرني رأسه؛ أي: جانبيه فتقع السجدة حين تسجد عبدة الشمس لها(٩٢).

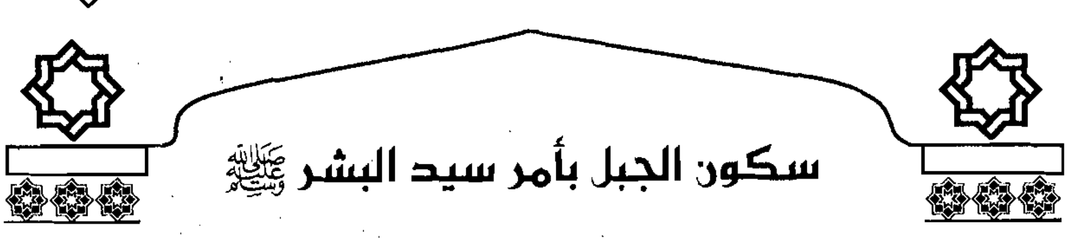
فوائد الحديث:

١- إخباره ﷺ عن طبيعة أهل اليمن وأهل ربيعة ومضر، وقد كان ما قال وهو من علامات النبوة.

٢- إخباره عن موقع الفتن.

❊ ❊ ❊

(٩٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/ ٩١).



سكون الجبل بأمر سيد البشر ﷺ

عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»(٩٣).

معاني الكلمات:

رجف: اضطرب وذلك معجزة.

صديق: صيغة مبالغة من الصدق، والمراد به أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

شهيدان: هما عمر وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقد ماتا شهيدين.

المعنى الإجمالي:

إن معجزات النبي ﷺ الحسية الخارقة للعادة كثيرة جدًّا، ومن ذلك تأثيره في الجمادات من الجبال وغيرها، فالجمادات لا تعقل ولا تنطق، فإذا جعلها الله تتأثر به ﷺ، فهو دليل رضاهُ عن النبي في قوله بنبوة نفسه وتصديقه حين قال بإرسال الله إياه.

وفي الحديث صعد النبي ﷺ جبل أحد وهو الجبل المعروف بالمدينة،

---

(٩٣) أخرجه البخاري (٣٣٩٩)، والترمذي (٣٦٣٠).

ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فضربه ﷺ برجله، وقال: «اثبت أحد، فإن عليك نبي، وصديق، وشهيدان».

وهذه نبوءة تذكر أن عمر وعثمان يستشهدان، وقد قتل عمَر أبو لؤلؤة، وقُتل عثمان في الفتنة المعروفة .

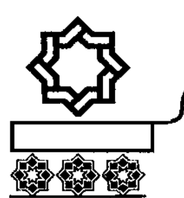
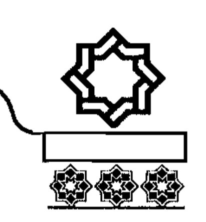
فوائد الحديث:

١- معجزة لرسول الله ﷺ حيث أخبر بما سيكون وماسيحدث من استشهاد سيدنا عمر وعثمان رضي الله عنهما.

٢- استحباب البشارة وتعجيلها.

٣- منقبة وفضل كل من الصديق وعمر وعثمان.



أخبره النبي ﷺ أنه من أهل الجنة فنالها بالشهادة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ فَجَاءَ وَمَا فِي البَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا»، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «لا إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا المُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ المُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فَدَنَا المُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ»، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ! قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟»، قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ

مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ»(٩٤).

معاني الكلمات:

عينًا: جاسوسًا.

القرن هو: جعبة النشاب.

المعنى الإجمالي:

كان رسول الله ﷺ يربي أصحابه علىٰ أن يكونوا أصحاب إرادات قوية راسخة ثابتة ثبات الشم الرواسي، فيملأ قلوبهم شجاعة وجرأة وأملًا في النصر علىٰ الأعداء، وكان يسلك في سبيل تكوين هذه الإرادة القوية أسلوب الترغيب والترهيب، الترغيب في أجر المجاهدين الثابتين والترهيب من التولي يوم الزحف، والفرار من ساحات الوغىٰ، كما كان يحدثهم عن عوامل النصر وأسبابه ليأخذوا بها ويلتزموها، ويحذرهم من أسباب الهزيمة ليقلعوا عنها، وينأوا بأنفسهم عن الاقتراب منها، وكان ﷺ يحثّ أصحابه علىٰ القتال ويحرضهم عليه.

وفي غزوة بدر الكبرىٰ قال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا إلىٰ جنة عرضها السموات والأرض، فقال عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم، قال: بخ بخ.

فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك علىٰ قولك: بخ بخ؟

---

(٩٤) أخرجه مسلم (٣٥٢٠).

قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: فإنك من أهلها.

فأخرج ثمرات من قرنه (جعبة النشاب) فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتىٰ آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمىٰ بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتىٰ قتل.

فوائد الحديث:

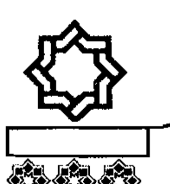
١- جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء.

٢- قوة اليقين تثمر في سلوك الإنسان الزهد في الدنيا وقصر الأمل.

٣- معجزة لرسول الله ﷺ حيث أخبر عميرًا بأنه من أهل الجنة، وقد مات عمير شهيدًا، والشهيد من أهل الجنة.







إخباره ﷺ بخراب خيبر

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَزَا خَيْبَرَ قَالَ: فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلَاةَ الغَدَاةِ بِغَلَسٍ، فَرَكِبَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ، فَأَجْرَى نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَانْحَسَرَ الإِزَارُ عَنْ فَخِذِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَإِنِّي لَأَرَى بَيَاضَ فَخِذِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا دَخَلَ القَرْيَةَ، قَالَ:«الله أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ: ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[الصافات:١٧٧]»، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: وَقَدْ خَرَجَ القَوْمُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ، -قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ- قَالَ: وَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً، وَجُمِعَ السَّبْيُ، فَجَاءَهُ دِحْيَةُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ سَيِّدِ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ مَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ، قَالَ: «ادْعُوهُ بِهَا»، قَالَ: فَجَاءَ بِهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «خُذْ جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ غَيْرَهَا»، قَالَ: وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ مَا أَصْدَقَهَا، قَالَ: نَفْسَهَا أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا فَقَالَ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ»، قَالَ: وَبَسَطَ نِطَعًا، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالأَقِطِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ

بِالسَّمْنِ؛ فَحَاسُوا حَيْسًا، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٩٥).

معاني الكلمات:

الغداة: الصبح.

بغلس: ظلمة آخر الليل.

رديف: راكب خلفه.

فأجرىٰ: أي مركوبه.

زقاق: هو السكة والطريق.

خربت: فتحت.

بساحة: ناحية وجهة.

فساء: قَبُحَ.

فقالوا: محمد؛ أي: جاء محمد ﷺ.

عنوة: قهرًا في عنف، أو صلحًا في رفق، فهي من الألفاظ التي تستعمل في الشيء وضده. وقيل: إن خيبر فتح بعضها صلحًا وبعضها قهرًا.

ما أُصدقها: ماذا أعطاها مهرًا.

فأهدتها: زفتها.

نطعًا: هو ثوب متخذ من جلد يوضع عليه الطعام أو غيره.

السويق: الدقيق.

---

(٩٥) أخرجه البخاري (٣٥٨)، ومسلم (٢٥٦١).

حيسًا: هو الطعام المتخذ من التمر والسمن والأقط أو الدقيق.

المعنى الإجمالي:

خيبر بلغة اليهود: حصن. وقيل: أول ما سكن فيها رجل من بني إسرائيل يسمى خيبر فسميت به، وهي بلد عترة في جهة الشمال والشرق من المدينة النبوية على ستة مراحل، وكان لها نخيل كثير، وكانت في صدر الإسلام دارًا لبني قريظة والنضير، وكانت غزوة خيبر في جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة. قاله ابن سعد.

وقال ابن إسحاق: أقام رسول الله بعد رجوعه من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم، وخرج في بقيته غازيًا إلى خيبر، ولم يبق من السنة السادسة إلا شهر وأيام.

فركب إليهم النبي ﷺ بغلس؛ أي: في آخر الليل؛ وذلك مبالغة في التخفي لمباغتة العدو.

قوله: (وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ، فَأَجْرَىٰ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَانْحَسَرَ الإِزَارُ عَنْ فَخِذِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَإِنِّي لَأَرَىٰ بَيَاضَ فَخِذِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ):

قال العيني: اللائق بحاله الكريمة أن لا ينسب إليه كشف فخذه قصدًا، مع ثبوت قوله: «الفخذ عورة».

وأشار العيني رَحِمَهُ اللهُ إلى أن الأصوب أنه لم يكشف إزاره عن فخذه قصدًا،

وإنما انكشف عن فخذه لأجل الزحام، أو كان ذلك من قوة إجرائه.

قوله: (خربت خيبر)؛ أي: صارت خرابًا، وهل ذلك على سبيل الخبرية فيكون ذلك من باب الإخبار بالغيب؟ أو يكون ذلك على جهة الدعاء عليهم؟ أو على جهة التفاؤل لما رآهم خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم؛ وذلك من آلات الحراث؟ ويجوز أن يكون أخذ من اسمها، وقيل: إن الله أعلمه بذلك.

قوله: (بساحة قوم): أصل الساحة الفضاء بين المنازل، ويطلق على الناحية والجهة والبناء. قوله: (وخرج القوم إلى أعمالهم): معناه خرج القوم لأعمالهم التي كانوا يعملونها، وكلمة (إلى) تأتي بمعنى اللام. قوله: (فقالوا: محمدٌ)؛ أي: جاء محمد، وارتفاعه على أنه فاعل لفعل محذوف، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا محمد.

قوله: (والخميس)؛ أي: الجيش، وسمي الجيش خميسًا؛ لأنه خمسة أقسام؛ مقدمة، وساقة، وقلب، وجناحان، ويقال: ميمنة، وميسرة، وقلب، وجناحان. وقال ابن سيده: لأنه يخمس ما وجده.

قوله: (عَنوة) بفتح العين وهو القهر، يقال: أخذته عنوة؛ أي: قهرًا، وقيل: أخذته عنوة؛ أي: عن غير طاعة، وقال ثعلب: أخذت الشيء عنوة؛ أي: قهرًا في عنف، وأخذته عنوة؛ أي: صلحًا في رفق وقال ابن التين: ويجوز أن يكون عن تسليم من أهلها وطاعة بلا قتال. قلت: فحيئذ يكون هذا اللفظ من الأضداد. وقال أبو عمر: الصحيح في أرض خيبر كلها عنوة، وقال المنذري: اختلفوا في فتح خيبر كانت عنوة أو صلحًا أو جلاء أهلها عنها بغير قتال، أو بعضها صلحا

وبعضها عنوة، وبعضها جلاء أهلها عنها؟ قال: وهذا هو الصحيح، وبهذا أيضًا يندفع التضاد بين الآثار.

قوله: (فجاء دحية) -بفتح الدال وكسرها- ابن خليفة بن فروة الكلبي، وكان أجمل الناس وجهًا، وكان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله في صورته. قوله: (فقال: اذهب فخذ جارية): قال الكرماني: فإن قلت: كيف جاز للرسول إعطاؤها لدحية قبل القسمة؟ قلت: صفي المغنم لرسول الله فله أن يعطيه لمن شاء. قلت: هذا غير مقنع؛ لأنه قال له ذلك قبل أن يعين الصفي، وهاهنا أجوبة جيدة؛ **الأول**: يجوز أن يكون أذن له في أخذ الجارية علىٰ سبيل التنفيل له؛ إما من أصل الغنيمة، أو من خمس الخمس، سواء كان قبل التمييز أو بعده. **الثاني**: يجوز أن يكون أذن له علىٰ أنه يحسب من الخمس إذا ميز. **الثالث**: يجوز أن يكون أذن له ليقوم عليه بعد ذلك ويحسب من سهمه.

قوله: (فأخذ صفية بنت حيي) ابن أخطب بن سَعْية بن سفلة بن ثعلبة، وهي من بنات هارون عليه الصلاة والسلام، وأمها برة بنت سمؤل. قال الواقدي: ماتت في خلافة معاوية سنة خمسين، وقال غيره: ماتت في خلافة علي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين ودفنت بالبقيع، وكانت تحت كنانة بن أبي الحُقيق، قتل يوم خيبر.

قوله: (فجاء رجل) مجهول لم يعرف. قوله: (قريظة والنضير): هما قبيلتان عظيمتان من يهود خيبر، وقد دخلوا في العرب علىٰ نسبهم إلىٰ هارون عليه الصلاة والسلام.

قوله: (خذ جارية من السبي غيرها)؛ أي: غير صفية.

وجه أخذ النبي ﷺ لصفية:

وأما وجه الأخذ فهو أنه لما قيل له: إنها لا تصلح له من حيث إنها من بيت النبوة؛ فإنها من ولد هارون أخي موسىٰ عليهما الصلاة والسلام، ومن بيت الرياسة، فإنها من بيت سيد قريظة والنضير، مع ما كانت عليه من الجمال الباعث علىٰ كثرة النكاح المؤدية إلىٰ كثرة النسل وإلىٰ جمال الولد، لا للشهوة النفسانية؛ فإنه معصوم منها.

وعن المازري: يحملٰ ما جرىٰ مع دحية علىٰ وجهين؛ **أحدهما**: أن يكون رد الجارية برضاه وأذن له في غيرها. **الثاني**: أنه إنما أذن له في جارية من حشو السبي لا في أخذ أفضلهن، ولما رأىٰ أنه أخذ أنفسهن وأجودهن نسبًا وشرفًا وجمالًا استرجعها؛ لئلا يتميز دحية بها علىٰ باقي الجيش، مع أن فيهم من هو أفضل منه، فقطع هذه المفاسد وعوضه عنها، وفي (سير) الواقدي: أنه أعطاه أخت كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق، وكان كنانة زوج صفية، فكأنه طيب خاطره لما استرجع منه صفية بأن أعطاه أخت زوجها(٩٦).

فزفتها له أم سليم وبنىٰ بها النبي ﷺ.

فوائد الحديث:

١- جواز إطلاق صلاة الغداة علىٰ صلاة الصبح خلافًا لمن كرهه من

(٩٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٦/ ٢٢٧).

بعض الشافعية.

٢- جواز الإرداف إذا كانت الدابة مطيقة.

٣- استحباب التكبير والذكر عند الحرب، وهو موافق لقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الأنفال:٤٥].

٤- استحباب التثليث في التكبير؛ لقوله: قالها ثلاثًا؛ أي: ثلاث مرات.

٥- أن إجراء الفرس يجوز، ولا يضر بمراتب الكبار لا سيما عند الحاجة، أو لرياضة الدابة، أو لتدريب النفس علىٰ القتال.

٦- استحباب عتق السيد أمته وتزوجها، وقد صح أن له أجرين كما جاء في حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٧- أن الزفاف في الليل، وقد جاء أنه دخل عليها نهارًا ففيه جواز الأمرين.

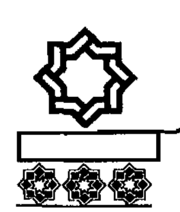
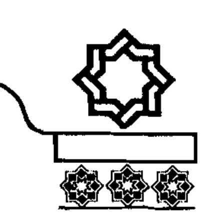
٨- أن فيه دلالة علىٰ مطلوبية الوليمة للعرس، وأنها بعد الدخول. وقال الثوري: ويجوز قبله وبعده.

٩- إدلال الكبير لأصحابه وطلب طعامهم في نحو هذا، ويستجب لأصحاب الزوج وجيرانه مساعدته في الوليمة بطعام من عندهم.

١٠- فيه أن الوليمة تحصل بأي طعام كان ولا تتوقف علىٰ شاة، والسنة تقوم بغير لحم.





إخباره ﷺ أن غلامه غلّ شملة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً إِلَّا الأَمْوَالَ وَالثِّيَابَ وَالمَتَاعَ، فَأَهْدَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ يُقَالُ لَهُ: رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ غُلَامًا يُقَالُ لَهُ: مِدْعَمٌ، فَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى وَادِي القُرَى، حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي القُرَى بَيْنَمَا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا سَهْمٌ عَائِرٌ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الجَنَّةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسم لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا»، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ، أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ»(٩٧).

معاني الكلمات:

المتاع: كل ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه من طعام وأثاث وسلع وأموال ونحوها.

الحوائط: جمع حائط، وهو البستان من النخيل.

وادي القرى: اسم موضع بقرب المدينة.

أحد بني الضباب: هو رفاعة بن زيد، وبنو الضباب قبيلة، والضباب جمع

---

(٩٧) أخرجه البخاري (٦٢١٣).

ضب وهو دويبة معروفة في الحجاز.

رحل: ما يوضع علىٰ البعير ليركب عليه.

عائر: حائد عن قصده لا يدري من أين أتىٰ.

أصابها: أخذها ونالها.

لم تصبها المقاسم: أي قسمة الغنائم المشروعة؛ لأنه أخذها قبل قسمة الغنيمة.

الغلول: الخيانة.

الشراك: هو سير النعل علىٰ ظهر القدم.

المعنى الإجمالي:

قوله: (افتتحنا خيبر)، وفي رواية عبيد الله بن يحيىٰ عن يحيىٰ عن أبيه في (الموطأ): (حنين) بدل (خيبر)، وحكىٰ الدارقطني عن موسىٰ بن هارون أنه قال: وَهِمَ ثور في هذا الحديث؛ لأن أبا هريرة لم يخرج مع النبي إلىٰ خيبر، وإنما قدم بعد خروجهم وقدم عليهم خيبر بعد أن فتحت. قال أبو مسعود: ويؤيده حديث عنبسة بن سعيد عن أبي هريرة قال: أتيت النبي بخيبر بعدما افتتحوها، ولما روىٰ محمد ابن إسحاق هذا الحديث لم يذكر هذه اللفظة؛ لأنه استشعر توهم ثور بن زيد، وأخرجه ابن حبان والحاكم وابن منده من طريقه بلفظ: (انصرفنا مع رسول الله إلىٰ وادي القرىٰ)، وقال بعضهم: إذا حمل (افتتحنا) علىٰ افتتح المسلمون لا يلزم شيء من ذلك.

قلت: هذا بعيد بهذا الوجه.

قوله: (ولم نغنم ذهبًا) إلىٰ قوله: (والحوائط)، وهو جمع حائط وهو البستان من النخل. قوله: (إلىٰ وادي القرىٰ): جمع قرية، موضع بقرب المدينة وهو من أعمالها. قوله: (ومعه عبد أسود يقال له: مِدْعم أهداه له أحد بني الضباب)، وفي رواية مسلم: (أهداه له رفاعة بن زيد أحد بني الضُبيب).

قال الواقدي: قدم علىٰ رسول الله رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي ثم الضُبيبي في هدنة الحديبية قبل خيبر في جماعة من قومه فأسلموا وعقد له رسول الله علىٰ قومه، وهو الذي أهدىٰ له عبدًا.

قوله: (إذ جاءه سهم عائر): كلمة (إذ) للمفاجأة، جواب قوله: (فبينما). والعائر الحائد عن قصده. وقيل: هو سهم لا يدري أين أتىٰ.

قوله: (لتشتعل عليه نارًا): يحتمل أن يكون اشتعال النار حقيقة بأن تصير الشملة بعينها نارًا فيعذب بها، ويحتمل أن يكون المراد: أنها سبب لعذاب النار. وكذا القول في الشراك(٩٨).

فوائد الحديث:

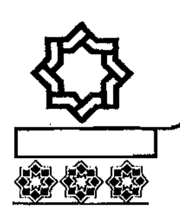
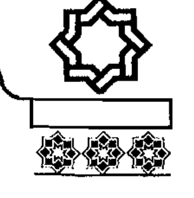
١- التحذير من الغلول، وأن تلك الشملة مع أنها حقيرة تشتعل عليه نارًا، وأنه يعذب بها؛ لأنه قد غلَّها وأخذها من غير حقها.

---

(٩٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٦/ ٨٦).

٢- التريث وعدم التسرع في الحكم علي الناس وإلجاء أمر بواطنهم إلي الله.

٣- معجزة من معجزات النبي ﷺ حيث أخبر عن أمر غيبي لا يعلمه إلا نبي.

حملته الريح من تبوك إلى جبل طيئ لمخالفته الأمر النبوي

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ فَأَتَيْنَا وَادِيَ الْقُرَى عَلَى حَدِيقَةٍ لِامْرَأَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْرُصُوهَا». فَخَرَصْنَاهَا وَخَرَصَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ وَقَالَ: «أَحْصِيهَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكِ إِنْ شَاءَ اللهُ». وَانْطَلَقْنَا حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ». فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ، وَجَاءَ رَسُولُ ابْنِ الْعَلْمَاءِ صَاحِبِ أَيْلَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِكِتَابٍ وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا وَادِيَ الْقُرَى فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَرْأَةَ عَنْ حَدِيقَتِهَا: «كَمْ بَلَغَ ثَمَرُهَا».

فَقَالَتْ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي مُسْرِعٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ». فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ». فَلَحِقَنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَيَّرَ دُورَ الْأَنْصَارِ فَجَعَلَنَا آخِرًا. فَأَدْرَكَ سَعْدٌ

رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ خَيَّرْتَ دُورَ الأَنْصَارِ فَجَعَلْتَنَا آخِرًا. فَقَالَ: «أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الخِيَارِ»(٩٩).

معاني الكلمات:

بجبلي طيئ؛ يعني: بالبادية، وبين تبوك وبين جبلي طيئ مسافة بعيدة.

الخرص: يقال: خرص النخلة والكرمة يخرصها خرصًا: إذا حزر وقدر ما عليها من الرطب تمرًا ومن العنب زبيبًا، فهو من الخرص: الظن؛ لأن الحزر إنما هو تقدير بظن.

الوسق: مكيال مقداره ستون صاعًا، والصاع أربعة أمداد، والمد مقدار ما يملأ الكفين.

البعير: ما صلح للركوب والحمل من الإبل.

البرد والبردة: الشملة المخططة، وقيل: كساء أسود مربع فيه صور.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بالمغيب وخوف الضرر من القيام وقت الريح، وفيه: ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته والرحمة لهم، والاعتناء بمصالحهم، وتحذيرهم ما يضرهم في دين أو دنيا.

ولقد أخبر رسول الله ﷺ أصحابه في تبوك بأن ريحًا شديدة ستهب،

---

(٩٩) أخرجه مسلم (٤٢٣٠).

وأمرهم بأن يحتاطوا لأنفسهم ودوابهم فلا يخرجوا حتىٰ لا تؤذيهم، وليربطوا دوابهم حتىٰ لا تؤذىٰ، وتحقق ما أخبر به رسول الله ﷺ، فهبت الريح الشديدة وحملت من قام فيها إلىٰ مكان بعيد(١٠٠).

وإنما أمرهم أن يربطوا دوابهم لئلا ينفلت منها شيء فيحتاج صاحبه إلىٰ القيام في طلبه فيلحقه ضرر الريح.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بالمغيب وخوف الضرر من القيام وقت الريح(١٠١).

فوائد الحديث:

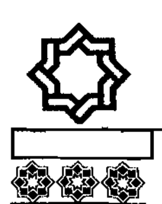
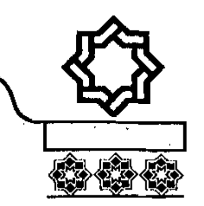
١- فيه هذه المعجزة الظاهرة من أخباره ﷺ بالمغيب وخوف الضرر من القيام وقت الريح.

٢- وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة علىٰ أمته والرحمة لهم والاعتناء بمصالحهم وتحذيرهم مما يضرهم في دين أو دنيا.

٣- شؤم مخالفة أمر النبي ﷺ.



(١٠٠) انظر: السيرة النبوية للصلابي (٢\٤٧٠).
(١٠١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٥/ ٤٢).

قال: كن أبا خيثمة فكان

لَمَّا سَارَ رَسولُ الله ﷺ إلى تبوكِ تَخَلَّفَ عنه بَعْضُ الصّحَابَةِ رضي الله عنهم بدُون شَكٍّ ولا ارتياب؛ مِنْهُم أبو خَيْثَمَةَ السَّالِمي، ثُمّ إنّ أَبَا خَيْثَمَةَ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ الله ﷺ أَيّامًا إلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارّ فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ لَهُمَا فِي حَائِطِهِ قَدْ رَشّتْ كُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا، وَبَرّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً وَهَيّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا. فَلَمّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ العَرِيشِ فَنَظَرَ إلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ فَقَالَ: رَسُولُ الله ﷺ فِي الضّحّ وَالرّيحِ وَالحَرّ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلّ بَارِدٍ، وَطَعَامٍ مُهَيّأٍ، وَامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ، فِي مَالِهِ مُقِيمٌ، مَا هَذَا بِالنّصَفِ، ثُمّ قَالَ: وَالله لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتّى أَلحَقَ بِرَسُولِ الله ﷺ فَهَيّئَا لِي زَادًا، فَفَعَلَتَا. ثُمّ قَدّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ، ثُمّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ الله ﷺ حَتّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ. وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيْثَمَةَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ الجُمَحِيّ فِي الطّرِيقِ يَطْلُبُ رَسُولَ الله ﷺ فَتَرَافَقَا، حَتّى إذَا دَنَوْا مِنْ تَبُوكَ، قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ لِعُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ: إنّ لِي ذَنْبًا، فَلَا عَلَيْك أَنْ تَخَلّفَ عَنّي حَتّى آتِيَ رَسُولَ الله ﷺ فَفَعَلَ، حَتّى إذَا دَنَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ، قَالَ النّاسُ: هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطّرِيقِ مُقْبِلٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله هُوَ وَالله أَبُو خَيْثَمَةَ. فَلَمّا أَنَاخَ أَقْبَلَ فَسَلّمَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوْلَى لَك يَا أَبَا خَيْثَمَةَ». ثُمّ أَخْبَرَ رَسُولَ الله ﷺ الخَبَرَ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا، وَاسمهُ مَالِكُ بْنُ قَيْسٍ(١٠٣):

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَافَقُوا
أَتَيْتُ الَّتِي كَانَتْ أَعَفَّ وَأَكْرَمَا
وَبَايَعْتُ بِالْيُمْنَىٰ يَدِي لِمُحَمَّدٍ
فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْمًا وَلَمْ أَغْشَ مُحْرَمَا
تَرَكْتُ خَضِيبًا فِي العَرِيشِ وَصِرْمَةً
صَفَايَا كِرَامًا بُسْرُهَا قَدْ تَحَمَّمَا
وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمُنَافِقُ اسمحْتُ
إِلَىٰ الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

معاني الكلمات:

حائطه: بستانه.

الضح: أي في الشمس.

ناضحة: جملة.

خضيبًا: مخضوبة، وهي المرأة.

صرمة: جماعة النخل.

صفايا: كثيرة الثمر.

تحممًا: أخذ في الارطاب فاسود.

---

(١٠٣) أخرجه مسلم (٤٩٧٣)، وانظر: الروض الأنف (٤/ ٢٩٥)، والبداية والنهاية (٥/ ٨).

اسمحت: انقادت.

المعنى الإجمالي:

تخلف أبو خيثمة أحد بني سالم عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، حتىٰ إذا سار رسول الله ﷺ رجع أبو خيثمة ذات يوم إلىٰ أهله.

والتخلف عن الغزو كبيرة، قال تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:١٢٠]، فاستخدم أقوىٰ أنواع التعبير في التحذير والنهي، فلا يصح، ولا يليق أن يتخلف أحد عن رسول الله ﷺ، ولا يرغب بنفسه عن نفس رسول الله ﷺ، فيذهب رسول الله ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم علىٰ الله في الحر والرمضاء والحرب، وهذا في الظل الظليل مع الأهل والبنين، وهذا هو الذي وقع فيه أبو خيثمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فعاد إلىٰ امرأتين له في عريشين له في حائطه -أي: في مزرعته- وقد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماءً، وهيأت له طعامًا، فالزوجة، والعريش، والماء البارد، والطعام، كلها في غاية المغريات المثبطات في زمانهم، فلما دخل قام علىٰ باب العريش ينظر، وهنا اشتعل حر الذنب، ثم قال: (رسولُ الله ﷺ في الضحي والريح والحر)، والضحي: حر الشمس.

قال الشاعر:

ضحوت لـه كـي أستظل بظلـه إذا
الظـل أضـحىٰ في القيامـة ناقـصًا

قال: (وأبو خيثمة في ظل، وماء بارد، وطعام مهيأ، وامرأة حسناء، ما هذا

بالنَّصَف!)؛ أي: ليس هذا من العدل والإنصاف، ولا يليق ذلك أبدًا، ولا يحق أن يكون الرسول ﷺ كذلك، وأن يتخلف عنه أبو خيثمة ويرغب بنفسه عن نفسه، ويتمتع ورسول الله ﷺ في تلك الحال، قال: (والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتىٰ ألحق برسول الله ﷺ، فهيئا لي زادًا، ففعلتا، ثم قدم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ، فأدركه حين نزل تبوك، فلما رآه الرسول ﷺ راكبًا من بعيد قال: «كن أبا خيثمة»، فذهبوا فإذا به هو، فقالوا: يا رسول الله! هو أبو خيثمة، فقال رسول الله ﷺ: «أولىٰ لك أبا خيثمة»، ثم أخبره الخبر؛ فدعا له رسول الله ﷺ.

ولو أن أبا خيثمة خرج أول الأمر مع رسول الله ﷺ ما كان ليقع في قلبه من الإيمان والأثر والخوف من الله ﷻ، والحرص علىٰ الجهاد، والرغبة فيه مثل ما وقع بعدما غلبه الضعف البشري، وتراخىٰ وضعف، ثم ذهب الناس، وذهب هو وحده، وتصور راكبًا يذهب وحده في هذه البراري، وهو مستشعر للذنب في شدة الحر، وكل أمله أن يلحق برسول الله ﷺ، كيف يكون همه وحاله وشعوره في هذه الحالة؟! إذًا قام بقلبه من حقائق الإيمان، والتوبة والندم، والاستغفار، والحياء من الله تبارك وتعالىٰ، ومحبة رسول الله ﷺ، ومحبة اللحاق به أمور عظيمة جدًّا، فكان في هذا الذنب، وهذا التأخر، والتخلف خير له، وفعلًا: رب معصية أورثت ذلًا وانكسارًا، خير من طاعة أورثت عزًّا واستكبارًا.

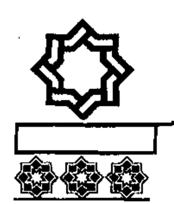
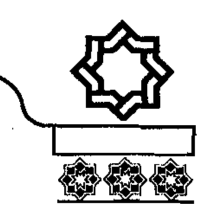
فوائد الحديث:

١- المسلم صاحب ضمير حي

٢- معرفة الرسول بأصحابه وبمعادنهم.

٣- حزم أبي خيثمة وصبره ونفاذ عزيمته.

٤-عتاب القائد للجندي له أثره

إخباره ﷺ عن ظهور الأنماط

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْمَاطٍ؟» قُلْتُ: وَأَنَّى يَكُونُ لَنَا الأَنْمَاطُ؟ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ لَكُمُ الأَنْمَاطُ»، فَأَنَا أَقُولُ لَهَا -يَعْنِي امْرَأَتَهُ-: أَخِّرِي عَنِّي أَنْمَاطَكِ، فَتَقُولُ: أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمُ الأَنْمَاطُ، فَأَدَعُهَا»(١٠٣).

معاني الكلمات:

الأنماط: جمع نمط، وهو نوع من البسط رقيق كالقطيفة.

هل لكم من أنماط: قال ذلك ﷺ لجابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين تزوج.

أنىٰ: من أين.

فأدعها: أتركها علىٰ حالها مفروشة.

المعنى الإجمالي:

قوله ﷺ لجابر حين تزوج (اتخذت أنماطًا، قال: وأنىٰ لنا! قال: أما انها ستكون): الأنماط بفتح الهمزة جمع نَمَط وهو ظهارة الفراش، وقيل: ظهر الفراش، ويطلق أيضًا علىٰ بساط لطيف له خمل يجعل علىٰ الهودج، وقد

---

(١٠٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٩)، ومسلم (٣٨٨٤).

يجعل سترًا، ومنه حديث عائشة الذي ذكره مسلم في باب الصور، قالت: (فأخذت نمطًا فسترته علىٰ الباب)، والمراد في حديث جابر هو النوع الأول.

قوله عن جابر: (قال: وعند امرأتىٰ نمط، فأنا أقول: نحيه عنىٰ، وتقول: قد قال رسول الله ﷺ: إنها ستكون): قوله: (نحيه عنىٰ)؛ أىٰ: أخرجيه من بيتىٰ، كأنه كرهه كراهة تنزيه؛ لأنه من زينة الدنيا وملهياتها والله أعلم(١٠٤).

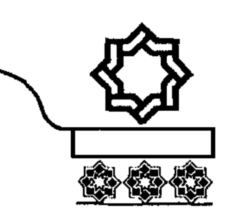
فوائد الحديث:

١- جواز اتخاذ الأنماط اذا لم تكن من حرير.

٢- معجزة ظاهرة بإخباره بها وكانت كما أخبر.



(١٠٤) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم(١٤/ ٥٨).



إشارته إلى قصر خلافة الصديق وطول خلافة الفاروق

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ الله، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَالله يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنْ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ»(١٠٥).

معاني الكلمات:

ابن أبي قحافة: هو أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الذنوب: الدلو العظيمة، وقيل: لا تسمىٰ كذلك إلا إذا كان فيها ماء.

العطن: الضرب بعطن إذا رويت الإبل، ثم بركت حول الماء، والمراد: اتساع الأمصار.

الغرب: الدلو العظيمة التي تتخذ من جلد الثور.

الدلو: إناء يُستقىٰ به من البئر ونحوه.

استحال: تحول وصار.

---

(١٠٥) أخرجه البخاري (٣٣٩١)، ومسلم (٤٤٠٥).

القليب: البئر التي لم تبن جوانبها بالحجارة ونحوها.

نزع: استقىٰ بالدلو.

عَبْقَرِيُّ القوم: سَيِّدُهُم وكَبِيرُهُم وقَوِيُّهم، والعبقري: الرجل القوي الفطن، حاد الذكاء، ذو الصفات الحميدة.

ضرب الناس بعطن: شربت إبلهم وشبعت حتىٰ نامت مكانها، وبركت لتعود للشرب مرة أخرىٰ.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث دلالة واضحة علىٰ فضل الصديق رضي الله عنه، حيث أخبر النبي ﷺ بما سيقع في المستقبل بعد التحاقه بالرفيق الأعلىٰ، وأن المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره رضي الله عنه، وفي الحديث إشارة أنه سيحصل نزاع، ووقع كل ذلك كما أخبر عليه الصلاة والسلام، ثم اجتمعوا علىٰ أبي بكر رضي الله عنه.

قال ابن عثيمين رحمه الله: قوله: «وفي نزعه ضعف»: ذكر العلماء رحمهم الله أن أبا بكر رضي الله عنه كان في نزعه ضعف؛ لأن مدته لم تطل، فلم يحصل في خلافته ما حصل في خلافة عمر رضي الله عنه، أما عمر فإن خلافته طالت وحصل فيها من الفتوحات الشيء الكثير؛ ولهذا قال: «استحالت غربًا»؛ أي: تحولت إلىٰ غرب وهي في الأول دلو، والدلو صغير بالنسبة للغرب، فالدلو يمكن للواحد أن يقوم بنزعه، لكن الغرب لا يقوم بنزعه إلا رجلان فأكثر، وتنزعه الإبل والبقر.

قوله: «فلم أر عبقريًّا من الناس يفري فريه»؛ أي: مثله في النزع وقوته فيه

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

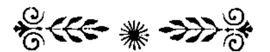
وفي قوله ﷺ لأبي بكر: «فغفر الله له»، وفي لفظ: «والله يغفر له»: دليل علىٰ أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يضره هذا الضعف؛ لأن النبي ﷺ دعا له بالمغفرة (١٠٦).

فوائد الحديث:

١- أن رؤيا الأنبياء وحيٌ.

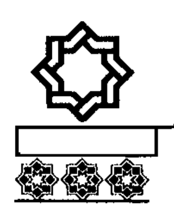
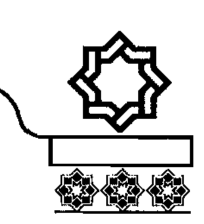
٢- هذه الرؤيا فيها إشارةٌ إلىٰ خلافة أبي بكر وقِصَرها، وإلىٰ خلافة عمر مِن بعده، وطولها وكثرة نفعها.

٣- معجزة وكرامة للنبي ﷺ حيث حدث ما أخبر عنه.



---

(١٠٦) شرح صحيح البخاري لابن عثيمين(٩/ ٤٥٨).

إخباره ﷺ عن فتح مصر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا». أَوْ قَالَ: «ذِمَّةً وَصِهْرًا، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا». قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَخَرَجْتُ مِنْهَا(١٠٧).

معاني الكلمات:

القيراط: جزء من أجزاء الدينار.

ذمة: حرمة وحق، وهي هنا بمعنى الذمام؛ أي: العَهْد والأمَانِ.

الرَّحِمُ: الَّتي لَهُمْ كَوْنُ هَاجَرَ أُمِّ اسماعِيلَ ﷺ مِنْهُمْ، وَالصِّهْرُ: كَوْن مَارية أُمِّ إبْراهيمَ ابن رَسُول الله ﷺ مِنْهُمْ.

اللبنة: الطوب المصنوع من الطين.

المعنى الاجمالي:

هذا الحديث من المعجزات الظاهرة للنبي ﷺ حيث أخبر الصحابة بأنهم

---

(١٠٧) أخرجه مسلم (٤٦١٤، ٤٦١٥).

سيفتحون مصر، وأوصىٰ بأهلها خيرًا، وقال: «**إن لهم رحمًا وصهرًا**»، وذلك أن هاجر أم إسماعيل سرية إبراهيم الخليل ﷺ كانت من مصر، ولهذا قال: «**إن لهم ذمة ورحمًا**»؛ لأنهم أخوال إسماعيل، وإسماعيل هو أبو العرب المستعربة كلها.

فدل ذلك علىٰ أن الرحم لها صلة ولو كانت بعيدة. ما دمت تعرف أن هؤلاء من قبيلتك فلهم الصلة ولو كانوا بعداء.

ودل أيضًا علىٰ أن صلة القرابة من جهة الأم كصلة القرابة من جهة الأب(١٠٨).

وتحقق ذلك زمنَ خلفائه الراشدين، فكان أبو ذر رضي الله عنه ممن فتح مصر وسكنها، يقول رضي الله عنه: فرأيت عبدَ الرحمنِ بنَ شرحبيلَ بنِ حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لَبِنة، فخرجت منها.

قال النووي: وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، منها إخباره بأن الأمةَ تكون لهم قوة وشوكة بعده، بحيث يقهرون العجم والجبابرة، ومنها أنهم يفتحون مِصر، ومنها تنازع الرجلين في موضع اللَبِنة، ووقع كلُ ذلك ولله الحمد.

فوائد الحديث:

١- فيه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ ؛ منها اخباره بأن الامة تكون لهم

(١٠٨) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٣٨٣).

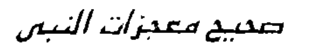
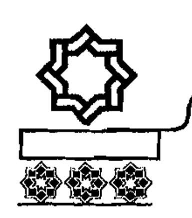
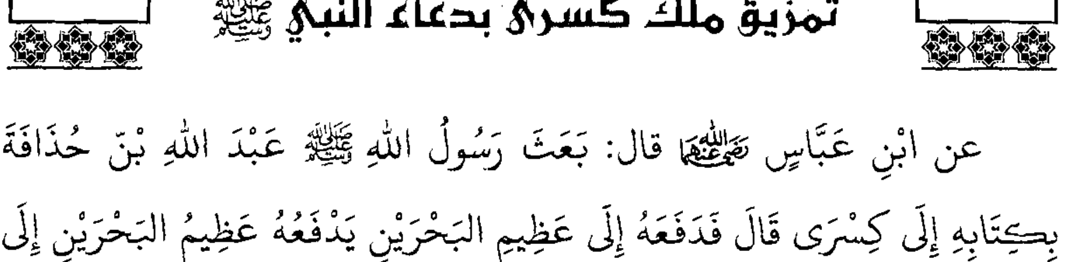
قوة وشوكة بعده بحيث يقهرون العجم والجبابرة.

٢- ومنها أنهم يفتحون مصر.

٣- ومنها تنازع الرجلين في موضع اللبنة، ووقع كل ذلك ولله الحمد.

❊ ❊ ❊



تمزيق ملك كسرى بدعاء النبي ﷺ

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى قَالَ فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ يَدْفَعُهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى قَالَ يَعْقُوبُ فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَحَسِبْتُ ابْنَ المُسَيَّبِ قَالَ فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ(١٠٩).

معاني الكلمات:

رجلا: هو عبد الله بن حذافة السهمي.

يدفعه: يعطيه.

عظيم البحرين: أميرها.

كسرىٰ: لقب ملك الفرس.

كل ممزق: غاية التمزيق ومنتهاه وهو هنا التفريق والتشتيت.

المعنى الإجمالي:

أرسل النبي ﷺ بكتاب إلىٰ كسرىٰ ملك الإمبراطورية الفارسية، مع عبد

---

(١٠٩) أخرجه البخاري (٦٢).

الله بن حذافة السهمي، (أمره أن يدفعه إلىٰ عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلىٰ كسرىٰ، فلما قرأه مزقه، فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمَّزقوا كل ممزق)، ونص الرسالة كما أورده الطبري كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلىٰ كسرىٰ عظيم فارس، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلىٰ الناس كافة، لينذر من كان حيًّا، أسلِمْ تسلَمْ، فإن أبيت عليك إثم المجوس» (١١٠).

وقد تحقق ما أنبأ به رسول الله بكل دقة، فقد استولىٰ علىٰ عرشه ابنه (قباذ) الملقب بـ (شرويه) وقتل كسرىٰ ذليلا مهانًا بإيعاز منه سنة ٦٢٨م، وقد تمزق ملكه بعد وفاته، وأصبح لعبة في أيدي أبناء الأسرة الحاكمة، فلم يعش (شرويه) إلا ستة أشهر، وتوالىٰ علىٰ عرشه مدة أربع سنوات عشرة ملوك، واضطرب حبل الدولة إلىٰ أن اجتمع الناس علىٰ (يزدجرد) وهو آخر ملوك بني ساسان، وهو الذي واجه الزحف الإسلامي الذي أدىٰ إلىٰ انقراض الدولة الساسانية التي دامت وازدهرت أكثر من أربعة قرون انقراضًا كليًّا، وكان ذلك في سنة ٦٣٧م، وهكذا تحققت هذه النبوءة في ظرف ثماني سنين (١١١).

(١١٠)انظر: السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٣٤٦).
(١١١)المصدر السابق (٢/ ٣٥٠).

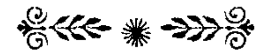
فوائد الحديث:

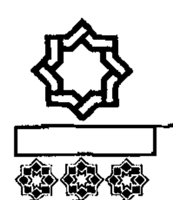
١- جواز الكتابة بالعلم إلى البلدان.

٢- جواز الدعاء على الكفار إذا أساءوا الأدب وأهانوا الدين.

٣- حجية خبر الواحد.

٤- معجزة للنبي ﷺ حيث تحقق ما قال، فقد مزق الله ملكهم ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك.





إخباره ﷺ بفتح الحيرة وبلاد كسرى

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلَادَ، «وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ! قَالَ: «كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ»، قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ

طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسم ﷺ: يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ» (١١٢).

معاني الكلمات:

الفاقة: الفقر.

الحيرة: بلد معروف قديمًا مجاور للكوفة.

الظعينة: هو في الأصل اسم الهوج، ثم قيل للمرأة في الهودج، وقد تقال للمرأة مطلقًا.

دُعار: جمع داعر، وهو الخبيث المفسد الفاسق، والمراد بهم قطاع الطرق.

سعروا البلاد: أشعلوا فيها نار الفتنة وأفسدوها.

المعنى الإجمالي:

يخبر النبي ﷺ عدي بن حاتم رضي الله عنه بعدة أمور هي بمثابة المبشرات:

أولها: ارتحال الظعينة -المرأة في الهودج- من الحيرة حتىٰ تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله.

الثانية: فتح الله علىٰ المسلمين كنوز كسرىٰ، وأنه سيكون ممن يفتح الله علىٰ يديه.

الثالثة: كثرة المال ووفرته حتىٰ أن الرجل ليملأ كفه من ذهب أو فضة

---

(١١٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٨).

يطلب محتاجًا له فلا يجد.

ويبدو أن عديًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ استعظم الأمر، فقال في نفسه عند البشارة الأولىٰ: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلَادَ؛ أي: قطاع الطرق الذين ملئوا البلاد فتنة وسلبوا الناس أمنهم.

وقال عند البشارة الثانية مستعظمًا لها: كِسْرَىٰ بْنِ هُرْمُزَ!، ولكنه يعلم يقينًا صدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلامه وأنه ستتحقق بشارته، ولكن ليس الخبر كالمعاينة، لذلك قال في آخر الحديث: فلقد رأيت المرأة تخرج من القادسية علىٰ بعيرها لا تخاف شيئًا حتىٰ تبلغ هذا البيت، وكان عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يدرك تحقق النبوءة الثانية وهي فيضان المال، ولكنه كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحلف بالله لتكونن(١١٣).

وبالفعل كانت بعد عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز حيث فاض المال في عهده حتىٰ لم يوجد من يأخذ الصدقة؛ عن عمر بن أسيد قال: والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتىٰ جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون، فما يبرح حتىٰ يرجع بماله كله، قد أغنىٰ عمر الناس(١١٤).

إن ما بشر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ظهور الأمن حتىٰ رأي عدي بن حاتم راوي الحديث صدق بشارته، ورأىٰ المرأة من العراق حاجة تؤم مكة تقطع

---

(١١٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٣ / ١٦٤).

(١١٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٥ / ١٣١).

الصحارىٰ والقفار الموحشة وحيدة لا تخاف حتىٰ تصل البيت، إنما كان ذلك الأمن المطمئن حين أقيمت شعائر الدين في دولة الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، وما ذلك إلا لظهور دولة الإسلام المقيمة لدين الله، فكان الأمن الذي لا يعرفه العالم اليوم ولا يشهد له مثيلًا(١١٥).

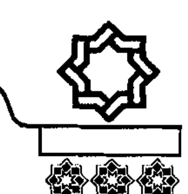
فوائد الحديث:

١- ثلاث نبوءات لا يمكن لغير مؤمنٍ أن يُصدق بوقوعها في ذلك الزمان وفي مثلِ تلك الظروف، لكنها دلائل النبوة وأخبار الوحي الذي لا يكذب.

٢- تطبيق شرائع الإسلام كفيلة بتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع، بل للدنيا بأسرها.

❊ ❊ ❊

(١١٥) عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين لأحمد بن حمدان الشهري (١/ ١٩٦).



إخباره ﷺ عن غزو القسطنطينية

عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ: أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ أَتَى عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَهُوَ نَازِلٌ فِي سَاحَةِ حِمْصَ، وَهُوَ فِي بِنَاءٍ لَهُ وَمَعَهُ أُمُّ حَرَامٍ، قَالَ عُمَيْرٌ: فَحَدَّثَتْنَا أُمُّ حَرَامٍ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا»، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: «أَنْتِ فِيهِمْ»، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ»، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لَا»(١١٦).

معاني الكلمات:

أوجبوا: لأنفسهم دخول الجنة بجهادهم في سبيل الله تعالىٰ.

مدينة قيصر: ملك الروم يعني القسطنطينية.

المعنى الإجمالي:

قوله: (أول جيش من أمتي يغزون البحر): أراد به جيش معاوية، وقال المهلب: معاوية أول من غزا البحر، وقال ابن جرير: قال بعضهم: كان ذلك في سنة سبع وعشرين، وهي غزوة قبرص في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقال

---

(١١٦) أخرجه البخاري (٢٧٠٧).

الواقدي: كان ذلك في سنة ثمان وعشرين، وقال أبو معشر: غزاها في سنة ثلاث وثلاثين، وكانت أم حرام معهم، وقال ابن الجوزي في (جامع المسانيد): أنها غزت مع عبادة بن الصامت فوقصتها بغلة لها شهباء فوقعت فماتت، وقال هشام بن عمار: رأيت قبرها ووقفت عليه بالساحل بفاقيس.

قوله: (قد أوجبوا): قال بعضهم؛ أي: وجبت لهم الجنة. قلت: هذا الكلام لا يقتضي هذا المعنىٰ، وإنما معناه: أوجبوا استحقاق الجنة.

قوله: (أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر) أراد بها القسطنطينية كما ذكرناه، وذكر أن يزيد بن معاوية غزا بلاد الروم حتىٰ بلغ قسنطينية ومعه جماعة من سادات الصحابة منهم ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري، وكانت وفاة أبي أيوب الأنصاري هناك قريبًا من سور القسطنطينية، وقبره هناك تستسقي به الروم إذا قحطوا. وقال صاحب (المرآة): والأصح أن يزيد بن معاوية غزا القسطنطينية في سنة اثنتين وخمسين، وقيل: سيَّر معاوية جيشًا كثيفًا مع سفيان بن عوف إلىٰ القسطنطينية فأوغلوا في بلاد الروم، وكان في ذلك الجيش ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري، وتوفي أبو أيوب في مدة الحصار.

قلت: الأظهر أن هؤلاء السادات من الصحابة كانوا مع سفيان هذا، ولم يكونوا مع يزيد بن معاوية؛ لأنه لم يكن أهلا أن يكون هؤلاء السادات في خدمته. وقال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية؛ لأنه أول من غزا البحر، ومنقبة لولده يزيد؛ لأنه أول من غزا مدينة قيصر. انتهىٰ.

قلت: أي منقبة كانت ليزيد وحاله مشهور؟! فإن قلت: قال في حق هذا الجيش: مغفور لهم.

قلت: لا يلزم من دخوله في ذلك العموم أن لا يخرج بدليل خاص، إذ لا يختلف أهل العلم أن قوله: (مغفور لهم) مشروط بأن يكونوا من أهل المغفرة، حتىٰ لو ارتد واحد ممن غزاها بعد ذلك لم يدخل في ذلك العموم، فدل علىٰ أن المراد مغفور لمن وجد شرط المغفرة فيه منهم.

و(قيصر) لقب هرقل ملك الروم، كما أن كسرىٰ لقب من ملك الفرس، وخاقان من ملك الترك، والنجاشي من ملك الحبشة [١١٧].

فوائد الحديث:

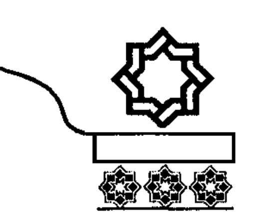
١- جواز ركوب البحر.

٢- فضل شهيد البحر.

٣- علم من أعلام النبوة وهو الإخبار بما سيقع فوقع كما قال.

❊❊❊

(١١٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١/ ٤٤٢).



إخباره ﷺ بفتح فارس والروم وقتال المسلمين بعضهم بعضًا

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ المُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»(١١٨).

معاني الكلمات:

تتنافسون؛ المنافسة على الشيء: المغالبة عليه، والانفراد به.

تتدابرون، التدابر: كناية عن الاختلاف والافتراق، وأصله: أن يولي كل واحد ظهره لأخيه، فإذا أعطاه ظهره فقد فارقه وخالفه، وبضده: إذا أقبل عليه وأعطاه وجهه.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ أصحابه ما يكون لأمته من الفتح والنصر والتمكين، وكذلك ما يكون فيها من الفتن، والمصائب والرزايا العظيمة.

---

(١١٨) أخرجه مسلم (٥٢٦٢).

وفي الحديث السابق ذكر النبي ﷺ من الفتوح العظيمة التي تكون في أمته من بعده، فذكر فتح بلدان بأسمائها كفارس والروم، وقد وقع هذا كما حدَّث به النبي ﷺ

وللأسف فقد حدث ما أخبر به الرسول ﷺ من الفتن، والمصائب، وقتل المهاجرين والأنصار بعضهم بعضًا في الجمل وصفين!!

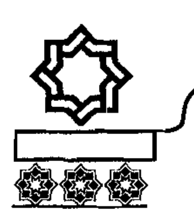
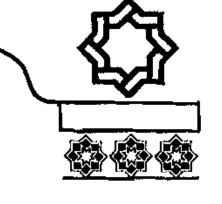
وبقيت أحداث كثيرة، وفتن أخرىٰ ولا شك أن كلها واقعة علىٰ النحو الذي حدث به رسول الله تمامًا.

فوائد الحديث:

١- خطورة التنافس علي الدنيا، وأنها بداية للأحقاد والحسد والفرقة بين المسلمين.

٢- معجزة لرسول الله ﷺ حيث حدث ما قال، فقد فتحت الفرس والروم، وظهر التباغض والتقاتل في نهاية عصر عثمان رضي الله عنه.



إخباره ﷺ أن الفتن تحدث بعد موت عمر

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الفِتْنَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ، قَالَ: هَاتِ، إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ المُنْكَرِ»، قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ، وَلَكِنْ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: يُفْتَحُ البَابُ أَوْ يُكْسَرُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ. قُلْنَا: عَلِمَ عُمَرُ البَابَ، قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: مَنْ البَابُ؟ قَالَ: عُمَرُ(١١٩).

معاني الكلمات:

الفتنة: الابتلاء والاختبار.

الأغاليط: جمع الأغلوطة، وهي: ما يغالط به من المسائل، والكلام الذي يغلط فيه ويغالط به.

---

(١١٩) أخرجه البخاري (٣٣٢١).

المعنى الإجمالي:

تحققت بقيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أعظم الانتصارات علىٰ الفرس في معارك الفتوح، فكانت القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند، وتمّ فتح بلاد الشام ومصر من سيطرة الروم البيزنطيين، ودخل الإسلام في معظم البلاد المحيطة بالجزيرة العربية، وكانت خلافته سدًّا منيعًا أمام الفتن، وكان عمر نفسه بابًا مغلقًا لا يقدر أصحاب الفتن الدخول إلىٰ المسلمين في حياته، ولا تقدر الفتن أن تطل برأسها في عهده.

وفي الحديث قدّم حذيفة العلم لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بأن الباب المنيع هو الذي يمنع تدفق الفتن علىٰ المسلمين، ويحجزُها عنهم، إنَّ هذا سيُكسر كسرًا، وسيتحطم تحطيمًا، وهذا معناه أنه لن يغلق بعد هذا حتىٰ قيام الساعة، وهذا ما فهمه عمر، أي أن الفتن ستبقىٰ منتشرة ذائعة بين المسلمين، ولن يتمكَّنوا من إزالتها أو توقُّفها أو القضاء عليها، وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يقرر هذا من عنده، ولا يتوقعه توقعًا، فهو لا يعلم الغيب وإنما سمع هذا من رسول الله ﷺ ووعاه وحفظه كما سمعه، ثم إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعلم هذه الحقيقة التي أخبره بها حذيفة، فهو يعلم أن خلافته باب منيع يمنع تدفق الفتن علىٰ المسلمين، وأن الفتن لن تغزو المسلمين أثناء خلافته وعهده وحياته، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعلم من رسول الله ﷺ، أنه سيقتل قتلًا، وسيلقىٰ الله شهيدًا [١٢٠].

(١٢٠) عمر بن الخطاب للصلابي (٢/ ١١٦).

فهذا الحديث من معجزات النبي ﷺ لأنه اشتمل علىٰ الإخبار بالمغيبات.

فوائد الحديث:

١- ضرب الأمثال في العلم والحجة لسد الذرائع.

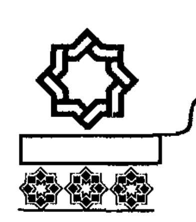
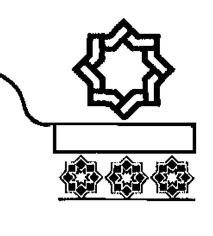
٢- قد يكون عند الصغير من العلم ما ليس عند العالم المبرز.

٣- أن العالم قد يرمز به رمزًا ليفهم المرموز له دون غيره؛ لأنه ليس كل العلم تحت إباحته إلىٰ من ليس بمتفهم له ولا عالم بمعناه.

٤- أن الكلام في الجريان مباح إذا كان فيه أثر عن النبوة وما سوىٰ ذلك ممنوع؛ لأنه لا يصدق منه إلا أقل من عشر العشر.





إخباره ﷺ أن بعض الناس يخرجون من المدينة لفقرها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(١٢١).

وفي رواية: عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى، يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(١٢٢).

معاني الكلمات:

أمرت بقرية: أمرت بالهجرة إليها والنزول فيها وسكناها.

تأكل القرىٰ: يغلب أهلها أهل سائر البلاد، وتكون مركز جيوش الإسلام تنطلق منها كتائب الفتوح وتجلب إليها الغنائم والأرزاق. يقولون: يثرب،

---

(١٢١) أخرجه مسلم (٢٤٥١).
(١٢٢) أخرجه البخاري (١٧٧٣).

يسميها المنافقون: يثرب، واللائق بها أن تسمىٰ المدينة، ويثرب اسمها في الجاهلية من التثريب وهو الملامة والتوبيخ ولذلك كرهه ﷺ

تنفي الناس: تخرج الأشرار من بينهم.

الكير: ما ينفخ به الحداد في النار.

خبث الحديد: وسخه وشوائبه.

المعنى الإجمالي:

قوله: «أمرت بقرية»؛ أي: أمرت بالهجرة إليها والنزول بها، فإن كان قال ذلك بمكة فهو بالهجرة إليها، وإن كان قاله بالمدينة فبسكناها.

قوله: «تأكل القرىٰ»؛ أي: يغلب أهلها سائر البلاد، وهو كناية عن الغلبة؛ لأن الآكل غالب علىٰ المأكول، وقال النووي: معنىٰ الأكل: أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر، فمنها فتحت البلاد فغنمت أموالها، أو أن أكلها يكون من القرىٰ المفتتحة وإليها تساق غنائمها، ووقع في (موطأ ابن وهب) قلت لمالك: ما تأكل القرىٰ؟ قال: تفتح القرىٰ، وقيل: يحتمل أن يكون المراد بأكلها القرىٰ: غلبة فضلها علىٰ فضل غيرها، فمعناه: أن الفضائل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتىٰ يكاد تكون عدمًا، وقد سميت مكة أم القرىٰ، قيل: المذكور للمدينة أبلغ منه. انتهىٰ.

قلت: الذي يظهر من كلامه أنه ممن يرجح المدينة علىٰ مكة.

قوله: «يقولون يثرب»: أراد أن بعض المنافقين يقولون للمدينة: يثرب؛

يعني: يسمونها بهذا الاسم، واسمها الذي يليق بها: المدينة، وقد كره بعضهم من هذا تسمية المدينة: يثرب، وقالوا ما وقع في القرآن إنما هو حكاية عن قول غير المؤمنين، وروىٰ عمر بن شبة من حديث أبي أيوب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهىٰ أن يقال للمدينة: يثرب؛ ولهذا قال عيسىٰ بن دينار من المالكية: من سمىٰ المدينة يثرب كتبت عليه خطيئة، قالوا: وسبب هذه الكراهة؛ لأن يثرب من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، أو من الثرب وهو الفساد، وكلاهما مستقبح، وكان يحب الاسم الحسن، ويكره الاسم القبيح.

قوله: (تنفي الناس): قال أبو عمر: أي تنفي شرار الناس، ألا يرىٰ أنه مثل ذلك، وشبهه بما يصنع الكير في الحديد، والكير إنما ينفي رديء الحديد وخبثه، ولا ينفي جيده. قال: وهذا عندي -والله أعلم- إنما كان في حياته، فحينئذ لم يكن يخرج من المدينة رغبة عن جواره فيها إلا من لا خير فيه، وأما بعد وفاته فقد خرج منها الخيار والفضلاء والأبرار، وقال عياض: وكان هذا يختص بزمنه؛ لأنه لم يكن يصبر علىٰ الهجرة والمقام معه بها إلا من ثبت إيمانه، وقال النووي: وليس هذا بظاهر؛ لأن عند مسلم: «لا تقوم الساعة حتىٰ تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد»، وهذا -والله أعلم- زمن الدجال.

قوله: (كما ينفي الكير): الكير هو دار الحديد والصائغ، وليس الجلد الذي تسميه العامة كيرًا، كذا قال أهل اللغة.

والمراد: أنها لا ينزل فيها من في قلبه دغل، بل يميزه عن القلوب الصادقة

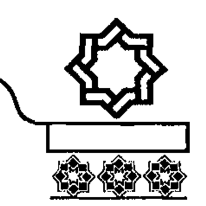
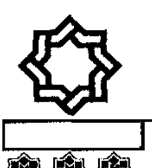
ويخرجه كما يميز الحداد رديء الحديد من جيده، ونسب التمييز للكير؛ لكونه السبب الأكبر في إشعال النار التي يقع بها التمييز[١٢٣].

فوائد الحديث:

١- بيان فضل المدينة على غيرها.

٢- الحث على تقوية الإيمان وتنقية القلوب.

(١٢٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٧٩).

عثمان تصيبه البلوى

عن أبي مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقُلْتُ: لَأَلزَمَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَلَأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ المَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَاهُنَا، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي البِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، فَقُلْتُ: لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ اليَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ فِي القُفِّ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدْ الله بِفُلَانٍ خَيْرًا -يُرِيدُ أَخَاهُ- يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»، فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدْ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ»، فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِئَ فَجَلَسَ وِجَاهَهُ مِنْ الشَّقِّ الآخَرِ.

قَالَ شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ (١٢٤).

معاني الكلمات:

إثره: عقبه.

أريس: هو بستان في المدينة قريب من قباء.

قفها: حافتها.

علىٰ رسلك: تمهل ولا تعجل.

أخي: كان لأبي موسىٰ رضي الله عنه أخوان هما أبو رهم وأبو بردة رضي الله عنهما.

بلوىٰ: بلية وهي التي صار بها شهيد الدار.

المعنى الإجمالي:

إن أول الفتن التي ابتلي بها الصحابة رضي الله عنهم خروج المنافقين علىٰ عثمان

(١٢٤) أخرجه البخاري (٣٣٩٨)، ومسلم (٤٤١٧).

ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وطلبهم نزعه من الخلافة ثم قتلُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أخبر النبي ﷺ عثمان ببعض معالم هذه الفتنة.

لقد أنبأه رسول الله ﷺ أنه يموت شهيدًا، وها هو ينبئه عن خلافته، وأن ثمةَ من يريد خلعَه من هذه الخلافة، فطلب منه النبي ﷺ عدم موافقتهم عليه، وكل ذلك من أخبار الغيب الصادقة الدالة علىٰ نبوته ﷺ.

قال المباركفوري: يعني إن قصدوا عزلك عن الخلافة، فلا تعزل نفسك عنها لأجلهم؛ لكونك علىٰ الحقّ، وكونهم علىٰ الباطل، ولهذا الحديث فإن عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يعزل نفسَهُ حين حاصرُوهُ يوم الدّار.

فوائد الحديث:

١- أن الإنسان ينبغي إذا خرج من بيته أن يكون متوضئًا لأجل أن يكون مستعدًّا للصلاة وهو خارج البيت.

٢- بشارة لأبي بكر وعمر وعثمان.

٣- جواز الثناء علىٰ الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب.

٤- معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، وهي إخباره عن الغيب قبل وقوعه في البلوىٰ التي أصابت عثمان.

٥- أن الإنسان إذا أخبر عن مواجهة شيء شديد يقول: الله المستعان، وهي كلمة تقال عندما يخبر الإنسان أنه يواجه أمرًا شديدًا، فيقول: الله المستعان؛ أي: الله الذي أستعين به وأطلب منه العون علىٰ مواجهة ما سيصيبني.

٦- بشارة الشخص بالخبر السار، فإذا حصل لإنسان خبر سار، فمن السنة أن تبشره بذلك، كما فعل النبي ﷺ، وأمر أبا موسىٰ أن يبشر هؤلاء الثلاثة.

٧- محبة الإنسان الخير لأخيه، فإن أبا موسىٰ لما رأىٰ التبشير بالجنة تمنىٰ أن أخاه يأتي الآن ليبشر مع هؤلاء.

٨- حماية أهل العلم والفضل، وحراستهم والمحافظة عليهم، ولذلك فإن أبا موسىٰ الأشعري رضي الله عنه تقرب إلىٰ الله، خرج من بيته ناويًا العبادة يتقرب بها إلىٰ الله، وهي أن يلزم النبي ﷺ ويكون معه ويحرسه ويخدمه، وهذا من فضله رضي الله عنه، وأبو موسىٰ الأشعري صاحب الصوت الحسن بالقرآن.

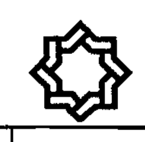
٩- حمد الله علىٰ النعمة، فإنه في الحديث لما بُشِّر أبو بكر الصديق وعمر حمد الله حتىٰ جلس، يحمد الله ليس مرة، بل كرر الحمد حتىٰ جلس بجانب النبي ﷺ.

١٠- اجتماع الأخيار معًا، وأن الله إذا بعث نبيًّا جعل له بطانة خير تأمره بالخير وتعينه علىٰ الخير.

١١- فراسة سعيد بن المسيب الذي ربط بين الحديث وبين القبور، وهذا ربما لا يخطر ببال أي شخص، لكن الذي رزقه الله بصيرة يربط بين الأحاديث وبين الواقع، فانظر كيف ربط سعيد بن المسيب بين الحديث وبين الواقع، خطر بباله الحديث وأول هذه القصة بالقبور الموجودة.

❊ ❊ ❊




إخباره ﷺ عبد الله بن سلام أنه سيموت على الإسلام فمات عليه

عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الخُشُوعِ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا، ثُمَّ خَرَجَ وَتَبِعْتُهُ فَقُلْتُ: إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ المَسْجِدَ، قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، قَالَ: وَاللهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ، رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَخُضْرَتِهَا، وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ أَسْفَلُهُ فِي الأَرْضِ وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ فَقِيلَ لِي: ارْقَ، قُلْتُ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَأَتَانِي مِنْصَفٌ فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي؛ فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَاهَا، فَأَخَذْتُ بِالعُرْوَةِ، فَقِيلَ لَهُ: اسْتَمْسِكْ، فَاسْتَيْقَظْتُ، وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تِلْكَ الرَّوْضَةُ الإِسْلَامُ، وَذَلِكَ العَمُودُ عَمُودُ الإِسْلَامِ، وَتِلْكَ العُرْوَةُ عُرْوَةُ الوُثْقَى، فَأَنْتَ عَلَى الإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ»، وَذَاكَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ.

وقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ، عَنْ ابْنِ سَلَامٍ قَالَ: وَصِيفٌ مَكَانَ مِنْصَفٌ(١٢٥).

---

(١٢٥) أخرجه البخاري (٣٥٢٩).

معاني الكلمات:

عروة: ما يستمسك به كالحلقة.

ارق: ارتفع واعل.

منصف: هو الخادم.

وإنها لفي يدي: أي العروة.

عروة الوثقىٰ: الإيمان والإسلام.

المعنى الإجمالي:

قوله: (كنت جالسًا في مسجد المدينة)، وفي رواية مسلم قال: (كنت بالمدينة في ناس فيهم بعض أصحاب النبيﷺ، فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع).

قوله: (تجوز فيهما)؛ أي: خفف وتكلف الجواز فيهما. قوله: (ثم خرج وتبعته)، وفي رواية مسلم: (فأتبعته فدخل منزله ودخلت فتحدثنا، فلما استأنس، قلت له: إنك لما دخلت، قال رجل: كذا وكذا).

قوله: (قال: والله لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم)، وفي رواية مسلم قال: (سبحان الله، ما ينبغي لأحد): وهذا إنكار من عبد الله بن سلام، حيث قطعوا له بالجنة، فيحتمل أن هؤلاء بلغهم خبر سعد أنه من أهل الجنة ولم يسمع هو ذلك، أو أنه كره الثناء عليه بذلك تواضعًا، أو غرضه إني رأيت رؤيا علىٰ عهده، فقال ذلك، وهذا لا يدل علىٰ النص بقطع رسول الله علىٰ أني من

أهل الجنة؛ فلهذا كان محل الإنكار.

قوله: (لم ذلك)؛ أي: لأجل ما قالوا ذلك القول. قوله: (ذكر)؛ أي: عبد الله بن سلام.

قوله: أرق : هو أمر من رقىٰ يرقىٰ من باب علم يعلم، إذا ارتفع وعلا ومصدره رقي بضم الراء وكسر القاف وتشديد الياء. قوله: (فأتاني مِنْصف): وهو الخادم. قوله: (فرفع ثيابي)، وفي رواية مسلم: (ثم قال بثيابي من خلفي) ووصف أنه رفعه من خلفه بيده. قوله: (فاستيقظت وإنها في يدي): معناه أنه بعد الأخذ استيقظ في الحال قبل الترك لها؛ يعني: استيقظت حال الأخذ من غير فاصلة بينهما، أو أن أثرها في يدي، كأن يده بعد الاستيقاظ كانت مقبوضة بعد كأنها تستمسك شيئًا، مع أنه لا محذور في التزام كون العروة في يده عند الاستيقاظ لشمول قدرة الله لنحوه.

قوله: (الإسلام): يريد به جميع ما يتعلق بالدين، ويريد بالعمود: الأركان الخمسة، أو كلمة الشهادة وحدها، ويريد بالعروة الوثقىٰ: الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٦٥].

قوله: (وذلك الرجل عبد الله بن سلام): يحتمل أن يكون هو قوله، ولا مانع أن يخبر بذلك ويريد نفسه، ويحتمل أن يكون من كلام الراوي [(١٢٦)].

---

(١٢٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٤٥٦).

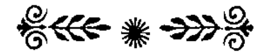
فوائد الحديث:

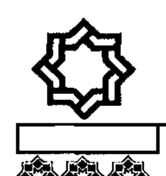
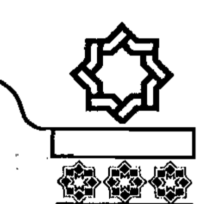
١- القطع لكل من مات علىٰ دين الإسلام والتوحيد لله بالجنة وإن نالت بعضهم عقوبات.

٢- فضل عبد الله بن سلام وأنه من أهل الجنة بشهادة النبي ﷺ له.

٣- معجزة للنبي ﷺ حيث مات عبد الله بن سلام علىٰ الإسلام.

٤- تواضع الصحابة رضوان الله عليهم.



عمار تقتله الفئة الباغية

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ: «تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ»(١٢٧).

وفي رواية: (عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَلِابْنِهِ عَلِيٍّ: انْطَلِقَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ، فَاسمعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ يُصْلِحُهُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَى ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى أَتَى ذِكْرُ بِنَاءِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ»، قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الفِتَنِ)(١٢٨).

معاني الكلمات:

ويح: كلمة ترحم تقال لمن وقع في مهلمة لا يستحقها.

الفئة الباغية: الجماعة التي خرجت عن طاعة الإمام العادل.

المعنى الإجمالي:

يخبر النبي ﷺ في هذا الحديث عن أمر مستقبلي سيقع، وهو قتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقد قتل رضي الله عنه في موقعة صفين التي دارت رحاها بين أنصار علي

---

(١٢٧) أخرجه مسلم (٥١٩٣).

(١٢٨) أخرجه البخاري (٤٢٨).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنصار معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «يدعوهم إلىٰ الجنة ويدعونه إلىٰ النار»:

قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن قيل: كان قتل عمار بصفين، وكان مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان الذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز أن يدعوه إلىٰ النار؟

فأجاب ابن بطال عن ذلك فقال: إنما يصح هذا في الخوارج الذين بعث إليهم علي عمارًا يدعوهم إلىٰ الجماعة، وليس يصح في أحد من الصحابة؛ لأنه لا يجوز أن يتأول عليهم إلا أفضل التأويل.

قلت: تبع ابن بطال في ذلك المهلب، وتابعه علىٰ ذلك جماعة في هذا الجواب، ولكن لا يصح هذا؛ لأن الخوارج إنما خرجوا علىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد قتل عمار بلا خلاف بين أهل العلم في ذلك؛ لأن ابتداء أمرهم كان عقيب التحكيم بين علي ومعاوية، ولم يكن التحكيم إلا بعد انتهاء القتال بصفين، وكان قتل عمار قبل ذلك قطعًا، وأجاب بعضهم بأن المراد بالذين يدعونه إلىٰ النار كفار قريش، وهذا أيضًا لا يصح؛ لأنه وقع في رواية ابن السكن وكريمة وغيرهما زيادة توضيح، بأن الضمير يعود علىٰ قتلة عمار، وهم أهل الشام. وقال الحميدي: لعل هذه الزيادة لم تقع للبخاري، أو وقعت فحذفها عمدًا ولم يذكرها في الجمع، قال: وقد أخرجها الاسماعيلي والبرقاني في هذا الحديث.

والجواب الصحيح في هذا: أنهم كانوا مجتهدين ظانين أنهم يدعونه إلىٰ الجنة وإن كان في نفس الأمر خلاف ذلك فلا لوم عليهم في اتباع ظنونهم. فإن

قلت: المجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر، فكيف الأمر هاهنا؟

قلت: الذي قلنا جواب إقناعي فلا يليق أن يذكر في حق الصحابة خلاف ذلك؛ لأن الله تعالىٰ أثنىٰ عليهم وشهد لهم بالفضل بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، قال المفسرون: هم أصحاب محمد ﷺ(١٣٩).

فوائد الحديث:

١- التعاون في بنيان المسجد من أفضل الأعمال؛ لأنه مما يجري للإنسان أجره بعد موته، ومثل ذلك: حفر الآبار، وكري الأنهار، وتحبيس الأموال التي يعم العامة نفعها.

٢- الحث علىٰ أخذ العلم من كل أحد، وإن كان الآخذ أفضل من المأخوذ منه، ألا ترىٰ أن ابن عباس مع سعة علمه أمر ابنه عليًّا بالأخذ عن أبي سعيد الخدري.

٣- أن العالم له أن يتهيأ للحديث ويجلس له جلسة.

٤- ترك التحديث في حالة المهنة إعظامًا للحديث وتوقيرًا لصحابه، وهكذا كان السلف.

٥- أن للإنسان أن يأخذ من أفعال البر ما يشق عليه إن شاء كما أخذ عمار لبنتين.

٦- إكرام العامل في سبيل الله والإحسان إليه بالفعل والقول.

---

(١٣٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧/ ٤٧).

٧- فيه علامة النبوة؛ لأنه أخبر بما يكون فكان كما قال.

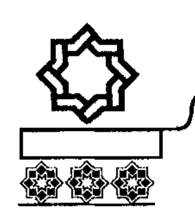
٨- إصلاح الشخص بما يتعلق بأمر دنياه كإصلاح بستانه وكرمه بنفسه، وكان السلف علىٰ ذلك؛ لأن فيه إظهار التواضع ودفع الكبر، وهما من أفضل الأعمال الصالحة.

٩- فضيلة ظاهرة لعلي وعمار، ورد علىٰ النواصب الزاعمين أن عليًّا لم يكن مصيبًا في حروبه.

١٠- استحباب الاستعاذة من الفتن؛ لأنه لا يدري أحد في الفتنة أمأجور هو أم مأزور إلا بغلبة الظن، ولو كان مأجورًا لما استعاذ عمار من الأجر.

❊ ❊ ❊





إخباره عن مروق مارقة عند فرقة المسلمين

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنْ المُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالحَقِّ» (١٣٠).

معاني الكلمات:

تمرق: تخرج مسرعةً.

المارقة: طائفة تجاوزت حدود الشرع وتعدته.

المعنى الإجمالي:

المقصود من ذلك الخوارج الذين خرجوا بعدما حصل التحكيم، وانحازوا في مكان يقال له: حروراء، وحصل منهم ما حصل، وقاتلهم علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال النبي ﷺ في هذا الحديث: (تقتلهم أولىٰ الطائفتين بالحق)، وهذا يدلنا علىٰ أن عليًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أولىٰ من غيره. وقوله: (علىٰ حين فرقة من المسلمين) هو مثل الحديث الذي مر في قوله: (يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)، فإنه وصف المختلفين والمفترقين أنهم مسلمون، فهذا مثل ذاك،

---

(١٣٠) أخرجه مسلم (١٧٦٧).

وهو يدل علىٰ أن عليًا ﷺ كان محقًا، وأنه أولىٰ بالحق، ومعاوية ﷺ كان مجتهدًا، وكل من المجتهدين من أصحاب رسول الله ﷺ لا يعدمون الأجر أو الأجرين، فالمجتهد المصيب له أجران، والمجتهد المخطئ له أجر واحد، وخطؤه مغفور رضي الله تعالىٰ عن الجميع.

والخوارج هم الذين خرجوا من جيش علي ﷺ بعدما حصل التحكيم، ولا يقال عن جيش معاوية: خوارج، وإنما هم مجتهدون؛ لأن معاوية ﷺ رأىٰ أن يقتص أولًا من الذين قتلوا عثمان ﷺ، ثم يسلم الشام، وعلي ﷺ رأىٰ أنه يتم تسليم الشام أولًا ثم ينظر في الأمر، وكل وقف عند رأيه، وحصل ما حصل، وكلهم -كما ذكرت- لا يعدمون الأجر أو الأجرين. قال في عون المعبود: أجمع العلماء علىٰ أن الخوارج مسلمون، فأقول: إن بعض العلماء كفرهم(١٣١).

فوائد الحديث:

١- معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ، فإنه أخبر بهذا وجرىٰ كله كفلق الصبح.

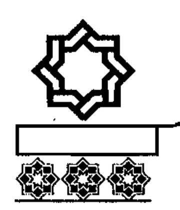
٢- بقاء الأمة بعده ﷺ وأن لهم شوكة وقوة خلاف ما كان المبطلون يشيعونه.

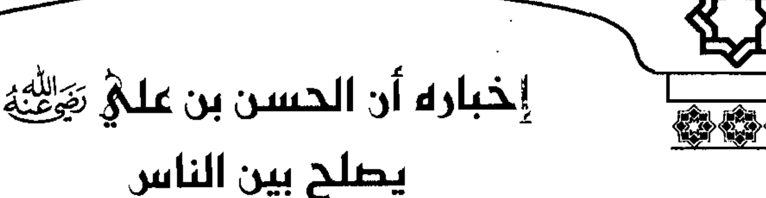
(١٣١) شرح سنن ابي داود (٣٦/ ٤٤٤).

٣- أنهم يفترقون فرقتين، وأنه يخرج عليه طائفة مارقة وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، ويبالغون في الصلاة والقراءة، ولا يقيمون بحقوق الإسلام، بل يمرقون منه، وأنهم يقاتلون أهل الحق.

❊







إخباره أن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلح بين الناس

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ يَقُولُ: اسْتَقْبَلَ وَاللهِ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الجِبَالِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ: إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لَا تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ -وَكَانَ وَاللهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ-: أَيْ عَمْرُو، إِنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ؟ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ؟ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ؟ فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ؛ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، فَقَالَ اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَاعْرِضَا عَلَيْهِ، وَقُولَا لَهُ، وَاطْلُبَا إِلَيْهِ، فَأَتَيَاهُ فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا، وَقَالَا لَهُ، فَطَلَبَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا المَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا، قَالَا: فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ، قَالَ: فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَصَالَحَهُ، فَقَالَ الحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ»(١٣٢).

(١٣٢) أخرجه البخاري (٢٥٠٥).

معاني الكلمات:

بكتائب: جمع كتيبة وهي الجيش، ويقال: الكتيبة ما جمع بعضها إلىٰ بعض.

أقرانها: جمع قرن وهو الكفء والنظير في الشجاعة والحرب.

بضيعتهم: أي من يقوم بأطفالهم وضعفائهم الذين لو تركوا بحالهم لضاعوا لعدم قدرتهم علىٰ الاستقلال بالمعاش.

أصبنا من هذا المال: أي أيام الخلافة حصل لدينا مال كثير، وصارت عادتنا الإنفاق علىٰ الأهل والحاشية، فإن تركنا هذا الأمر قطعنا عادتنا.

عاثت: قتل بعضها بعضًا فلا يكفون إلا بالمال.

فمن لي بهذا: يتكفل لي بالذي تذكرانه.

ابني: المراد ابن ابنته، ويطلق علىٰ ولد الولد أنه ابن.

المعنى الإجمالي:

أخبر ﷺ عن الفتن التي تفرق المسلمين؛ فإنه أنبأ عن التئام شمل المسلمين علىٰ يد الحسن بن علي رضي الله عنهما، يقول أبو بكرة رضي الله عنه: بينا النبي ﷺ يخطب؛ جاء الحسن، فقال ﷺ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ».

وقد كان كما أخبر ﷺ فقد تنازل الحسن لمعاوية عن الملك عام أربعينَ من الهجرة، فسُمِّيَ عامَ الجماعة لاجتماع المسلمين فيه علىٰ خليفة واحد بعد

طول فرقة واختلاف.

قال ابن حجر: وفي هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي؛ فإنه ترك المُلك، لا لقلة، ولا لذلة، ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله، لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعىٰ أمر الدين ومصلحة الأمة.

وفي ذلك كله شهادات تترىٰ علىٰ نبوة النبي ﷺ الذي خصه الله بهذه الأخبار من غيبه، فتحققت، لأنه ﷺ أرانا الهدىٰ بعد العمىٰ فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع.

فوائد الحديث:

١- فيه فضيلة الحسن رضي الله عنه دعاه ورعه إلىٰ ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله تعالىٰ، ولم يكن ذلك لعلة ولا لذلة ولا لقلة، وقد بايعه علىٰ الموت أربعون ألفًا فصالحه رعاية لمصلحة دينه ومصلحة الأمة، وكفي به شرفًا وفضلًا، فلا أسيد ممن سماه رسول الله سيدًا.

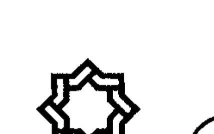
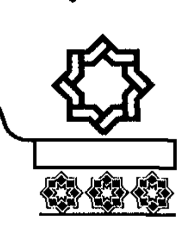
٢- فيه أن الرسل يسمع قولهم ولا يتعرض إليهم.

٣- ولاية المفضول علىٰ الفاضل.

٤- وقوع ما أخبر به النبي ﷺ من إصلاح الحسن بين الناس.

* * *



إخباره ﷺ عن الغزوة الأولى في البحر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ، ثُمَّ جَلَسَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ، أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ» -يَشُكُّ أَيَّهُمَا قَالَ- قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ» كَمَا قَالَ فِي الأُولَى، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنْ الأَوَّلِينَ»، فَرَكِبَتْ أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ الْبَحْرَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنْ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ»(١٣٣).

معاني الكلمات:

تحت عبادة: زوجته.

تفلي رأسه: تفتش عن القمل فيه وتلقيه منه.

---

(١٣٣)أخرجه البخاري (٢٥٨٠)، ومسلم (٣٥٣٥).

ثبج هذا البحر: وسطه وظهره.

الأسِرَّة: جمع سرير وهو يجلس عليه الملوك وأمثالهم.

الأولين: الذين يركبون البحر في سبيل الله تعالىٰ قبل غيرهم ويستشهدون في هذا.

في زمن معاوية: أي في ولايته، وخلافة عثمان رضي الله عنهما.

فصرعت: فسقطت.

فهلكت: فماتت.

المعنى الإجمالي:

من الغيوب الباهرة التي كشفت لنبينا ﷺ خبر أم حرام بنت ملحان.

قال ابن حجر: وفيه ضروب من إخبار النبي ﷺ بما سيقع، فوقع كما قال، وذلك معدود من علامات نبوته: منها إعلامه ببقاء أمته بعده، وأن فيهم أصحابُ قوةٍ وشوكة ونِكاية في العدو، وأنهم يتمكنون من البلاد حتىٰ يغزوا البحر، وأن أمَّ حرام تعيش إلىٰ ذلك الزمان، وأنها تكون مع من يغزو البحر، وأنها لا تدرك زمان الغزوة الثانية.

فمن الذي أعلم النبي ﷺ بما يكون بعده؟ من الذي أعلمه بأن أمته سوف تغزو البحر من بعده، وأن أم حرام بنت ملحان ستعيش حتىٰ تدرك هذا الغزو، فتشارك فيه؟

فوائد الحديث:

١- جواز دخول الرجل علىٰ محرمه وملامسته إياها والخلوة بها والنوم عندها.

٢- إباحة ما قدمته المرأة إلىٰ ضيفها من مال زوجها؛ لأن الأغلب أن ما في البيت من الطعام هو للرجل.

٣- جواز فلي الرأس وقتل القمل، ويقال: قتل القمل وغيره من المؤذيات مستحب.

٤- نوم القائلة؛ لأنه يعين البدن لقيام الليل.

٥- جواز الضحك عند الفرح؛ لأنه ضحك فرحًا وسرورًا بكون أمته تبقىٰ بعده متظاهرين، وأمور الإسلام قائمة بالجهاد حتىٰ في البحر.

٦- أن الجهاد تحت راية كل إمام جائز ماض إلىٰ يوم القيامة.

٧- تمني الغزو والشهادة حيث قالت أم حرام: ادع الله أن يجعلني منهم.

٨- أنه من أعلام نبوته؛ وذلك أنه أخبر فيه بضروب الغيب قبل وقوعها، منها: جهاد أمته في البحر وضحكه دال علىٰ أن الله تعالىٰ يفتح لهم ويغنمهم.

٩- ومنها الإخبار بصفة أحوالهم في جهادهم وهو قوله: يركبون ثبج هذا البحر.

١٠- ومنها قوله لأم حرام: أنت من الأولين، فكان كذلك

١١- أن رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حق.

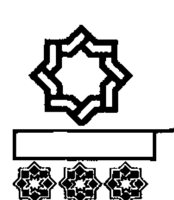
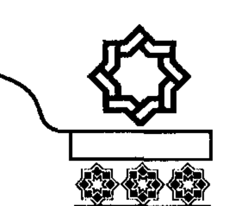
١٢- الضحك المبشر إذا بشر بما يسر كما فعل الشارع.

١٣- فضل معاوية، وأن الله قد بشر به نبيه في النوم؛ لأنه أول من غزا في البحر، وجعل من غزا تحت رايته من الأولين.

١٤- فيه دلالة على أن من مات في طريق الجهاد من غير مباشرة ومشاهدة له من الأجر مثل ما للمباشر، وكانت النساء إذا غزون يسقين الماء، ويداوين الكلمى، ويصنعن لهم طعامهم وما يصلحهم؛ فهذه مباشرة.

١٥- أن الموت في سبيل الله والقتل سواء أو قريبًا من السواء في الفضل.



إخباره ﷺ عن ولاية اثنا عشر خليفة كلهم من قريش

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ غُلَامِي نَافِعٍ: أَنْ أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ جُمُعَةٍ عَشِيَّةَ رُجِمَ الأَسْلَمِيُّ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «عُصَيْبَةٌ مِنْ المُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ البَيْتَ الأَبْيَضَ بَيْتَ كِسْرَى، أَوْ آلِ كِسْرَى»، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ»، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِذَا أَعْطَى الله أَحَدَكُمْ خَيْرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ»، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «أَنَا الفَرَطُ عَلَى الحَوْضِ»(١٣٤).

معاني الكلمات:

فقال أبي؛ يعني سمرة، والوالد والولد كلاهما صحابيان.

المعنى الإجمالي:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: معنى هذا الحديث بوجود اثني عشر خليفة صالحًا

---

(١٣٤) أخرجه مسلم (٣٣٩٨).

يقيم الحق، ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل وجد منهم أربعة على نسق، وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة. والظاهر: أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره أنه يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ، واسم أبيه اسم أبيه، فيملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا، وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء، فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس العقول السخيفة وتوهم الخيالات الضعيفة، وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الإثني عشر: الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد فيهم الإثنا عشر من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم وفي التوراة البشارة بإسماعيل عليه السلام، وأن الله يقيم من صلبه اثني عشر عظيمًا، وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة.

وبعض الجهلة ممن أسلم من اليهود إذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنهم الأئمة الاثنا عشر فيتشيع كثير منهم جهلًا وسفهًا لقلة علمهم وعلم من لقنهم ذلك بالسنن الثابتة عن النبي ﷺ(١٣٥).

---

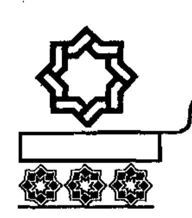
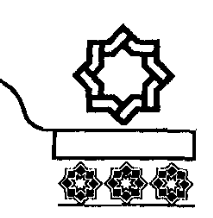
(١٣٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤، ٣٣).

فوائد الحديث:

١- البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحًا يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم.

٢- معجزة لرسول الله ﷺ حيث أخبر عن أمر غيبي لا يعلمه إلا نبي.



إعلامه ﷺ بأن بأس هذه الأمة سيكون فيما بينها

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، أَوْ قَالَ: إِنَّ رَبِّي زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَألتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَلَا أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا، أَوْ قَالَ: بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ -قَالَ ابْنُ عِيسَى-: ظَاهِرِينَ، -ثُمَّ اتَّفَقَا- لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»(١٣٦).

---

(١٣٦) أخرجه مسلم (٥١٤٤)، وأبوداود (٣٧١٠).

معاني الكلمات:

قوله: زوىٰ لي الأرض معناه: جمعها وقبضها، يقال: انزوىٰ الشيء إذا تقبض وتجمع.

السنة: القحط والجدب.

يستبيح بيضتهم: يريد جماعتهم وأصلهم.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث فيه معجزاتٌ ظاهرة، وقد وقعت كلُّها بحمد اللّه كما أخبر به النبي ﷺ فقد زوىٰ الله عز وجل له الأرض فشاهدها ورأىٰ ما يصل إليه ملك أمته، وقد حصل ذلك في زمن بني أمية، حيث فتحت الفتوحات في الشرق والغرب حتىٰ وصل عقبة بن نافع إلىٰ المحيط الأطلسي، ووصلت بعض الجيوش التي أرسلت إلىٰ جهة المشرق إلىٰ الصين وإلىٰ السند والهند، واتسعت رقعة البلاد الإسلامية، ودخل الناس في هذا الدين، وتحقق بذلك ما أخبر به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وكذلك كان الأمر في عهد بني العباس؛ ويذكر عن هارون الرشيد أنه مرت سحابة ببغداد فقال: (أمطري حيث شئت فخراجك سيأتي إلي)؛ لأنها تجاوزت بغداد فلم تمطر عليها، فقال: أين أمطرت فخراجك سيأتيني، بمعنىٰ: أن الأرض التي سينزل فيها ذلك الماء سيصل خراجها إلىٰ بغداد، وذلك إشارة إلىٰ اتساع رقعة البلاد الإسلامية. فتحقق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ من

افتتاح البلاد ودخول الناس في هذا الدين الحنيف، مع أن الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك الذين جاءوا بعدهم ممن صار علىٰ منوالهم في الفتوحات والجهاد في سبيل الله كانوا أقل عددًا من أعدائهم وأقل عُددًا، ولكن وجدت عندهم قوة الإيمان التي هي سبب كل خير، وضعف الإيمان وعدم الاستقامة سبب كل شر وضعف وهوان؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتىٰ يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»، فهذه الفتوحات إنما حصلت بالصدق مع الله وبقوة الإيمان والإخلاص والجهاد من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يهتدي الناس، وأن يدخلوا في دين الله، فالمسلمون كانوا أقل عددًا وعُددًا، وأعداؤهم الكفار كانوا أكثر عددًا وعُددًا، ومع ذلك كان المسلمون يتفوقون ويتغلبون علىٰ الكفار؛ بسبب ما أعطاهم الله من قوة الإيمان والصدق. ولهذا جاء في صحيح البخاري: أن جيشًا ذهب إلىٰ قتال الفرس، وكان أميرهم النعمان بن مقرن، وكان فيهم المغيرة بن شعبة، فلما التقوا مع كبير الفرس طلب كبير الفرس واحدًا من المسلمين يأتي للتفاوض والتفاهم معه، فذهب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فقال له ذلك الزعيم: ما أنتم؟ قال: نحن قوم من العرب كنا في بلاء وفقر شديد، نعبد الشجر والحجر، ونمص النوىٰ والجلد من الجوع، فبعث الله فينا رسولًا من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فدعانا إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وأمرنا بالجهاد في سبيله، وأخبرنا بأن من قتل منا فهو في الجنة، ووصفها كذا وكذا، ومن عاش منا ملك رقابكم. هذا

الكلام جاء من قوة إيمان، ومن عزيمة وإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

ولهذا لما تغيرت أحوال الناس هان المسلمون علىٰ أعدائهم بعد أن كان الكفار يهابون المسلمين، صاروا هم الذين يهابون ويخافون الكفار؛ والسبب في ذلك كله ضعف الإيمان، ولذا قال النبي ﷺ في الحديث: «وجعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمري».

قوله: «وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»، الأحمر هو الذهب، والأبيض هو الفضة، وكنوز كسرىٰ وقيصر التي كانت من الذهب والفضة غنمها المسلمون في جهادهم للروم وللفرس، وأحضرت تلك الكنوز إلىٰ المدينة وتولىٰ قسمتها الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسه في المدينة، وتحقق بذلك ما أخبر به الرسول الكريم ﷺ في قوله: «ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله»، وقد تحقق ذلك وأنفقت في سبيل الله علىٰ يد الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «وإني سألت ربي ألا يهلك أمتي بسنة بعامة»؛ يعني: بألا يصيبهم قحط عام يصير به هلاك وضرر الجميع، وأعطاه الله ذلك، فالقحط يحصل في بلد، ويحصل في بلد آخر الرخاء والخصب، لكن كونه يحصل لهذه الأمة أنها تهلك بالقحط، وقلة المطر، وتفنىٰ بسبب ذلك، هذا لا يحصل.

قوله: «وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم فيستبيح بيضتهم»، بيضتهم بمعنىٰ: أنه يقضي علىٰ الإسلام والمسلمين، والإسلام باق، ولا تخلو الأرض من قائم لله بحجته، ولو حصل ضعف في مكان حصلت قوة في مكان آخر، لكن لا تخلو الأرض ممن يقوم بأمر الله، ولكن الشيء الذي قد حصل

هو كون بعضهم يقتل بعضًا، والفتن التي تكون بينهم تحصد بعضهم بالقتل وحصول الأضرار الكبيرة، فقوله ﷺ «وألا يهلك أمتي بسنة بعامة»؛ أي: بسنة قحط تعم البلاد. وقوله: «وألا يسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم»؛ يعني: لن يوجد عدو ليس من المسلمين يستبيح بيضتهم ويقضي علىٰ الإسلام والمسلمين؛ لأن الإسلام باق وعزيز، ولكنه يكون قويًّا في بعض الأزمان، ودون ذلك في بعض الأزمان، لكن كونه تخلو منه الأرض أو ينتهي، هذا لا يكون، بل لا بد أن يكون هناك من يقوم بشرع الله، ولا يضره من خالفه، كما سيأتي في آخر هذا الحديث.

قوله: «وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد»؛ يعني: ما قدره الله وقضاه فإنه لا بد من وجوده، وكل شيء شاءه الله لا بد أن يكون، وكل شيء لم يشأه الله لا يمكن أن يكون، ولهذا فإن عقيدة المسلمين في باب القدر تنبني علىٰ هاتين الجملتين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ما سبق به قضاء الله وقدره لا بد من وجوده ولا بد من حصوله، وما جرىٰ به القضاء بأنه لا يكون فلا سبيل إلىٰ كونه ووجوده؛ لأنه لا يكون ولا يقع في ملك الله إلا ما قدره الله وقضاه. والقدر مغيب ولا يعلمه إلا الله، ولكن يمكن أن يعرف المقدر بأمرين؛ **الأمر الأول**: الوقوع، فإذا وقع الشيء فهو مقدر؛ لأنه لا يقع إلا مقدر. **والأمر الثاني**: حصول الإخبار به من الرسول ﷺ، فإن هذا يدل علىٰ أنه سبق به القضاء والقدر، وأنه لا بد أن يوجد ذلك المقدر، ولكنه عرف بإخبار الصادق المصدوق ﷺ بأنه سيحصل كذا وكذا، وأنه سيقع كذا وكذا، وسيجري كذا

وكذا، فهذا لا بد وأن يوجد. وهذا الذي أخبر النبي ﷺ بأنه سيوجد سبق به القضاء والقدر؛ ولهذا قال: (إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد)، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ ولهذا جاء في وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، وكذلك في الدعاء: «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت»، فالذي قدره الله وأعطاه لا أحد يمنعه، وما قدر ألا يكون فإنه لا سبيل إلىٰ كونه، ولا سبيل إلىٰ وجوده.

قوله: «وإني لا أهلكهم بسنة بعامة، ولا أسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم»؛ يعني: قضاء الله وقدره بأنه لا يهلكهم بسنة بعامة، وألا يسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم، فقدر وقضىٰ أن بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا، ويضر بعضهم بعضًا، وهذا يقع.

قوله: «وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين»، هذا هو الذي يخشاه النبي علىٰ الأمة، وهو كونها تبتلىٰ بمن يضل، سواء كانوا هؤلاء الأئمة أئمة دعوة وتبليغ وإرشاد، أو أصحاب سلطة، والإمامة تكون بكونه متبوعًا وغيره يتبعه وإن لم يكن واليًا، وقد يكون واليًا ويكون مع إضلاله قوة تساند وتؤيد هذا الضلال، وتحتضن من يكون من أهل الضلال، فقال ﷺ: (وإنما أخشىٰ علىٰ أمتي الأئمة المضلين)؛ لأنهم يحرفونهم ويصرفونهم عن الحق والهدىٰ بأن يضلوهم ويخرجوهم من الجادة والاستقامة إلىٰ الطرق المنحرفة الخارجة

عن الصراط المستقيم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] (١٣٧).

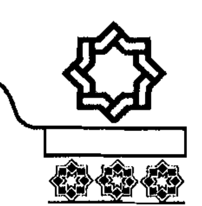
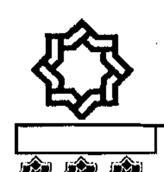
فوائد الحديث:

١- أن الله تعالىٰ إذا سلط عليهم عدوهم، فليس تسليط إفناء تامٍ واستئصالٍ عام، كلا! فإن الأمة الإسلامية تمرض ولكنها لا تموت.

٢- مهما وجدت الغربة فالطائفة المنصورة باقية لا تزال إلىٰ قيام الساعة.

❊ ❊ ❊

(١٣٧) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٢٣/ ٤٧٢).

إخباره ﷺ عن أويس القرني

عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ، فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»، فَاسْتَغْفِرْ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ؟ قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ، قَلِيلَ المَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»، فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ، قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ، قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً، فَكَانَ

كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ (١٣٨).

معاني الكلمات:

أمداد: الأمداد: جمع مدد، وهم الأعوان الذين كانوا يجيئون لنصر الإسلام.

غبراء الناس: غبراء الناس جمع غابر وهو الباقي، فإن الغابر من الأضداد يكون بمعنى الباقي والماضي، وغبر الليل: بقاياه، وإنما أراد أويس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن يكون مع المتأخرين لا مع المتقدمين المشهورين.

المعنى الإجمالي:

مما أخبر به ﷺ من المغيبات -التي أطلعه الله عليها لتكون برهان نبوته- قدومُ أُويس القَرَني من اليمن، وأخبر النبي ﷺ صحابته بأنه سيقدم عليهم رجل من أهل اليمن يقال له: أويس بن عامر، وذكر لهم بعض صفته وأحواله، وأنه لو أقسم على الله لأبره؛ أي: لحصل له مقصوده من القسم.

ومن فرط محبة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للخير وللاستزادة منه كان حريصًا على لقائه، فكان لا يدع مقدمًا لليمنين إلا سأل عنه، حتى لقيه، فلما تحقق من أوصافه التي سمعها من رسول الله ﷺ طلب منه أن يستغفر له؛ لقول النبي ﷺ: «فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ».

---

(١٣٨) أخرجه مسلم (٤٦١٣).

ولا يفهم من هذا أفضليته علىٰ عمر، ولا أن عمر غير مغفور له؛ للإجماع علىٰ أن عمر أفضل منه؛ لأنه تابعي، والصحابي أفضل منه، إنما مضمون ذلك الإخبار بأن أويسًا ممن يستجاب له الدعاء، وإرشاد عمر إلىٰ الازدياد من الخير واغتنام دعاء من ترجىٰ إجابته، وهذا نحو مما أمرنا النبي به من الدعاء له، والصلاة عليه وسؤال الوسيلة له وإن كان النبي أفضل ولد آدم(١٣٩).

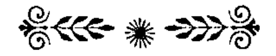
والشاهد من هذا الحديث ظهور معجزة من معجزات الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.

فوائد الحديث:

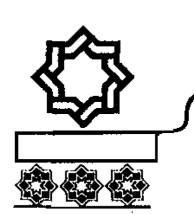
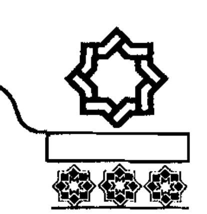
١- طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح، وإن كان الطالب أفضل منهم.

٢- فيه منقبة ظاهرة لأويس القرني.

٣- معجزة ظاهرة للنبي ﷺ حيث لم يكن هناك أحد يعرف أويسًا، ولم يعرفه أحد إلا عمر بعد وفاة النبي ﷺ .



(١٣٩) دليل الفالحين لطرق رياض االصالحين (٤/ ٥٨).

ظهور التتار (الترك)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمْ الشَّعَرُ، وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الأَعْيُنِ حُمْرَ الوُجُوهِ ذُلْفَ الأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ، وَالنَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ»(١٤٠).

معاني الكلمات:

ذُلف الأنوف: الذلف في الأنف -بالذال المعجمة- استواء في طرفه، وليس بالغليظ الكبير.

والناس معادن: يشبهون المعادن من حيث اختلاف جواهرها نفاسة وخساسة، والمعادن ما يستخرج من جواهر الأرض.

المطرقة: وجوههم في عرضها وتلونها كالترس التي قد طرقت وضربت ومددت.

---

(١٤٠) أخرجه البخاري (٣٣٢٢).

المعنى الإجمالي:

من معجزات النبي ﷺ الإخبار بالمغيبات، فقد دل هذا الحديث على صدق النبي ﷺ؛ لأنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك»، وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر»، وقد وقع ذلك كما أخبر ﷺ قال العلامة العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا الخبر من جملة معجزاته ﷺ عن أمر سيكون، وقد وقع بعض ما أخبر به ﷺ سنة سبع عشرة وستمائة، وقد خرج جيش عظيم من الترك، فقتلوا أهل ما وراء النهر وما دونه من جميع بلاد خراسان، ولم ينج منهم إلا من اختفى في المغارات والكهوف.

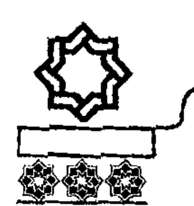
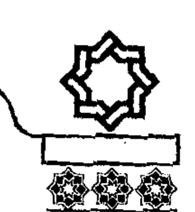
ويبين الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أن قتال الترك قد امتد إلى زمنه فقال: وهذا الخبر قد وقع على نحو ما أخبر ﷺ فقد قاتلهم المسلمون في عراق العجم مع سلطان خوارزم رَحِمَهُ اللَّهُ وكان الله قد نصره عليهم، ثم رجعت لهم الكرة فغلبوا على عراق العجم وغيره، وخرج منهم في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله، حتى كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم، فنسأل الله تعالى أن يهلكهم ويبدد جمعهم (١٤١).

فوائد الحديث:

١- مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ الله ﷺ إذ وقع ما أخبر به.

---

(١٤١) فقه الدعوة في صحيح البخاري لسعيد القحطاني (٤/ ٢٤٠).

خروج نار الحجاز

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى»[(١٤٢)].

معاني الكلمات:

لا تقوم الساعة: هو كناية عن تحقق وقوع ذلك لا أن هذا من علامات قرب قيام الساعة.

تضيء: وهذا كناية عن قوة النار وسعة انتشارها.

بصرى: بلدة من بلاد الشام.

المعنى الإجمالي:

يخبر النبي ﷺ عن بركان يثور في الحجاز ينعكس ضوؤه بالشفق، فيلحظه أهل بصرى بالشام، فتحقق تنبؤه ﷺ عام ٦٥٤هـ، ليكون دليلًا آخر على نبوته ورسالته ﷺ ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى».

قال القرطبي في التذكرة: قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة، وكان بدؤها

---

(١٤٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٥).

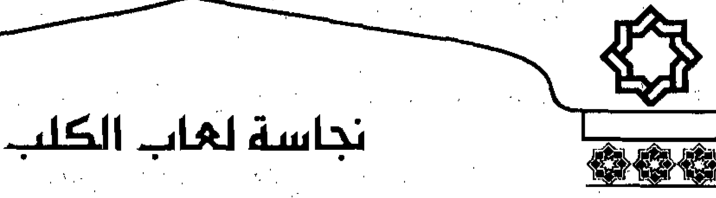
زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادىٰ الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة واستمرت إلىٰ ضحىٰ النهار يوم الجمعة، فسكنت وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة، ترىٰ في صورة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن، وترىٰ رجال يقودونها لا تمر علىٰ جبل الا دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه، وينتهي إلىٰ محط الركب العراقي، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم، فانتهت النار إلىٰ قرب المدينة، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر. وقال لي بعض أصحابنا: رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام وسمعت انها رؤيت من مكة، ومن جبال بصرىٰ.

فوائد الحديث:

١- معجزة ظاهرة للنبي ﷺ حيث تحقق ما قال.

❊ ❊ ❊





نجاسة لعاب الكلب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولَاهُنَّ بِالتُّرَابِ»(١٤٣).

معاني الكلمات:

الولوغ: هو الشرب من الإناء.

المعنى الإجمالي:

لما كان الكلب من الحيوانات المستكرهة التي تحمل كثيرًا من الأقذار والأمراض، أمر الشارع الحكيم بغسل الإناء الذي ولغ فيه سبع مرات، الأولىٰ منهن مصحوبة بالتراب ليأتي الماء بعدها، فتحصل النظافة التامة من نجاسته وضرره.

وقد ظهر في البحوث العلمية الحديثة أنه يحصل من التراب إنقاء لهذه النجاسة ولا يحصل من غيره، وإن صح هذا فإنه يظهر إحدىٰ معجزات الشرع الشريف، وظهرت بذلك عظمة الشريعة المطهرة، وأنها تنزيل من حكيم خبير، وإن مؤديها صلوات الله عليه لم ينطق عن الهوىٰ، وذلك أن بعض العلماء حار

---

(١٤٣) أخرجه مسلم (٤٢٠).

في حكمة هذا التغليظ في هذه النجاسة مع أنه يوجد ما هو مثلها غلظة، ولم يشدد في التطهير منها، حتىٰ قال فريق من العلماء: أن التطهير علىٰ هذه الكيفية من ولوغ الكلب تعبدي لا تعقل حكمته، حتىٰ جاء الطب الحديث باكتشافاته ومكبراته، فأثبت أن في لعاب الكلب ميكروبات وأمراضًا فتاكة، لا يزيلها الماء وحده.

فسبحان العليم الخبير، وهنيئًا للموقنين، وويلًا للجاحدين(١٤٤).

فوائد الحديث:

١- دلالة علىٰ نجاسة الكلب لأن الطهارة لا تكون إلا عن حدث أو نجس والأول منتف فتعين الثاني.

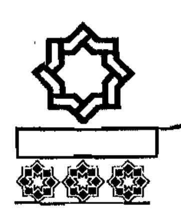
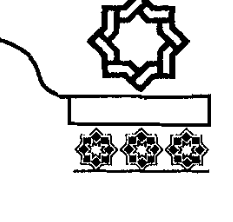
٢- دليل علىٰ أن الماء النجس يجب تطهير الإناء منه.

٣- فيه دليل علىٰ تحريم بيع الكلب إذ كان نجس الذات فصارت كسائر النجاسات قلت يجوز بيعه عند اصحابنا لأنه منتفع به حراسة واصطيادا.

٤- معجزة أخبر عنها النبيﷺ منذ أربعة عشر قرنا فنحن نتسأل لماذا ذكر التراب مع الغسل سبع مرات؟ فيأتي العلم ويكتشف أن المرض الموجود داخل فم الكلب لا يعقمه إلا مادة الفلورين الموجودة في التراب!

---

(١٤٤) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام لعبد الله آل بسام (١/ ٢٩، ٢٨) بتصرف.

إخباره ﷺ أن في أحد جناحي الذبابة داء وفي الآخر دواء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً وَفِي الآخَرِ دَاءً»(١٤٥).

معاني الكلمات:

يغمسه: من غمسه في الماء: إذا غطه فيه وأدخله.

المعنى الإجمالي:

كان آخر ما توصل إليه الطب الحديث هو أن الذباب يحمل عاملًا مضادًا للجراثيم، فلقد أثبتت التجارب الفنية الحيوية الحديثة أن الذباب بجانب نقله للجراثيم المسببة للأمراض فإنه يحمل مضادات لهذه الجراثيم وهي صغيرة الحجم يقدر طولها بـ(٢٠-٢٥) ميلي ميكرون، وقد قام أحد الباحثين في بدايات القرن العشرين -وهو الأستاذ دريل- مع زملائه من العلماء والأطباء بأبحاث طويلة لمعرفة أسباب ظهور جائحات الكوليرا العديدة في الهند، وطرق

(١٤٥) أخرجه البخاري (٥٣٣٦).

انطفائها وانتهائها، وطريقة التحفظ منها ومنع انتشارها، وأثبتوا أخيرًا أن الباكتريوفاج الذي يحمله الذباب هو العامل الوحيد في إطفاء جائحات الكوليرا حيث إنه يوجد في براز الناقهين من المرض، ويقوم الذباب بنقله من البراز إلىٰ آبار ماء الشرب فيشربه المصابون مما يكون له الأثر الكبير في شفائهم، وقد تمكن الأستاذ دريل من تكثير الباكتريوفاج الذي حصل عليه من جسم الذباب وتنميته، وكان يأمر المريض بتناول جرعات محدودة منه مع الماء، فلا يلبث أن يشفي في مدة لا تتجاوز اليومين.

كما أن هذه التجارب ذاتها نجحت في البرازيل علىٰ مرض الديزانتريا الحادة فكان يشفي المريض في مدة لا تزيد عن يوم واحد، وكذلك فالأطباء الإيطاليون استعملوا الباكتريوفاج المأخوذ من جسم الذباب في علاج الحمىٰ التيفوئيدية والباراتيفوئيدية فحصلوا علىٰ نتائج حسنة.

إذًا فإخبار النبي ﷺ عن عامل الداء محمولًا علىٰ الذباب، وكذا عامل الشفاء مع أن العين لا ترىٰ شيئًا من ذلك، ولم يكن لعلم الجراثيم أثر، ولا للآلات الكاشفة المكبرة (ميكروسكوب) وجود، هو معجزة عظيمة ودليل قاطع علىٰ صدق نبوته ﷺ(١٤٦).

---

(١٤٦) مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة (٣٤/ ٢٥).

فوائد الحديث:

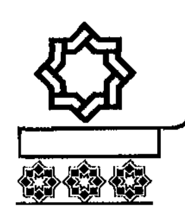
١- معجزة عظيمة ودليل قاطع علىٰ صدق نبوته ﷺ.

٢- أثبت العلم الحديث ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه.

٣- دورالذباب الرئيسي في نقل الأمراض والميكروبات.







المدينة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَى أَنْقَابِ المَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ»(١٤٧).

معاني الكلمات:

أنقاب المدينة: جمع نقب؛ أي مداخلها والطرق المؤدية إليها.

الطاعون: الوباء الذي يكثر بسببه الموت.

المعنى الإجمالي:

من مناقبها المأثورة وفضائلها المشهورة أنها محفوظة مصونة محروسة محفوفة، لا يدخلها رعب الدجال ولا فزعه ولا يردها ولا تطؤها قدمه، محرم عليه أن يدخل نقابها أو يلج أبوابها، يريدها فلا يستطيعها.

فلقد قيَّض الله تعالىٰ للمدينة ملائكة يحرسونها علىٰ أنقابها وأبوابها وطرقها ومحاجها صافون بالسيوف صلتة، يحرسونها ويذبونه عنها، فلا يستطيع الدجال إليها سبيلا، بل يلقىٰ إليه بإخوانه من الكفار والمنافقين،

كما أن من لوازم دعاء النبي ﷺ بالصحة ورفع الوباء أن لاينزل بها

---

(١٤٧) أخرجه البخاري (١٧٤٧)، ومسلم (٢٤٤٩).

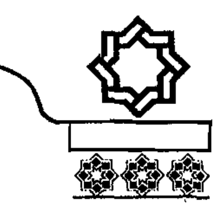
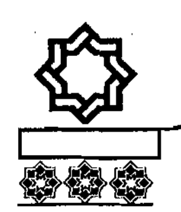
الطاعون، كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ.

فوائد الحديث:

١- وقوع ما قاله النبي ﷺ، فلم يدخل الطاعون المدينة إلى الآن، وكذا الدجال لن يدخلها؛ وهذه من معجزات المصطفي ﷺ.

٢- فضل المدينة المنورة وشرف الأماكن المقدسة.

❊ ❊ ❊

إخباره عن غزو الصحابة وتابعيهم فيفتح لهم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ»(١٤٨).

معاني الكلمات:

فئام: جماعة، ولا واحد له من لفظه.

فيفتح؛ أي: عليكم ببركته.

المعنى الإجمالي:

في الحديث معجزة لرسول الله، وفضل لأصحابه والتابعين وتابعيهم.

قال: «يأتي على الناس زمان يبعث فيه منهم البعث وهو الجيش، فيقولون: -أي المبعوث إليهم- انظروا هل تجدون فيكم أحدًا من أصحاب

(١٤٨) أخرجه البخاري (٢٦٨٢) أخرجه مسلم (٤٥٩٧).

رسول الله فيوجد الرجل -أي الواحد فيهم- فيفتح لهم -أي ببركته-، ثم يبعث البعث الثاني -أي من الناس- إلىٰ جمع آخر، فيقولون: انظروا هل فيهم -وفي نسخة هل فيكم- من رأىٰ أصحاب النبي ﷺ؟ فيوجد من رأىٰ الصحابة فيفتح لهم، ثم يبعث البعث الثالث، فيقال: انظروا هل ترون فيهم من رأىٰ من رأىٰ -أي بالواسطة- أصحاب النبي ﷺ، فيفتح لهم.

ولما كان أهل الخير نادرًا في القرن الرابع اقتصر علىٰ القرون الثلاثة في أكثر الروايات؛ لكثرة أهل العلم والصلاح فيهم، وقلة السفه والفساد منهم، ففي صحيح مسلم عن عائشة مرفوعًا: «خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث»

فالمعنىٰ أن الصحابة والتابعين ومن تبعهم هؤلاء القرون الثلاثة المرتبة في الفضيلة، ففي (النهاية): القرن: أهل كل زمان وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، فكأنه المقدار الذي يقترن به أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم، وقيل: القرن أربعون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: هو مطلق من الزمان، وهو مصدر قرن يقرن. قال السيوطي: والأصح أنه لا ينضبط بمدة، فقرنه هم الصحابة، وكانت مدتهم من المبعث إلىٰ آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة، وقرن التابعين من مائة سنة إلىٰ نحو سبعين، وقرن أتباع التابعين من ثم إلىٰ نحو العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رءوسها، وامتُحِن أهل العلم؛ ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا، ولم

يزل الأمر في نقص إلىٰ الآن (١٤٩).

فوائد الحديث:

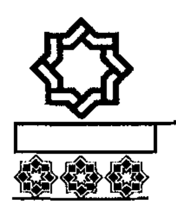
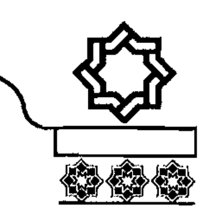
١- وقوع ما أخبر به النبي ﷺ في عهد الصحابة والتابعين.

٢- فضيلة لأصحابه وتابعيهم.

٣- رد لقول جماعة من المتصوفة القائلين: إن سيدنا رسول الله لم يره أحد في صورته.

❊ ❊ ❊

(١٤٩) مرقاة المصابيح شرح المشكاة (١٧/ ٣٠٥).

رؤيا مقتل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ»، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ»[١٥٠].

معاني الكلمات:

الأمر: الخلافة والحكم والنبوة.

جريد: هو غصن النخل المجرد من ورقه.

---

(١٥٠) أخرجه البخاري (٣٣٥١)، ومسلم (٤٢١٨).

أمر الله فيك: وهو خيبتك فيما أملته.

ليعقرنك: ليقتلنك ويهلكنك، وأصله من عقر الإبل وهو ضرب قوائمها بالسيف وجرحها.

يخرجان بعدي: يظهران شوكتهما ويحاربان أتباعي ويدعيان النبوة.

المعنى الإجمالي:

قوله: (قدم مسيلمة الكذاب علىٰ عهد رسول الله)؛ أي: علىٰ زمنه، وكان قدومه في سنة تسع من الهجرة، وهي سنة الوفودات، قال ابن اسحاق: قدم علىٰ رسول الله وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة بن حبيب، وقال ابن هشام: هو مسيلمة بن ثمامة، ويكنىٰ: أبا ثمامة، وكان قد تسمىٰ بالرحمان، وكان يقال له: رحمان اليمامة، وكان يعرف أبوابًا من النيرنجات، فكان يدخل البيضة في القارورة، وهو أول من فعل ذلك، وكان يقص جناح الطير ثم يصله، ويدعي أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها. قال الواقدي: وكان وفد بني حنيفة بضعة عشر رجلًا عليهم سلمىٰ بن حنظلة، وفيهم طلق بن علي، وعلي بن سنان، ومسيلمة بن حبيب الكذاب، فأنزلوا في دار رملة بنت الحارث، وأجريت عليهم الضيافة، فكانوا يؤتون بغداء وعشاء مرة خبزًا ولحمًا، ومرة خبزًا ولبنًا، ومرة خبزًا وسمنًا، ومرة تمرًا ينثر لهم، فلما قدموا المسجد وأسلموا، وقد خلفوا مسيلمة في رحالهم، ولما أردوا الانصراف أعطاهم جوائزهم خمس أواق من فضة، وأمر لمسيلمة بمثل ما أعطاهم لما ذكروا أنه في رحالهم، فقال: إما أنه ليس

بشركم مكانًا، فلما رجعوا إليه أخبروه بما قال عنه، قال: إنما قال ذلك؛ لأنه عرف أن الأمر لي من بعده. وبهذه الكلمة تشبث -قبحه الله- حتىٰ ادعىٰ النبوة. وقال ابن إسحاق: ثم انصرفوا عن رسول الله، ولما انتهوا إلىٰ اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ، وتكذب لهم، وقال: إني اشتركت معه في الأمر، ثم جعل يسجع لهم السجعات مضاهيًا للقرآن، فأصعقت علىٰ ذلك بنو حنيفة، وقتل في أيام أبي بكر الصديق في وقعة اليمامة، قتله وحشي قاتل حمزة، وكان عمره حين قتل مائة وخمسين سنة.

قوله: (فأقبل إليه رسول الله): تألفًا له ولقومه رجاء إسلامهم وليبلغ ما أنزل إليه، وقال القاضي عياض: يحتمل أن سبب مجيئه أن مسيلمة قصده من بلده للقائه فجاءه مكافأة. قال: وكان مسيلمة حينئذ يظهر الإسلام، وإنما ظهر كفره بعد ذلك.

قوله: (ومعه ثابت بن قيس بن شماس): خطيب رسول الله، وكان يجاوب الوفود عن خطبهم. قوله: (لن تعدو أمر الله فيك)؛ أي: خيبتك فيما أملته من النبوة وهلاكك دون ملكك، أو فيما سبق من قضاء الله تعالىٰ وقدره في شقاوتك.

قوله: (ولئن أدبرت)؛ أي: عن طاعتي (ليعقرنك الله)؛ أي: ليقتلنك ويهلكك، وكان كذلك، قتله الله عَزَّوَجَلَّ يوم اليمامة.

قوله: (وإني لأُراك)؛ أي: لأظنك الشخص الذي رأيت في المنام في حقك ما رأيته.

قوله: (فأخبرني أبو هريرة)؛ أي: قال ابن عباس: أخبرني أبو هريرة أن رسول الله... إلىٰ آخره.

قوله: (سوارين من ذهب) بضم السين وكسرها، والسوار لا يكون إلا من ذهب، فإن كان من فضة فهو قلب.

قوله: (فأهمني شأنهما)؛ أي: أحزنني أمرهما.

قوله: (أن أنفخهما)؛ أي: أنفخ السوارين، وهو أمر من النفخ، فلما أمر بالنفخ نفخهما.

وتأويل نفخهما: أنهما قتلا بريحه؛ أي: أن الأسود ومسيلمة قتلا بريحه، والذهب زخرف يدل علىٰ زخرفهما، ودلا بلفظهما علىٰ ملكين؛ لأن الأساورة هم الملوك، وفي النفخ دليل علىٰ اضمحلال أمرهما وكان كذلك.

قوله: (فأولتهما)؛ أي: السوارين. قوله: (يخرجان بعدي): قال النووي: أي يظهران شوكتهما ومحاربتهما ودعواهما النبوة، وإلا فقد كانا في زمنه. انتهىٰ. وقد ذكرنا أن المراد بعد دعواي النبوة، أو بعد ثبوت نبوتي.

قوله: (فكان أحدهما)؛ أي: أحد السوارين في التأويل: (العَنْسي) وهو نسبة الأسود الصنعاني الذي ادعىٰ النبوة. وقيل: اسمه عَبْلَة بن كعب، وكان يقال له: ذو الخمار؛ لأنه زعم أن الذي يأتيه ذو الخمار. قتله فيروز الصحابي الديلي بصنعاء، دخل عليه فحطم عنقه، وهذا كان في حياة رسول الله في مرضه الذي توفي فيه علىٰ الأصح والمشهور. وبشر رسول الله الصحابة بذلك، ثم بعده حمل رأسه إليه.

وقيل: كان ذلك في زمن الصديق رضي الله عنه.

قوله: (والآخر)؛ أي: السوار الآخر في التأويل: (مسيلمة الكذاب). قوله: (اليمامة): هي مدينة باليمن على أربع مراحل من مكة شرفها الله، ومرحلتين من الطائف. قيل: سميت بذلك باسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام، يقال: هو أبصر من زرقاء اليمامة، فسميت اليمامة لكثرة ما أضيف إليها والنسبة إليها يمامي[١٥١].

فوائد الحديث:

١- أنَّ هذا الحديثَ من أكبرِ فضائلِ الصِّدِّيق، فإنَّ النبي ﷺ نفخ السِّوارين بروحه فطارا، وكان الصِّدِّيق هو ذلك الرُّوح الذي نفخ مُسَيْلِمَة وأطاره.

٢- توكيلُ العالِم لبعض أصحابِه أن يتكلَّم عنه، ويُجيب عنه.

٣- أنَّ الإمام ينبغىٰ له أن يستعينَ برجل من أهل العلم يُجيب عنه أهلَ الاعتراض والعِناد.

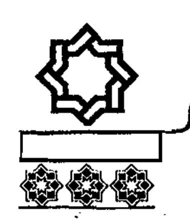
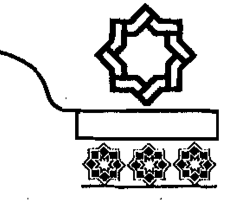
٤- أنَّ للإمام أن يأتيَ بنفسه إلىٰ مَن قدم يُريد لقاءه من الكفار.

٥- أنَّ الرسول لا يُقتل ولو كان مرتدًا، هذه السُّنَّة.

٦- جوازُ مكاتبةِ الإمام لأهل الرِّدَّة إذا كان لهم شَوْكة، ويكتب لهم ولإخوانهم من الكفار: سلامٌ علىٰ مَن اتبَّع الهُدَىٰ.

---

(١٥١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ١٩٢).

رؤيا نقل الحمى من المدينة إلى الجحفة

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ كَأَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ خَرَجَتْ مِنْ الْمَدِينَةِ حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةَ، وَهِيَ الْجُحْفَةُ، فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا»(١٥٢).

معاني الكلمات:

ثائرة: شعر رأسها منتشر غير منتظم.

الجحفة: اسم مكان هو ميقات أهل مصر

وباء: مرض.

المعنى الإجمالي:

رأى النبي ﷺ وباء المدينة في صورة امرأة سوداء ثائرة الرأس وفي رواية (تَفِلة)؛ أي: كريهة الرائحة خرجت من المدينة فأسكنت بالجحفة.

عن عائشة أنه ﷺ قال: «اللهم حبب إلينا المدينة» الحديث، وفيه «وأنقل حماها إلى الجحفة»، قالت عائشة: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله.

قوله: «حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة»: أما مهيعة فبفتح الميم وسكون

---

(١٥٢) أخرجه البخاري (٦٥١٦).

الهاء بعدها ياء آخر الحروف مفتوحة ثم عين مهملة، وقيل: بوزن عظيمة، وأظن قوله: «وهي الجحفة» مدرجًا من قول موسىٰ بن عقبة، فإن أكثر الروايات خلت عن هذه الزيادة.

قوله:« فأولت أنه وباء المدينة نقل إليها»: قال المهلب: هذه الرؤيا من قسم الرؤيا المعبرة، وهي مما ضرب به المثل، ووجه التمثيل: أنه شق من اسم السوداء السوء والداء فتأول خروجها بما جمع اسمها، وتأول من ثوران شعر رأسها أن الذي يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة، وقيل: لأن ثوران الشعر من إقشعرار الجسد، ومعنىٰ الاقشعرار الاستيحاش؛ فلذلك يخرج ما تستوحش النفوس منه كالحمىٰ. قلت: وكأن مراده بالاستيحاش أن رؤيته موحشة، وإلا فالاقشعرار في اللغة تجمع الشعر وتقبضه وكل شيء تغير عن هيئته، يقال: اقشعر كاقشعرت الأرض بالجدب والنبات من العطش، وقد قال القيرواني المعبر: كل شيء غلبت عليه السوداء في أكثر وجوهها فهو مكروه، وقال غيره: ثوران الراس يئول بالحمىٰ؛ لأنها تثير البدن بالاقشعرار وارتفاع الرأس لا سيما من السوداء فانها أكثر استيحاشا[١٥٣].

قال المهلب: هذه الرؤيا ليست علىٰ وجهها، وهىٰ مما ضرب بها المثل فبعض المعبرين يجهل وجه التمثيل في ذلك فتأول النبي ﷺ خروجها مشخصة ما جمع اسمها، وقد اختلف في معنىٰ إسكانها الجحفة، فقيل: لعدوان أهلها

(١٥٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/ ٤٢٦).

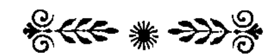
وأذاهم للناس. وقيل: لأن الجحفة قليلة البشر. فكأنه رأىٰ أن يعافي منها الكثير مع بلية القليل. وأما ثوران راسها فتأول منه أنها لما كانت الحمىٰ مثيرة للبدن بالاقشعرار وارتفاع الشعر عبر عن حالها في النوم باتفاح شعر رأسها، فكأنه قيل له: الداء الذي يسوء ويثير الشعر يخرج من المدينة. وقيل: إن معنىٰ الاقشعرار: الاستيحاش، فكذلك هذا الداء تستوحش النفوس منه. وقال علىٰ بن أبىٰ طالب العابر: أىٰ شىٰء دلت عليه السوداء في أكثر وجوهها فهو مكروه، فربما دلت علىٰ الدنيا الحرام والزوجة الحرام، فمن وطئها في المنام دخل فيما لا يليق به، فإما طعامًا حرامًا يأكله، أو شرابًا يشربه، أو ثوبًا علىٰ ذلك النعت يلبسه، أو دارًا مغصوبة يسكن فيها (١٥٤).

فوائد الحديث:

١- كرامة لرسول الله ﷺ حيث بارك الله المدينة وأخرج الحمي منها كرامة له.

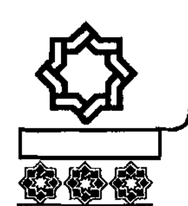
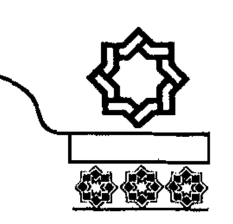
٢- وقوع ما قال النبي ﷺ كما أخبر، وهذا من معجزاته.

٣- فضل المدينة المنورة.



---

(١٥٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٥٥٢) بتصرف.

رؤيا هجرة النبي ﷺ إلى يثرب

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنْ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا وَاللهُ خَيْرٌ فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنْ الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ»(١٥٥).

معاني الكلمات:

وهلي: وهمي وظني.

اليمامة: بلد من بلاد الحجاز.

هجر: مدينة من اليمن.

بقرًا: في رواية (بقرا تنحر)، وقيل: نحر البقرة هو قتل الصحابة يوم أحد.

والله خير: أي سمع هذه الجملة في الرؤيا وفسرها بقوله: «وإذا الخير..»، وقيل: هي من قوله ﷺ، والمعنىٰ ما صنع الله تعالىٰ بشهداء أحد هو خير لهم

---

(١٥٥) أخرجه البخاري (٣٣٥٢)، ومسلم (٤٢١٧).

من بقائهم في الدنيا.

المعنى الإجمالي:

قوله: «أراه» بضم الهمزة؛ أي: أظنه. قوله: «وهلي» بفتح الهاء؛ يعني: وهمي واعتقادي، ويجوز فيه إسكان الهاء مثل نهْر ونهَر. قوله: «أو الهجَر»: هي مدينة باليمن، وهي قاعدة البحرين، ويقال بدون الألف واللام، بينها وبين البحرين عشر مراحل. قوله: «فإذا هي المدينة»: كلمة (إذا) للمفاجأة، وهي ترجع إلىٰ أرض بها نخل. قوله: «المدينة يثرب»: النهي الذي ورد عن تسمية المدينة بيثرب إنما كان للتنزيه، وإنما جمع بين الاسمين هنا لأجل خطاب من لا يعرفها، وفي (التوضيح): وقد نهىٰ عن التسمية بيثرب حتىٰ قيل من قالها وهو عالم كتبت عليه خطيئة، وسببه ما فيه من معنىٰ التثريب، والشارع من شأنه تغيير الاسماء القبيحة إلىٰ الحسنة، ويجوز أن يكون هذا قبل النهي، كما أنه سماها في القرآن إخبارًا به عن تسمية الكفار لها قبل أن ينزل تسميتها.

قوله: « الفتح»: أراد بالفتح فتح مكة، أو هو مجاز عن اجتماع المؤمنين وإصلاح حالهم. قوله: «بقرًا»: قال النووي: قد جاء في بعض الروايات هكذا «رأيت بقرا تنحر» وبهذه الزيادة يتم تأويل الرؤيا؛ إذ نحر البقر هو قتل الصحابة بأُحد. قوله: «والله خير» قال القاضي: ضبطناه «والله خيرٌ» برفع الهاء والراء علىٰ المبتدأ والخبر، قيل: معناه ثواب الله خير؛ أي: صنع الله بالمقتولين خير لهم من مقامهم في الدنيا، والأولىٰ قول من قال إنه من جملة الرؤيا فإنها كلمة

سمعها في الرؤيا عند رؤياه البقر بدليل تأويله لها بقوله: «فإذا الخير ما جاء الله به». قوله: «وثواب الصدق» إلىٰ آخره: يريد به بعد أُحد ولا يريدها كان قبل أحد. قوله: «بعد يوم بدر» قال القاضي: بضم دال (بعد)، وبنصب (يوم)، قال: وروي بنصب الدال ومعناه: ما جاء الله به بعد بدر الثانية من تثبيت قلوب المؤمنين؛ لأن الناس جمعوا لهم وخوفوهم فزادهم ذلك إيمانًا قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وتفرق البدو عنهم هيبة لهم(١٥٦).

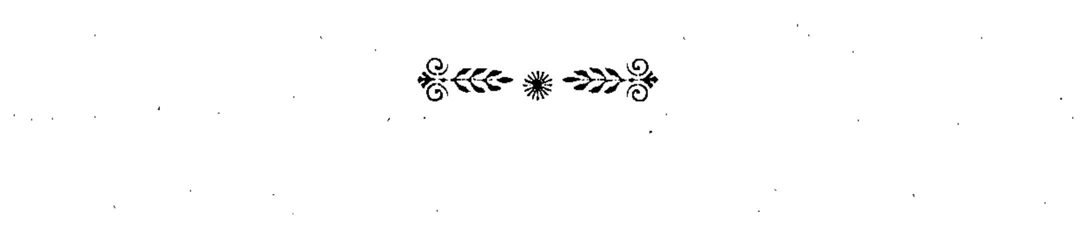
فوائد الحديث:

١- تحقق رؤيته ﷺ وهجرته للمدينة المنورة وذلك وحي من الله.

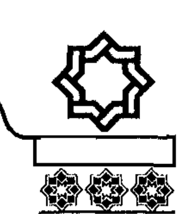
٢- بيان شرف المدينة وفضلها علىٰ غيرها إذ كانت أرض مهاجر النبي ﷺ.

٣- فضل الشهادة في سبيل الله.

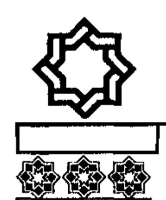
٤- عظم شأن الرؤيا الصالحة.



(١٥٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ١٩٧).



يطعمه ربه ويسقيه



عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحَرِ»، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ؛ إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي وَسَاقٍ يَسْقِينِ»(١٥٧).

معاني الكلمات:

حتىٰ السحر: قبيل الصبح؛ أي: وليفطر قبل طلوع الفجر.

كهيئتكم: حالكم وصفتكم من حيث القرب من الله تعالىٰ، وما يحصل لي من الفيض الإلهي والغذاء الرباني.

إني أبيت أطعم وأسقىٰ: قيل: يخلق فيه من الشبع والرّي. وقيل: انه علىٰ الحقيقة كرامة له.

المعنى الإجمالي:

من المعلوم أن الرسول ﷺ كان يواصل الصيام، يواصل صوم النهار مع الليل والليل مع النهار وهكذا، فرآه أصحابه فواصلوا معه الصيام ولم يفطروا، وإنما أربعة وعشرين ساعة، وثمانية وأربعين ساعة وهكذا يتضاعف الرقم، فواصل الصحابة معه حتىٰ ضعفوا! لم يستطيعوا أن يتابعوا الوصال في الصيام،

---

(١٥٧) أخرجه البخاري (١٨٢٧).

فنهاهم الرسول ﷺ عن أن يوصلوا الصيام، فقالوا: (يا رسول الله! إنك لتواصل، فقال ﷺ: إني لست كهيئتكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) إني لست كهيئتكم؛ لست كمثلكم، عندي طاقة وعندي قدرة ربانية، الله عز وجل يمكنني بها من مواصلة الصيام والاستمرار فيه، وأنتم لستم مثلي، فلا تواصلوا(١٥٨).

والمعنىٰ: إني لست مثل حالتكم وصفتكم في أن من أكل منكم أو شرب انقطع وصاله، وإني لست مثلكم، ولي قرب من الله وهو معنىٰ قوله: «أبيت ولي مطعم يطعمني» ليالي صيامي، «وساق يسقيني»، فإن حملناه علىٰ الحقيقة يكون هذا كرامة له من الله تعالىٰ وخصوصية، وإلا يكون هذا فيضًا من الله تعالىٰ عليه بحيث يسد مسد طعامه وشرابه من حيث إنه يشغله عن إحساس الجوع والعطش، ويقويه علىٰ الطاعة، ويحرسه من تحليل يفضي إلىٰ كِلال القوىٰ وضعف الأعضاء(١٥٩).

فوائد الحديث:

١- فيه بيان رحمة النبي ﷺ بأمته.

٢- فيه النهي عن التشدد في العبادة.

٣- فيه بيان أن النبي ﷺ له خصائص ليست لأحد غيره، كالزواج بأكثر

---

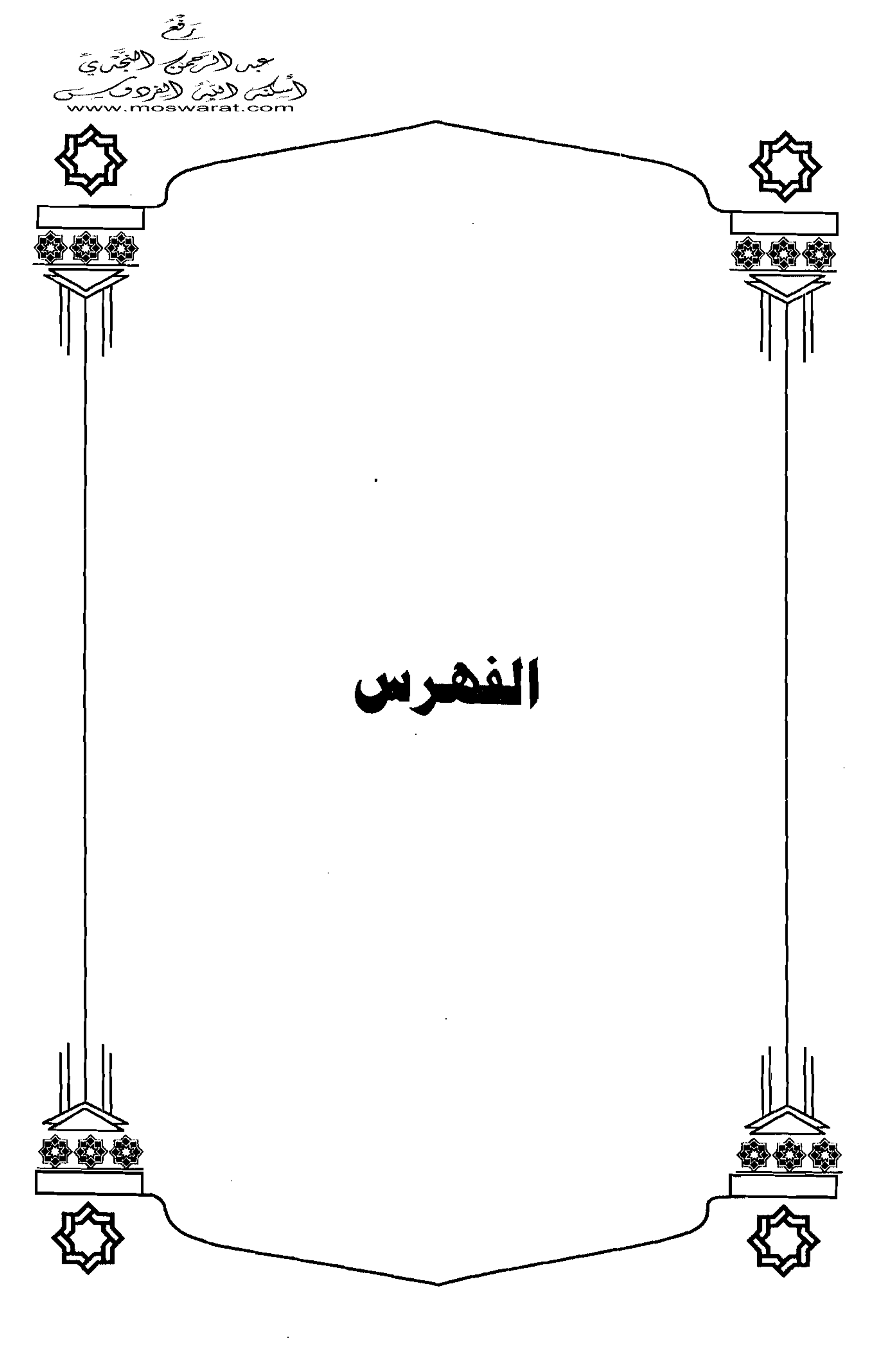
(١٥٨) دروس مفرغة للشيخ الألباني (١٧/ ٢٥)، موقع الشبكة الإسلامية.

(١٥٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧/ ٢٥) بتصرف.

من أربعة، ووجوب قيام الليل، والقدرة على الوصال... إلخ.

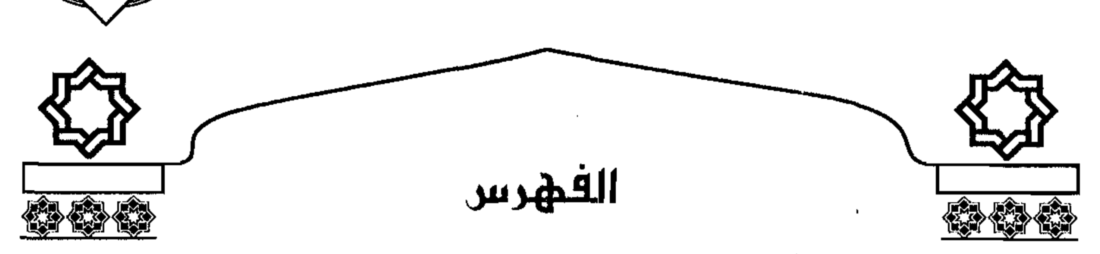
٤- وفيه بيان لقدر النبي ﷺ عند ربه.




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
الفهرس


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

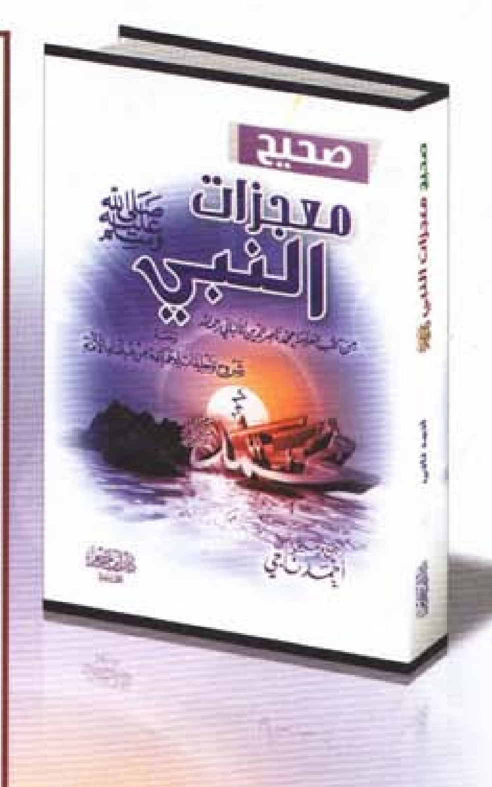




الفهرس


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com





إن المسلم حين يُعنى بالحديث عن نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ودلائلها، فإنما يتناول بابا عظيما من أبواب الإسلام.

وقد دعانا القرآن الكريم للتأمل في دلائل نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم -

والمعجزات هي التي تشهد بنبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، تثبيتا لإيمان المؤمنين، وخروجا به من التقليد إلى البرهان والدليل، وهو أيضا دعوة للبشرية التائهة عن معرفة نبينا - صلى الله عليه وسلم - وجوانب العظمة في حياته ودعوته، دعوة لهم للتعرف على هذا النبي الكريم، والإيمان به نبيا ورسولا.

ودلائل النبوة الشاهدة بنبوة نبينا - صلى الله عليه وسلم - متنوعة وكثيرة.

ومن هنا جمعنا في هذا الكتاب مجموعة من معجزات الرسول ﷺ وتبويب موضوعاتها ليسهل على القارئ الاستفادة منها، مع إضافة شروح وتعليقات لنخبة من العلماء.

وفي نهاية الحديث ذكرنا طرفا من فوائده.





جمهورية مصر العربية
القاهرة: ٢٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
ت: ٠٠٢٠٢٥١٤٣١٤١ فاكس: ٠٠٢٠٢٥١١١٧٥٠